

مجلة

دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير : أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.م.د. عادل شابث جابر

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. أحمد مالك الفتیان	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. حميد أحمد التميمي	كلية الآداب / جامعة البصرة
أ.د. طالب منعم الشمري	كلية التربية / جامعة واسط
أ.د. هديب حياوي	كلية الآداب / جامعة بابل
أ.د. عادل تقي البلداوي	كلية التربية / جامعة المستنصرية
أ.د. علي ياسين الجبوري	كلية الآثار / جامعة الموصل
أ.د. خليل علي مراد	كلية الآداب / جامعة صلاح الدين

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد

العدد (٦٠) ايلول لسنة ٢٠١٧

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

التصحيح اللغوي م.م. عبد الخالق حسن

الاشراف المالي : انتصار حميد مجيد

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الالكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

شروط النشر في المجلة

١. أن يكون متسماً بالجدة والموضوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .
٢. إعتدال الأسلوب العلمي في كتابة الموضوع سواء بما يتعلق بالهوامش أو الأمانة العلمية.
٣. سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .
٤. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .
٥. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .
٦. أن لا يكون البحث مستقلاً من رسالة أو أطروحة جامعية لغير طلبة الدراسات العليا .
٧. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.
٨. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .
٩. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .
١٠. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الأقراص المدمجة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تعد المؤتمرات العلمية واحدة من حلقات التقارب العلمي والتي تساهم في تقوية
أواصر التعارف في الوسط الاكاديمي .

إن ما حصل من لقاء للوفد العراقي مع الاشقاء من باقي الدول العربية في
المؤتمر العلمي التاسع عشر لاتحاد الآثاريين العرب والذي عقد في رحاب جامعة
المنصورة في جمهورية مصر العربية للمدة من ٥-٧ / نوفمبر / ٢٠١٦ م ٥-٧ / ذي
القعدة / ١٤٣٨ هـ جعلنا نتعرف على نخب طيبة وعلى وجه الخصوص الوفد الجزائري
الذي كان له موقف تضامني مع الوفد العراقي خلال المؤتمر . وكان للوفد العراقي
والجزائري حضوراً مميزاً من حيث نوعية البحوث والعدد المشارك في المؤتمر واستكمالاً
للفائدة العلمية وتوكيداً للعلاقة الودية بين الاشقاء اقدمنا على اصدار عدد خاص
لمجلتنا مجلة دراسات في التاريخ والآثار التي تصدر في كلية الآداب - جامعة بغداد .
وتم رفد العدد بمجموعة من البحوث شملت كل التخصصات في التاريخ والآثار .
وختاماً أدعوا الله تعالى لكل من ساهم في رفد العدد ببحث مزيداً من التقدم العلمي .
ومن الله التوفيق .

أ.د. رفاه جاسم حمادي

رئيس هيئة التحرير

مجلة دراسات في التاريخ والآثار

بغداد / تموز / ٢٠١٧ م

ذي القعدة / ١٤٣٨ هـ

فهرس العدد (٦٠)

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
١	الصناعات الكيماوية في تلمسان في العصور الإسلامية الوسطى	أ.د. بسمة محمد احمد	١٩-١
٢	دور التوثيق في خدمة وصيانة المجموعات المتحفية	أ.د. عبدالحق معزوز	٣٥-٢٠
٣	الكتابة التاريخية وتحقيق التراث المخطوط عند العلامة الجزائري "محمد بن أبي شنب"	د. موسى هيصام	٥٦-٣٦
٤	دراسة البورتري النقيدين خلال مجموعة نقدية من مدينة كلاما (قالمة حاليا)	فريدة منصوري	٧٦-٥٧
٥	العمارة والاثار الباقية لموانئ شمال افريقيا من خلال كتب البلدان	د. ليث شاكر محمود	٩٥-٧٧
٦	الامام عزيز محمود الاسكوداري (هائي) ١٥٤١ - ١٦٢٨ واثاره الفكرية باللغة العربية	أ.د. انعام مهدي علي السلمان	١٠٦-٩٦
٧	دور المنجمين في حياة رجال الدولة عبر العصور ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م	أ.م. د. نوال ناظم محمود	١٤٢-١٠٧
٨	محدث العراق ابو بكر الانصاري سيرته ورواياته في كتاب الأنساب للسمعاني	أ.د. زكية حسن إبراهيم	١٨٣-١٤٣
٩	موارد ابن اعثم الكوفي في كتاب (الفتوح) عن السيرة النبوية	أ.م. د. وفاء عدنان حميد	٢١٧-١٨٤
١٠	الدور الاقتصادي والسياسي للقاضي سعد الدين بن غراب (.....-٨٠٨ هـ /-١٤٠٥ م)	أ.م. د. عفاف عبد الجبار عبد الحميد	٢٧٠-٢١٨
١١	اثر الفكر الديني الرافديني على الفكر الديني المصري القديم	أ.م. د. انتصار ناجي عبد الزنكي	٣٠٩-٢٧١
١٢	المدرسة المستنصرية أقدم مدارس العصر العباسي الشاخصة	أ.د. رفاه جاسم	٣٢٦-٣١٠
١٣	صورة الارملة في المجتمع العراقي القديم	أ.م. د. سجي مؤيد عبد اللطيف	٣٤٠-٣٢٧
١٤	الكتبة ودورهم الحضاري في مصر	د. جميلة خالفي	٣٥٩-٣٤١
١٥	Abdul-Aziz Al-Duri and a new Approach of Islamic Historiography	Pro.Dr.Usama Abd -al-Rahman Al-Duri Pro.Dr. Layth Shakir Mahmood	٣٩٠-٣٦٠

**الصناعات الكيماوية في تلمسان
في العصور الإسلامية الوسطى**

**أ.د. بسمة محمد احمد
كلية التربية للعلوم الصرفة – ابن الهيثم
جامعة بغداد**

المقدمة وإشكالية البحث ونظرة على المصادر

يدور البحث الموسوم "الصناعات الكيماوية في تلمسان في العصور الإسلامية الوسطى" وهو موضوع مهم جدا في حقل دراسة تاريخ العلوم والصناعات التطبيقية إذ ارتبطت هذه الصناعات بحرفتي صناعة الصابون التي شاعت في هذه المدينة، كون الصابون سلعة أساسية في أسواق المدينة وتمثل مادة أساسية يحتاجها الإنسان في حياته اليومية، ومن الصناعات الأخرى "صناعة الأصباغ والقصارة" التي ترتبط بحرفة صناعة الاقمشة وصناعة الدباغة وقصر الملابس.

البحث يقع في محورين رئيسيين ، الاول يتناول "اهم المفاهيم المخبرية الكيماوية في الصناعات الكيماوية التلمسانية" كالتسخين والفصل والفصل والتطهير والترشيح ٠٠٠ الخ

اما المحور الثاني فينتظر الى "اجراءات السلامة والامان في الصناعات الكيماوية التلمسانية" وفيه درسنا ماهية المفاهيم المخبرية التي ترسخت في تلك الصناعات وذلك من خلال تأكيد الفقهاء المالكيين والمحتسبين والمراقبين على الصناعات ذات الحاجة اليومية كصناعة الصابون واستخلاص زيت الزيتون والاصباغ المأخوذة من النباتات وغيرها .

واعتمد البحث على مصادر متنوعة بدءا من المصادر التاريخية التي تؤرخ طبيعة الاحوال العامة للمدينة والتي وضحت جوانب مهمة في تاريخ الصناعات الكيماوية التلمسانية تلك التي شاعت في العصور الوسطى الاسلامية ،ناهيك عن العديد من المراجع الحديثة الاجنبية والمترجمة.

واردف البحث بملاحق مهمة تبين نتاج الصناعات الكيماوية التلمسانية من صناعات معدنية وزجاجية وفخارية كلها تحكى قصص الابداع وتكشف النقاب

عن المهارات الشائعة للإنسان التلمساني في العصور الوسطى.

اشكالية البحث

كان التقدم الحضاري الذي شهدته مدينة تلمسان في عهدي الزيانيين و المرينيين دور كبير في ازدهار الصناعات الكيماوية التي دخلت في تلبية الحاجات اليومية لأبناء المدينة .

فقد كانت العصور الإسلامية الوسطى تتميز بنظام الطوائف الحرفية والصناعية المتخصصة إذ تتجمع كل طائفة حرفية في مكان واحد وتسمى بنوع الحرفة فهناك الدباغين والصباغين والزجاجيين والصابونيين وغيرها.

يهدف البحث التعرف على المعارف والمهارات المتعلقة بالصناعات الكيماوية التقليدية والإجراءات التي تضمن الحصول على منتج جيد، وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية

١- ماهي المواد الأولية المستعملة في الصناعات الكيماوية؟

٢- ماهي الأدوات المستعملة؟.

٣- ماهي الطرائق والعمليات الكيماوية المتبعة؟.

٤- هل يتم اعتماد مهارات السلامة والأمان في هذه الصناعات؟.

٥- ماهي أبرز المفاهيم العامة للطرائق الكيماوية التي كانت تجري في الحرف والصناعات التلمسانية؟.

٦- هل أكدت الصناعات الكيماوية على تنظيف الأدوات والعاملين؟.

قراءة في أهمية المصادر الإسلامية وأهميتها في تاريخ الصناعات الكيماوية

أولاً: كتب الحسبة والرقابة على الأعمال ذات الطابع الكيماوي اليومي

وفرت لنا كتب الحسبة معلومات متنوعة عن مهارات السلامة والأمان في هذه الصناعات إذ تمثل أساساً للحفاظ على العامل على نفسه والعاملين معه

والمواد المستعملة ويعد اهم جانب يراعى فيها الى يومنا الحالي فى أي صناعة كيماوية.

ثانياً:- كتب البلدان واهميتها فى الكشف عن المواد التى تدخل فى

الصناعات الكيماوية التلمسانية

ولعبيد الله بن خرداذبة كتاب فى المسالك والممالك (ت ٣٠٠هـ/٩١٣م). تكلم فى- ولإبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، والمعروف بالكرخي (ت 346هـ/٩٥٧م) كتاب أيضاً فى المسالك والممالك، تكلم فيه عن صفات بلاد الإسلام وغيرها. وكان وصفه موجزاً أحياناً، ولكن ملاحظاته كانت فى معظم الأحيان دقيقة وقيمة، وقلما نقل عن غيره. لقد سعى الاصطخري فى كتابه للكلام على بلاد الإسلام التيزارها، فوضع لكل إقليم من أقاليمها خريطة، ذكر مواردها الطبيعية وصناعاتها التقليدية، والأماكن التى تستخرج منها المعادن والأحجار الكريمة. (١)

والبكري (٤٨٧هـ/١٠٩٤م). له عدة مؤلفات منها معجم ما استعجم من البلدان، بالإضافة إلى كتاب المسالك والممالك، والذي انتهى من تأليفه (460هـ/١٠٥٨م). وصف احوال شمال فريقيا واهم المعادن المودة فى مدن السواحل والمغرب الاوسط -الجزائر وتبين لنا مصادر الصناعات الكيماوية التمسانية من معادن مختلفة كالحديد والزنبق والنحاس وغيرها. (٢)

-وفى الشمال المغربي وعلى ساحل البحر ولد فى مدينة سبتة أشهر جغرافي عربي، هو محمد بن محمد بن عبد الله الحسني، والمعروف بالشريف الإدريسي. تلقى علمه فى قرطبة، وطاف فيأحاء الأندلس، ثم انتقل إلى جزيرة صقلية، حيث اتصل بملكها النورماندي روجر الثاني، الذى حكم من عام (٥٦٢هـ/١١٦٦م) إلى عام (٥٨٥هـ/١١٨٩م). وألف له كتاب (نزهة

المشتاق في اختراق الآفاق)، الذي يعتبر من أفضل ما كتب عن جغرافية أوربة بصورة عامة والأندلس صورة خاصة. (٣).. ويقول الإدريسي إنه يصاد فيها شجر المرجان الذي لا يعد له صنف منصنوف المرجان المستخرج من جميع البحار. وفي مدينة سبتة سوق لتفصيله وحكّه وتقبهوصنع خرز منه، وهو ينظم عقوداً تحمل إلى غانة وبلاد السودان.

وإثناء حديث الإدريسي عن المعادن يعطينا صور واضحة عن موارد الصناعات الكيماوية التلمسانية وعلاقتها بالمناجم (المنتشرة في إسبانية فقال: وعلى ضفة نهر تاجها الشمالية تقع مدينة لشبونة، وفي جنوبها يقع حصن المعدن، وسمي بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف بالذهب والتبر. فإذا جاء الشتاء قصد أهل تلك البلاد هذا الحصن لجمع الذهب. وفي جبال طليطلة يوجد معادن الحديد والنحاس، ولكن الإدريسي لم يتكلم علل الصناعة فيها بالتفصيل، لأنها كانت قد وقعت بأيدي الإسبان. لكنه تكلم على مدينة المرية وقال: إنه كان يصنع فيها أصناف الأدوات النحاسية والحديدية. وبالقرب من النهر الكبير تقع قرية بطرنة، وبها معدن التوتيا الذي فاق جميع معادن التوتيا طيباً. (٤).

ثم تكلم الإدريسي عن مدينة فرنجولش التي تقع على نهر ملبال، المار من إشبيلية وقرطبة. وهي مدينة حصينة وعلى مقربة منها معادن الفضة في موضع يعرف بالموج. وعلى بعد ستة عشر ميلاً منها حصن قسطنطينية وبجبال معادن الحديد الجيد الذي يرسل إلى جميع أنحاء الأندلس. ويشمال مدينة قرطبة، وعلى بعد مرحلة منها، يوجد الحصن الذي به معدن الزئبق، ومنه يصدر الزئبق والزنجفر (كبريت الزئبق الطبيعي) إلى تلمسان وإلى جميع أنحاء العالم. (٥)

ويقول الإدريسي : إن هذا المنجم كان يخدمه أكثر من ألف عامل، فقومٌ للنزول فيه وقطع الحجر، وقومٌ لنقل الحطب وحرق الفلز، وقوم لصنع أواني سبك الزئبق وتصعيده، وقوم لبناء الأفران والحرق. ويذكر الإدريسي أنه رأى ذلك المنجم. تدعى التل، وهي على نهر سريط، وعلى بعد مرحلة من جبل جوغان، وهناك منجم حديد جيد يستخرج منه الكثير ويحمل إلى الآفاق. (٦).

المحور الاول يتناول "اهم المفاهيم المخبرية الكيماوية فى الصناعات

الكيماوية التلمسانية

استخدم الحرفيون التلمسانيين عدة طرق واساليب لتصنيع فى الحرف والصناعات السائدة فى تلمسان كالتسخين والفصل والفصل والتطهير والترشيح ٠٠٠ الخ.

اولا:-التسخين :-

استخدم هذا المفهوم فى الصناعات -الدباغة والصباغة

الطرائق الكيماوية المتنوعة

استعمل الحرفيون فى تلمسان طرائق كيميائية متنوعة مثل :

المزج mixing

السحق

التسخين boiling

الحرق بوجود الهواء او بمعزل عنه

الفصل separation

التقطير

الترشيح

وغيرها

قواعد السلامة والامان في الاعمال الحرفية التلمسانية

اهم القواعد التى يراعى بها اجراءات السلامة

١- نظافة المواد والادوات المستعملة فى الصناعة اذ كان "المحتسب" يراقب نظافة المنتج وأدوات الانتاج ولحوانيت اهل الحرف واسواقهم قبل وبعد عملية صناعة المنتج.(٧)

٢- جعل بعض الحرف التى يمكن ان تلوث البيئة ماديا ام ضوضائيا خارج اسوار المدينة مثل صناعة الجلود والإصباغ والحدادة ، كما كانت تقام على ضفاف الانهار والمنحدرات وخصوصا لتلك الصناعات التى كانت تعتمد على الموارد المائية.(٨)

قراءة فى تاريخ الصناعات الكيماوية التلمسانية ذات الاستعمال اليومي

كانت صناعة الصابون فى تلمسان كما أوردتها مصادرها العربية الإسلامية "، إذ تناولت المصادر ذكر هذه الحرفة بشكل شائع بدليل تسمية حي من الإحياء المهمة في المدينة "حي زراع الصابون " وكان يقع بجوار درب المسار . (٩). كما ان "صناعة الإصباغ وقصارةالملابس في تلمسان"، وعرف في المدينة درب يسمى درب الصباغين واغلب الظن كان بجواره محال تعمل لصباغة الصوف المغزول ،الذي يستعمله الدرازون وغيرهم في نسج الأغطية ذات الألوان المختلفة، وخاصة الصوفية التي تسمى "البطانية"،والقصار هو الذي يقوم بدق الثياب وتبييضها، والصناعة تسمى القصارة، وهذا الحي وجد بتلمسان القديمة (أقاير).(١٠).

الكيمياء من معارف ابناء تلمسان

لدينا تعريف وافى لمؤرخنا الكبير ابن خلدون (ت ٨٠٨ هجرية) الخيميائ بأنها (علم ينظر في المادة التي يتم بها تكوين الذهب والفضة بالصناعة)، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك. وهذه المهارت كانت معروفة في المغرب الاوسط-الجزائر ومنها تلمسان لاسيما ان تعريف ابن خلدون يوثق هذه المهارة وهو من اهم الاعلام ممن زاروا وعاشوا في المغرب الاوسط-الجزائر لذلك يندرج تعريفه في سلسلة المهارات العملية التي اتقنها ابناء تلمسان في العصور الوسطى كونهم جزءا لا يتجزء من التركيبة الاجتماعية لابناء المغرب الاوسط الاسلامي.(١١)٠

وممن اهم المهارات التي اتقنها ابناء تلمسان في هذا الحقل هي :-

التعدين :-

تعدين خام الحديد والمعادن الاخرى لإنتاج الادوات الزراعية والصناعات التحويلية ، شهدت عصر القرون الوسطى زيادة في استخراج المعادن الأخرى بما في ذلك الفضة والرصاص والنحاس والذهب وأنثراسايت. خلال العصور الوسطى في وقت مبكر إلى منتصف العمر ، تليها أعمال التعدين نمط القصر القائم على الزراعة. ومن شأن عائلة من عمال المناجم العمل على التماس من الخام وأنها سوف تحصل في المئة للخام التي كانت ملغومة. وعادة ما تدفع أولئك الذين الملغومة خام الثمينة (الفضة أو الذهب) في خام ، وعمال المناجم ويمكن بعد ذلك بيع خام مباشرة إلى صائغ الفضة أو. كما هو الحال في المجالات الحرفية الأخرى ، وخضع لصناعة التعدين الانتقال خلال فترة القرون الوسطى المتأخرة. بسبب الطلب لمزيد من الخام ، والمعادن الثمينة وخاصة للعملات ، كان هناك انتقال من الأسرة ، والحرف القائمة على الإنتاج

(١٢).٠

الفصل بالمفهوم الكيماوي الكلاسيكي

عُرفت الكيمياء القديمة بـ *السباجيريك*. وتأتي كلمة "سباجيريك" نتيجةً لضم كلمتين إغريقيتين تفيدان معنى *الفصل والوصل*. ربما يكون باراقليساس هو أول من اختار هذه اللفظة، والتي يتشابه معناها مع إحدى الإملاءات اللاتينية في الكيمياء: SOLVE ET COAGULA والتي تعني: قم بالفصل ثم الوصل (أو قم بالإذابة ثم التخثير). (١٣)

أشهرُ الأهداف التي عرفناها عن عمل الخيميائيين: ١. تحويلُ مختلفِ المعادنِ إلى ذهب (المعروف بعلم الكريسوبويا) أو فضة (و هو علم الخيمياء النباتية أو السباجيريك، وهو أقل شهرة من العلم الأول). ٢. تخليق الـ "باناكيا" أو إكسير الحياة، والذي ادّعت قدرته على منح الحياة الأبدية الخالية من الأمراض. ٣. اختراع المادة المذيبة الشاملة. (١٤)

لم تكن هذه الأهداف الوحيدة لعلم الخيمياء، ولكنها أهدافٌ نالت قدراً أكبر من التوثيق والشهرة. ترى بعضُ المدارس السحرية أن تحويل الرصاص إلى ذهب هو قياسٌ تمثيلي لتحويل الهيئة المادية (ككوكب زحل المُمثل بالرصاص) إلى الطاقة الشمسية (المُمثلة في الذهب)، وأن الهدف من هذا التحويل هو تحقيق الخلود. ويوصف هذه المفهوم بالخيمياء الداخلية. استثمر الخيميائيون العرب والأوروبيون بدءاً من العصور الوسطى الكثير من الجهد في البحث عن حجر الفلاسفة، وهي مادة أسطورية اعتقدوا أنها عنصرٌ أساسي لتحقيق أحد الهدفين أو كليهما. لقد نال الخيميائيون قدراً متناوباً من الاضطهاد والدعم خلال القرون. فعلى سبيل المثال، أصدر البابا يوحنا الثاني والعشرون مرسوماً ضد التزييف الخيميائي في عام ١٣١٧، ولذا قام السيستريكون بحظر ممارسة

الخيمياء بين أعضائهم. وفي عام ١٤٠٣ قام هنري الرابع ملك إنجلترا بحظر ممارسة الخيمياء، وفي أواخر ذلك القرن قام بيرس (الرجل الحارث) وشوسر برسم صور مسيئة تظهر الكيميائيين كصوص وكذابين. على النقيض من ذلك، فإن رودولف الثاني في أواخر القرن السادس عشر، وهو إمبراطور روماني مقدس، كان يرفع عدداً من الكيميائيين لدى عملهم في بلاطه الكائن في براغ. (١٥).

يفترض بعض الناس أن الكيميائيين قدموا مساهماتٍ فائقةً للصناعات "الكيميائية" الحديثة مثل تكرير العناصر الخام، وصناعة المعادن، وإنتاج البارود والحبر والأصباغ والدهانات ومواد التجميل، ودباغة الجلود، والخزف، وصناعة الزجاج، وإعداد المستخلصات والمشروبات الروحية، وما إلى ذلك. ويبدو أن إعداد ما يسمى "أكوا فايتا" (أو مياه الحياة) كان "تجربة" ذات شعبية بين الكيميائيين الأوروبيين. و لكن في الواقع، على الرغم من مساهمة الكيميائيين في تقديم التقطير لغرب أوروبا، فإن الكيميائيين لم يقدموا الكثير لأي صناعة معروفة. فعلى سبيل المثال، كان عمال الذهب قد أجادوا معرفة جودة المشغولات الذهبية لفترة طويلة قبل وجود الكيميائيين. كما اعتمد تقدم التكنولوجيا الصناعية على عمل الحرفيين أنفسهم في هذه الصناعات أكثر مما ناله من مساعدة الكيميائيين. (١٦)

علم الكيمياء وحضارة المسلمين في المغرب الاسلامي وتلمسان

يقول العالم الفرنسي برتلو، في كتابه تاريخ علم الكيمياء "إن العلم البشري الأول ولد من صناعات التعدين البدائية. أي حينما اهتم الإنسان لصنع الخلائط المعدنية، وقامتزجيج الفخار وصنع الزجاج وصنع الأقمشة، وتعلم استعمال الميزان...". (١٧)

ويقول ديورانت، في كتابه تاريخ الحضارة: "إن النحاس كان أول معدن استخدمه الإنسان فيمانعلم، في أعلى مجرى الرافدين، في عصر يرجع إلى(٤٥٠٠ق.م). ثم نجده في مقابر البداريفي مصر، ويرجع عهده إلى مايقرب من(4000 ق.م). ونجده كذلك في آثار أور في زمن يرجعإلى (3000ق.م). (١٨)

لقد عرف ابناء تلمسان النحاس والحديد والزجاج ذلك لأن هذين المعدنين يصادفان بشكل حبيبات من المعدن الحر، تجتمع على شكل عروق في باطنالصخور. وبتأثير السيول والأمطار تتفتت تلك الصخور وتحرر منها الحبيبات التي تصادف بين الرمال في مجاري العيون و السيول والأنهار، والموجودة في تلمسان أماالنحاس فلزات كبريتية، واستخلصوه منها بإحراقهابعد مزجها بالفحم النباتي الذي يرجع الأكاسيد المعدنية، ويحرر المعدن.(١٩) ونظراً لليونة وقابلية التطريق، اللتين يتمتع بهما الذهب والفضةوالنحاس، فقد صنعوا منها كثيراً من الأواني والأدوات والحلي، فاستعملوا بعضها للزينة وبعضها لتحضير الطعام. وقد أبدع التلمسانيون في صنع التحف والحلي الذهبية، كما أبدعوا في صناعة السيوف والاسلحة في عهد المرينين والموحدين.

الزجاج:

اهتم سكان تلمسان ، شأنهم شأن بقية الشعوب المتوغلة بالقدم، بصنع الأدوات والأسلحةالتي يحتاجون إليها من الأحجار المنتشرة في أطراف بلادهم، وبما أن المواد الغضاريةتستمر أكثر أراضيهم لذلك لجؤوا إليها لصنع الأدوات المنزلية، وكانوا يكتفون بمزج الغضار بالماءوصنع تلك الأدوات ثم تركها لتجف تحت أشعة الشمس، وفي أوائل الألف الثاني قبلالميلاد اهتموا لشئ تلك الأدوات والألواح، وهذا ما أكسبها صلابة ومقاومة للتفتت،الناجم عن الرطوبة أو

الاحتكاك، و قاموا بطلي بعض تلك الأدوات بتطبيقه من الزجاج.(٢٠).
ويُعدّ تزجيج الفخار من أوائل الصناعات الكيماوية التي اهتمت إليها الإنسان
التلمساني

ويتمّ ذلك بأخذ أوزان معينة من فتات النحاس والرصاص والزجاج المكسّر،
تجعل بشكل سائل باستعمال الخل .وتغمس به الأواني الفخارية، ثم تشوى
داخل فرن تشتعل فيه النار، وتخرج منه بعد ذلك وتترك لتبرد في العراء، وبذلك
يتلون الفخار بلون أخضر.(٢١).

و عن وصف عملية التزجيج اذ تفنن صانعو الخزف باختيار الغضار المناسب
لصنع الفخار، فالتسمانيون مثلاً كانوا يجلبونه من الصحراء أما لتلوين الخزف
فقد اهتموا إلى معرفة الأكاسيد المعدنية المناسبة لتلوينها بالألوان المطلوبة،
ومما ساعد على تقدم عملية التزجيج وجود قطع من الزجاج الطبيعي، مبعثرة
بين الرمال، وهي تحصل في الطبيعة من اتحاد حبيبات الرمال الناعمة
(وتركيبتها أكسيد السيليسيوم) مع الأملاح القلوية الناتجة من احتراق النباتات.
وبما أن الجزائر غني بالرمال ووبالأملاح، الذين يدخل في تركيبه فحمت
الصوديوم وفحمت البوتاسيوم، لذلك اهتمت التلمسانيون الى صنع الزجاج،
وقد تقدمت هذه الصناعة (٢٢).

وأصبح العمال ينتجون أواني خزفية وزجاجية، جميلة الأشكال رائعة الألوان، وقد
اشتهر الزجاج المصري بألوانه المتعددة، ومنها البنفسجي، علماً أن هذا اللون
ينشأ من أكسيد الكوبالت، وهو معدن لا يصادف

النتائج

- ١- ان الصناعات الكيماوية في مدينة تلمسان مختلفة ومتنوعة وتميز العاملون بها بالنشاط من حيث المعرفة والمهارة في اتقان صناعاتهم والتمكن منها
- ٢-٠ ان جميع الصناعات في مدينة تلمسان اماكنها كانت موزعة في خطط المدينة
- ٣- ان مقومات الصناعات الكيماوية تتمثل (نباتية/حيوانية/معدنية).قالبانية مثل اشجار الزيتون والعنب والرمان والسمسم ٠٠٠ اما الحيوانية مثل(الاغنام والماعز والبقر الوحشي ٠٠٠٠ المعدنية (حديد نحاس ذهب وفضة التي استعملت في الصناعات الحرفية).
- ٤- فرض بعض الاجراءات على الصناع والحرفيين مثل صناعة الاصباغ والدباغة واستخلاص زيت الزيتون وهى:
ان يكونوا ملثمين او شد عصابة بيضاء على شعره وجبينه خوفا من سقوط العرقاو بعض الشعر فى الزيت ٠٠٠٠٠٠٠ كما فرض المحتسب نظافة لارجل والتأكد من طهارتها بالمحكة ونظافتها ولاسيما فى الصناعات التى كانت تستعمل الارجل فى عملية العصر-الزيتون
الانبيق -نموذج الادوات المستخدمة فى التقطير



رسم ثلاثي الأبعاد للإنبيق

يعتبر جابر بن حيان رائداً في الكيمياء، وذلك لكونه مسؤولاً عن إدخال المنهج العلمي التجريبي في وقت مبكر في هذا المجال، فضلاً عن اختراعه للإنبيق والمقطرة والمعوجة والعمليات الكيمائية للتقطير النقي والترشيح والتسامي والتبلور والتنقية والأكسدة والتبخر.

كان الكندي أول من دحض دراسة الكيمياء التقليدية ونظرية تحويل الفلزات، وتلاه في ذلك أبو الريحان البيروني وابن سينا وابن خلدون.

كان الرازي أول من أثبت، باستخدام طريقة تجريبية، خطأ نظرية أرسطو للعناصر الكلاسيكية ونظرية جالينوس عن تكوين جسم الإنسان وذلك في كتابه "شكوك حول جالينوس".

وقدم نصير الدين الطوسي إصداراً مبكراً لقانون حفظ الكتلة، مشيراً إلى أن جسم المادة قابل للتغير، ولكنه لا يستطيع أن يفنى.

يعتبر الكسندر فون همبولت وويل ديورانت الكيمائيين المسلمين في العصور الوسطى، أنهم مؤسسي الكيمياء.

الهوامش

- ١- الاصطخري ، المسالك والمالك ،
- ٢- البكري القرن الخامس الهجري ،معجم ماستعجم ،
- ٣- الادريسي ، الشريف ، نزهة المشتاق فى اختراق الافاق
- ٤- المصدر نفسه
- ٥- المصدر نفسه
- ٦- المصدر نفسه
- ٧- ابن بسام :-نهاية الرتبة فى طلب الحسبة
- ٨- ابن عبدون ، محمد بن احمد ، رسالة فى القضاء والحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ثلاث رسائل اندلسية ، فى آداب الحسبة والمحتسب ، (القاهرة ، ١٩٥٥)، ص ١٤٣
- ٩- ابن أخوة و محمد بن احمد القرشي (ت ٧٢٩هجرية/١٣٢٨م)، معالم القرية فى أحكام الحسبة تصحيح دي غوي (كمبريدج ١٩٧٠) ، ص ١٣٧
- ١٠- ابن عبد الروؤف ، احمد بن عبد الله ، رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب ،تحقيق ليفي بروفنسال المعهدالعلمي الفرنسي (القاهرة ، ١٩٥٥م)، ص ٩٩
- ١١- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هجرية)،المقدمة (العبر وديوان المبتدا والخبر) ،ط ١ دار صادر ، بيروت ، بلا)ج ٢، ص ٢٧٢
- ١٢- كاثلين كوهين ، تواريخ الفن للزجاج المعشق ، (المانيا ، بلا)
- ١٣- بوعبياد، محمد ، جوانب من الحياة فى المغرب الأوسط ،ط ١، (الجزائر ، ١٩٨٢م)ص ٣٢٧
- ١٤- بل ، الفريد، تلمسان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة احمد محمد

- شاكر واخرون و ط ١، (القاهرة ، بلا) و مج ٢، ص ٤٥٩
- ١٥- الونشريسي .احمد بن يحي(ت ٩١٤هجرية/١٥٠٨م)، اختصار المنهج
الفائق والمنهل الرائق ، مخطوط ، (الرباط، بلا)، ص ٢٨٠
- ١٧- برتلو، في تاريخ علم الكيمياء "بلا ، بلا ، ص ٢٩
- ١٨- وول ديورانت ، تاريخ الحضارة ، بلا و بلا ج ٢ و ص ٢٣
- ٢٠- كواتي ، مسعود اليهود فى المغرب الاسلامي من الفتح الى سقوط
الموحدين رسالة ماجستير ، معهد التاريخ (جامعة الجزائر ، ١٩٩١) كذلك
- ٢١- Richard , J , lawless : Telmegan capital de Magrib, (n - ٢١
,n)
- ٢٢- الفيلاي ، عبد العزيز ، تلمسان فى العهد الزياني ، ط ١، (الجزائر ،
٢٠١١م) ص ٢٠٣

الملاحق





لصناعات نحاسية تلمسانية



مد الزكاة المرينى الذي عثر عليه فى تلمسان تاريخه ٧٣١-٧٤٩ هجرية
١٣٣١-١٣٤٨ م

نموذج من الزجاج المعشق



**دور التوثيق في خدمة
وصيانة المجموعات المتحفية**

**أ.د. عبدالحق معزوز
معهد الآثار / جامعة الجزائر ٢**

يعتبر التوثيق من أهم العناصر الأساسية القوية التي يركز عليها موضوع أمن وسلامة التحفة داخل وخارج المتحف، ولذلك فإنجاز ملف يوثق مختلف تنقلات المجموعات المتحفية أمر غاية في الأهمية، الأمر الذي جعل المؤسسات المتحفية والمختصون من العلماء ينكبون في الآونة الأخيرة على هذا الموضوع بالنظر إلى أهميته وخطورته، ومن جاء اهتمام المنظمة الأومية بهذا الموضوع فأنشئ له مجلسا دوليا عام ١٩٩٦م لهذا الغرض CIDOC غايته تطوير المنظومة التوثيقية للمجموعات المتحفية بغرض حمايتها من الزوال عند الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية.

ويتضمن ملف توثيق المجموعات مجموعة من الخطوات لا يمكن بأية حال من الأحوال التغاضي عنها أو تجاهلها من أهمها:

أ- الملف البياني أو الوصفي:

ويقصد بالملف الوصفي الميزات التطابقية للتحفة. وهي المعلومات الوصفية التي تدون عندما تدخل التحفة لأول مرة إلى المتحف، وخاصة رقم التسجيل الذي يكون وحيدا وغير مكرر ونهائيا أيضا، كما يستحسن إضافة علامة تدل على ملكية التحفة لمتحف ما، مما يساعد على معرفة التحفة في حال تعرضها للسرقة.

ب - الملف الفتوغرافي والوصفي:

بعد دخول التحفة إلى المتحف ينبغي أخذ صور لها مباشرة وبدون إطالة، فطبيعتها يمكن أن تحدد عدد الصور التي تؤخذ لها، ومن أي زاوية تؤخذ، والتفاصيل التي تصور. ويجب تدعيم هذا الملف التصويري بملف وصفي كتابي يحمل الخصائص والمميزات التي لا تظهر على الصورة؛ مثل المقاييس، والوزن، والمادة، واللون، وطريقة الصنع، والعناصر الزخرفية، وتقنيات الزخرفة.

علاوة على مميزات أخرى متطابقة للتحفة والتي ستسمح بالتعرف عليها بسهولة عند ضياعها داخل مجموعتها أو ضمن صنفها.

وينبغي أن يكون الوصف بسيطاً بلغة مفهومة لأن الوصف العلمي قد لا يفهمه عون الأمن، كما يجب أن يحتوي الملف الوصفي على وصف دقيق ومفصل لحالة التحفة، بتعاليق دقيقة حول أماكن وجود مواقع التلف.

ج- حماية الملفات البيانية أو الوصفية:

يجب وضع الملفات البيانية الكتابية في حافظة أوراق واقية وخالية من الحمضيات، والملفات التصويرية يجب وضعها في أغلفة خاصة واقية ضد الرطوبة. ويحفظ الكل في خزانة حفظ، أو في حافظ مانع لنفوذ للسوائل، ومقاوم للحرائق ويغلق بمفتاح.

وأما كيفية الوصول إلى هذه الملفات فينبغي أن يخضع لمراقبة جيدة، وأن توضع ضوابط للشخص الذي يسمح له بمراجعة هذه الملفات (تغييرات، إضافات تحويرات...الخ.) بعد إذن من المحافظ أو من المدير. ينبغي تصوير نسخة من هذا الملف على الميكروفيلم أو الميكروفيش وحفظها في موضع مستقل خارج عن المتحف كالبانك مثلاً.

د- مراقبة التنقلات الداخلية:

١- سجل تواجد التحفة:

بالإضافة إلى الملف الوصفي والتصويري للتحفة، يهدف السجل المركزي إلى تحديد دقيق لا الالتباس فيه للوقت والمكان الذي توجد فيه التحفة، إن في قاعات العرض أم في مستودعات التخزين. ونظراً لأن التحفة كثيراً ما تنقل بغرض الدراسة والبحث، مما يجعل مراقبتها نوعاً ما صعبة. ومما يزيد الأمر صعوبة أكثر بالنسبة لتحديد موضع التحفة، هو ضيق مساحة التخزين والعرض

بالنسبة لبعض المتاحف، الأمر الذي يجعل تدوين ذلك في السجل المركزي عملية صعبة وغير مجدية بسبب التنقلات الكثيرة واليومية للتحفة (لأغراض دراسية أوللصيانة والترميم)، ومع ذلك ينبغي العمل على التقيد بهذا الإجراء لأنه صمام الأمان ويساهم في توفير الأمن والسلامة للتحفة.

ولكي نعرف بدقة مكان التحفة ينبغي تتبع الخطوات الآتية^(١):

- **الوصل أو البطاقة:** في العادة قبل نقل أي تحفة من مكانها إلى مكان آخر لأسباب ما -معرض، تصوير، ترميم، دراسة، وضعها في مخزن- يحرر بشأنها بطاقة أو وصل في نسختين، عليه تاريخ الخروج، و يوضح فيه أسباب الانتقال، المكان الجديد المنقول إليه، المدة الزمنية المحتملة، اسم وصفة الشخص المسئول طيلة هذه المدة، رخصة المحافظ أو المدير. ويحفظ الوصل الأصلي في ملف اقتناء التحفة، حتى يمكن تتبع مراحل انتقال التحفة.

- **دورات التفتيش والمراقبة:** ينبغي القيام بدورات تفتيشية للتحف بصورة فجائية و غير معلنة، وذلك في إطار الحيطة والحذر والاحتراس من السرقة. كما يمكن لإطارات الوصاية - مفتشي الآثار - تنظيم دورات تفتيشية فجائية منظمة من حين إلى آخر إلى أحد المؤسسات المتحفية، وذلك للوقوف على مدى جدية التنظيم ودرجة الاستعداد ونظام المراقبة في هذا المتحف، ثم يحرر تقرير بذلك بعدة نسخ، تحفظ نسخة منه في أرشيف الوصاية، ونسخة تحفظ في أرشيف المتحف.

- **ملف الجرد الخاص بالمخزن:** كل تحفة محفوظة في قاعات التخزين إل اويكون مكانها معلوما ومعينا، كل قاعة أو خزانة أو رفا من الرفوف وحتى الجدران، يجب أن يكون الكل مرقما ومعلوما بدقة فائقة. يستحسن وضع خارطة

(١) -Robert G. tilloston, Op cit,p37.

لقاعات التخزين تؤشر فيها هذه الأماكن بدقة دون أن ننسى تصوير كل قاعة على حدة، بوجود كل تحفة في مكانها، ويكون هذا المكان مطابقا للمخطط المنجز. وعند نقل التحفة يحزر وصل بشأن ذلك، على الصورة المذكورة سابقا، ويحفظ الأصل في الملف، والنسخة تبقى في مكان التحفة. وعند رجوع التحفة إلى مكانها يرسل الوصل إلى ملف الاقتناء ويؤشر عليه تاريخ العودة واسم الشخص الذي قام بالاستلام. ويحرس على أن تكون قوائم المراقبة مضبوطة ومنجزة في حينها.

وللمزيد من الحيلة يوضع على مدخل باب المخزن سجل تدون فيه المعلومات الضرورية لكل شخص يدخل إليه-اسم الشخص، وظيفته أو درجته، تاريخ الدخول، ساعة الدخول والخروج، وسبب الدخول- ولعل وجود قفل مسجل إلكتروني يفتح ببطاقة مغناطيسية مشفرة يكون أكثر نجاعة من الوسائل الأخرى.

- **جرد التحف المعروضة في المتحف:** ينبغي أخذ صورة لكل قاعة من قاعات المتحف، والقيام بمراقبة يومية للتحف المعروضة بمساعدة قائمة التحف ويستحسن أن يكون ذلك قبل الافتتاح، فضلا على المراقبة التي يقوم بها الحراس كل في المنطقة المسئول عنها، مستعينين في ذلك بقائمة التحف وصورها التي يكونون قد تزودوا بها مرتين في اليوم، قبل بداية عملهم وقبل الخروج.

هـ- مراقبة التنقلات الخارجية:

بنفس الحرص والجدية يتم مراقبة كل حركة لأي تحفة تتم خارج المتحف، بل ربما تكون درجة الحيلة أكثر بكثير من الداخل، لذلك ينبغي تشديد المراقبة على كل عملية يقوم بها المتحف خارج مقراته مع المؤسسات الأجنبية مثل^(١):

١- الإعارات: تدخل الإعارة ضمن النشاطات العادية للمتحف، ولا ينبغي أن تكون إلا مع مؤسسة تكون فيها شروط الأمن والحماية على نفس الدرجة مع المؤسسة المعيرة، ولا تعار التحف للأشخاص مهما كانت المدة الزمنية.

إذا تجاوزت مدة الإعارة لتحفة مهمة أكثر من سنة، ينبغي المطالبة باسترجاعها، ويوصى بتنقل شخص علمي إلى المؤسسة المستعيرة - مرة في السنة - لفحص التحفة وتحرير تقرير بحالتها، وفي غضون ذلك، يقدم محافظ المؤسسة المستعيرة تقارير وصور تبرز وتوضح حالة التحفة ومكانها.

٢- توثيق تنقلات التحفة: يعتبر التوثيق من أهم العناصر الأساسية القوية التي يركز عليها أمن وسلامة التحفة، ومن ثم فإنجاز ملف يوثق مختلف تنقلات التحفة أمر في غاية الأهمية. لذلك ينبغي وضع بطاقة خاصة بكل تحفة تخرج من المتحف، يوضح فيها التعليمات الضرورية الموجودة أعلاه تحت عنوان الإعارة الداخلية، تؤخذ الصور من أهم زوايا التحفة قبل الرزم وأثناء الرزم. فضلا عن تحرير وصف كتابي بحالة التحفة مرفوقا بسند النقل، وعند فتح العلبة في مكان المرسل إليه يحزر تقرير عن حالة الرزم والتحفة ويمضى من طرف المكلف بفتحها .

٣- تحف في حالة العبور: **Obgets En Transit** زيادة على الملفات السابقة ينبغي تأشير كل حركة للتحف في أماكن العبور والتوقف بكل دقة

(١) -Robert G. tilloston, Op cit,pp 39-41.

وعناية على البطاقة المهيأة لذلك. وفي كل مرة تصل التحف إلى المكان، على المستلم أن يسجل تاريخ وساعة الاستلام والتفريغ. إذا حدث وأن تعرض الصندوق أو العلبة للفتح من طرف أحد الوسطاء، يحضر تقرير مفصل عن ذلك، توضح فيه أسباب الفتح وظروف التحفة، اسم الشخص الذي تولى فتح العلبة وإرسالها.

وإذا تعذر على الموظفين ولأسباب قاهرة العمل وفق ما هو مشار إليه سابقا، فلا بد من الاحتفاظ بالشروط القاعدية الدنيا للعمل وتتمثل في:

أ- تحرير وصف كتابي مفصل بكل تحفة عن حالتها مع الإشارة إلى صناعتها إن كان ذلك ممكنا - أو إلى زخرفة مميزة غير عادية أو غير مألوفة، ويرفق التقرير بصورة أو بصور عديدة.

ب- ينجز ملف الجرد في حده الأدنى، ويجب أن يشتمل على مراقبة نصف سنوية لوجود كل تحفة في مكانها، فضلا عن صور لكل القاعات والمخزن.

ج- يوضع سجل بالمقتنيات داخل مستودعات التخزين.

د- يجب إنجاز ملف مصور بكل المعروضات، والقيام بمراقبة يومية لكل قاعات العرض من طرف أحد الأشخاص العلميين للاطمئنان على سلامة وأمن التحف المعروضة.

هـ - ينبغي مراقبة التحفة المسافرة عند نقطة العبور وعند وصولها أثناء رحلتها في طريقها إلى وجهتها النهائية، كما سبق وأن بينا في عنوان التحفة العابرة.

و- وفيما يخص الإعارة، على المستعير أن يحضر تقارير دورية عن حالة التحفة ومكانها مرفقة بالصور كما سبق وأن أشرنا.

التوثيق في خدمة الصيانة:

من الناحية التقليدية، فإن التوثيق في المتاحف مرتبط بتسجيل المعلومات الخاصة بالتحفة (تاريخها، مدلولها أو ماهيتها، أصلها ومظاهرها الفيزيائية) وحركيتها أو مسارها (شراء، هبة، إيداع، إعاره^(١)). إن الطلب الواسع للمعلومات، يتوافق مع التغيرات السريعة في عالم الاتصال، وهو يحتم على الموثقين في المتاحف طرح أسئلة جديدة تستجيب لهذه التحولات السريعة. ما هي المعلومات الجاهزة حالياً؟ ما نوع المعلومات المكتملة التي نحن في حاجة إليها، سواء لاستعمالها من طرف المختصين والمحترفين أو لتقديمها للجمهور العريض؟ من ذا الذي تسند إليه نشر المعلومات داخل المتحف؟ كيف وبأي طريقة يمكن نشر وإيصال المعلومات؟ . من أجل ذلك كله أنشأ المجلس الدولي للمتاحف لجنة دولية للتوثيق (CIDOC) غايته مساعدة المتاحف في إيجاد الحلول لإشكالية التوثيق ونشر المعلومات.

وانطلاقاً من مبدأ لكل متحف نظام معلوماتي خاص يناسب مجموعاته يوظف:

- أ- كأداة لتسيير مجموعاته ومصدراً للمعلومات لمشاريع الاقتناء .
 - ب- لحماية التحف من الاستعمالات غير الضرورية .
 - ج- حتى تكون المجموعات المتحفية منارة للعلم والمعرفة .
- تلکم هي التوصيات التي رفعتها هذه الهيئة، ووافقت عليها ندوة الجمعية العامة للمجلس الدولي للمتاحف عام ١٩٨٩^(٢).

((1)) – Jeanne Hogemboom, Introduction à la problématique de la documentation muséale, Cahier d'étude, Icom no.3, ,p 3

((2)) – Jeanne Hogemboom, op cit, ,p3-4

إن عملية التوثيق المحكم والمنظم هو بكل بساطة "تنظيم المعلومات" يعنى وضع منهج علمي دقيق للمعلومات. وبتعريف آخر يعتبر التوثيق الأداة المهنية لتطوير وتنمية المتحف سواء عبر إنجاز البطاقات التقنية أو عبر تخزين المعلومات داخل الحاسوب الذي صار يعد الحل الأمثل في وقتنا الحاضر سواء في توحيد المصطلحات والمفاهيم أو في نمط البطاقات المستعملة.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى الأعمال والمجهودات التي قام بها "CIDOC" في العشرية الأخيرة من القرن العشرين، حيث ساهم في إعداد موجز لمعايير توثيق المجموعات المتحفية الإفريقية في إطار برنامج أفريكوم^(١) AFRICOM. كما أنجزت في الآونة الأخيرة عدة أنظمة في أوروبا، تهدف كلها إلى ضبط معايير توثيق المجموعات المتحفية التي تعتمد في الغالب على الصورة، أو على منسوخ لها ووصف دقيق ومفصل للتحفة بهدف معرفة وتحديد تبعية التحفة لمجموعة متحف ما^(٢). وتسهيل عملية التسيير العلمي للمجموعات وسرعة الوصول إليها، ولعل أحسن ما وصلت إليه علوم البرمجيات في هذا الصدد هو نظام ميكرومير "MUCROMUSEE" الشبيه بموبيدوك "MOBYDOC" الذي أعد خصيصا لتوثيق المجموعات المتحفية، وهو يتميز من غيره بمزايا عديدة لأنه نظام متعدد الاختصاص، يمكن استعماله في جميع أنواع المتاحف، مثل متاحف الفنون والآثار، والإثنوغرافية والعلوم الطبيعية وغيرها من التخصصات الأخرى، فهو يسمح بتسيير مجموعات كل هذه الأنواع من المتاحف . بل وأكثر من ذلك فهو عبارة عن قاعدة بياناتية

((١)) - للتذكير فقد أرسلت نسخة منه إلى المتحف الوطني للآثار في عام ١٩٩٤ للإثراء وإبداء الرأي، وقد أعدت ملاحظات بشأنه وأرسلت إلى أفريكوم.

((٢)) - Jeanne Hogemboom, op cit, p-4

ترابطية موجهة للتحفة وهو يشمل على بيانات كثيرة متنوعة ومفصلة، تخص تاريخ التحفة، وطرق صناعتها، ومكونات موادها، واستعمالاتها، وطرق الاقتناء، والتدخلات عليها.

وتمر صيانة وحفظ المجموعات عبر نمطين من التعامل التوثيقي:

١- النمط الأول وهو التعامل غير المباشر مع التحف ويشمل:

أ- التسجيل الأولي لدخول التحفة في السجل الإداري، والذي ينبغي أن تسجل فيه المعلومات الخاصة بتاريخ الدخول، واسم التحفة، والحفريات التي جاءت منها، أو اسم الشخص الذي أهداها للمتحف أو باعه إياها أو أودعها فيه، مع إرفاقها بوصف مختصر للتحفة، ويسمى هذا التوثيق بالتسجيل الإداري للتحفة أو الجرد الإداري.

ب- التسجيل العلمي: وهو العمل الذي يلي مباشرة التسجيل الإداري للتحفة، وفي هذا التسجيل تضاف عناصر أخرى من المعلومات أكثر دقة من المعلومات الإدارية، كرقم الجرد في سجلات الجرد، والقياسات أو الأبعاد، واللون، ومادة الصنع، والوظيفة والبلد والمصدر والصانع والمكتشف والتاريخ والتصوير الفوتوغرافي والملاحظات الخاصة بالتحفة، زيادة على المراجع والمصادر التي لها علاقة بالتحفة، ويمكن إضافة معلومات أخرى كلما دعت الحاجة إلى ذلك، من أجل تجلية الحقيقة والتعريف بالتحفة أكثر، وتسمى هذه العملية بالتسجيل العلمي أو الجرد العلمي (راجع بطاقة الجرد العلمي).

٢- النمط الثاني : ويتعلق بالحفظ العملي المباشر مع التحفة، ويتلخص في:

أ- المراقبة البيئية: وجوب المراقبة المستمرة لبيئة التحفة من أجل معرفة نسبة الرطوبة، وكمية ونوع الضوء النافذ إليها، ودرجة الحرارة في محيطها، وطريقة الحفظ وأسلوب العرض داخل المخازن وقاعات العرض، ومعرفة مدى تطابق

ذلك مع المقاييس الموصى بها في هذا الشأن، وكذلك تحديد العلاقة بين محيط التحفة وظروف الحفظ.

تقديم الحلول العملية والمناهج العلمية والتطبيقية لظروف وأساليب والتخزين، وخاصة ما يتعلق بالمواد التي تستعمل في الحفظ كالحاويات والصناديق والرفوف والخزانات وما إلى ذلك من وسائل الحفظ والعرض، في إجراء يهدف إلى الحد من العوامل المسببة للتلف إلى أقصى حد ممكن.

ب- الترميم: وتتخلص مهمته في الإصلاحات المباشرة على التحفة للمحافظة على طابعها الأصلي، وتعتمد هذه العملية على البحث العلمي لكل تحفة أو مجموعة مكوناتها المادية خصائصها الفيزيائية والكيميائية نوع وطريقة الإصلاح والترميم الذي يجب أن تخضع له التحفة، وذلك بعد الفحص العلمي، بالنص والصور الفوتوغرافية، وينبغي الإشارة إلى ضرورة توثيق هذه العملية بجميع مراحلها، ويستحب تسجيلها بالفيديو زيادة على الصور، مع مراعاة شروط وقوانين حركة انتقال المقتنيات الأثرية في كل خطوة تعرفها التحفة، سواء دخولها إلى مخبر الترميم لإجراء فحوصات عليها أو لترميمها، وسواء خروجها إلى قاعات العرض داخل أو خارج المتحف، وفي هذه الحالة ، هناك شروط ومقاييس أخرى لضمان حمايتها منذ خروجها من المتحف حتى تاريخ دخولها، وهي:

١- بطاقة الخروج : ضرورة إعداد بطاقة الخروج التي ينبغي أن تسجل فيها كل المعلومات المتعلقة بالتحفة وسبب خروجها والمكان الذي هي ذاهبة إليه، ومدة الإقامة إن أمكن بالنسبة للمعارض وتاريخ الدخول.

٢- التأمين: ضرورة بل وجوب تأمين التحفة ضد الأخطار التي قد تتعرض إليها أثناء النقل وطيلة وجودها خارج المتحف، حتى وإن كان التأمين لا يعيد

التحفة في حالة الضياع، ولكنه يشدد الحرص على سلامتها لأنه يفرض أساليب وطرق شديدة لنقلها من مكان إلى آخر وفق معايير تتناسب وجنسها وطبيعتها، كاحترام نسبة الرطوبة عند نقلها برا كان أم جوا أم بحرا، وعدم تعريضها للتغيير المفاجئ للرطوبة النسبية، كما يجب حمايتها من أشعة الشمس المحرقة، وعدم تعريضها للأشعة المباشرة لمدة طويلة عند نقلها برا، كما ينبغي أيضا حسن اختيار وسيلة النقل.

٣- معايير الرزم: ضرورة احترام شروط الرزم والنقل بما يوافق المقاييس المعمول بها دوليا ووفق ما يوصي به المختصون في هذا المجال حسب طبيعة وخصوصية كل مادة، لذلك ينبغي اختيار ما يناسب المادة مع مراعاة ظروف النقل، وطبيعة وسيلة النقل وأخذ أقصى درجات الحيلة، لاسيما توفير الحماية للتحفة داخل وسائل الرزم، من درجة الحرارة ونسبة الرطوبة النسبية وغير ذلك من الإجراءات الاحترازية، مثل حسن اختيار التصاميم المناسبة التي تحمي التحفة من الصدمات والارتجاجات العنيفة، وضمان عدم تسرب الماء والهواء داخل حاويات النقل، كما ينبغي استحكام الأقفال بإحكام ووضع مخففات الصدمات حول التحفة، ويستحسن أن تكون هذه المخففات لينة حتى تستطيع امتصاص الصدمات الناتجة عن المنعرجات والاهتزازات والإقلاع والهبوط وأمواج البحر.

٤- الصور: يضاف إلى ما سبق ذكره من شروط الحماية عبر التوثيق، ضرورة أخذ مجموعة من الصور للتحفة الواحدة من زوايا مختلفة ومتعددة قبل وبعد رجوعها من المعرض أو من مخبر الترميم، وذلك من باب الاحتياط والحفظ الوقائي لمعرفة مدى ما طرأ عليها من تغيير أو من كسور .

إن مهمة الصيانة الوقائية للتحفة ضرورية و لا تحتاج إلى التأكيد عليها،

ذلك لما توفره من سلامة وأمن لهذه الأخيرة أثناء كل الحالات التي تكون عليها. والصيانة الوقائية هي إجراء عملي أولي على محيط التحفة لتوفير المناخ المناسب لها وتجنبها الضرر الذي قد يلحق بها في الحالات التي سبق ذكرها (التخزين العرض النقل)، وقد قيل الوقاية خير من العلاج

الصيانة الوقائية:

- تُعرَّف الصيانة على أنها مجموعة من الخطوات الإجرائية التي تؤثر على المحيط المباشر للتحفة بهدف مراقبة عناصر التلف من أجل إطالة عمرها من جهة وحمايتها من العوامل الآتية من جهة أخرى.

- الرطوبة.

- الحرارة.

- الأكسجين.

- والصيانة عملية معقدة، تتطلب آليات وخبرات ومعارف عميقة لدى ممارسيها حتى يتسنى لهم القيام بها على أكمل وجه. لذلك فاللصيانة مفهوم يقوم على مناهج ومبادئ علمية تستند على ثنائية الثابت والمتغير، فالثابت فيها هو جوهر العمل في حد ذاته الذي لا يتغير، وهو غاية العمل الذي يتمثل في الحفظ والوقاية، بينما المتغير هو الوسائل والطرائق والمناهج التي تكون عادة عرضة للتبديل والتغيير وفق ما تقتضيه الحالة والضرورة.

- من ذلك يتجلى مفهوم الصيانة الذي هو مفهوم وقائي بالدرجة الأولى وعلاجي بالدرجة الثانية، بعد تشخيص سليم للتحفة.

وفي هذا السياق يقول الباحث جرايم جرايدنر Graeme Gardiner: "الصيانة أزيد من فترة فاصلة في مسار حلزوني متجه نحو العطب". بمعنى أن الصيانة تمدد من فترة حياة التحفة وتزيد في عمرها بمقدار يفوق المسار الحلزوني المتجه نحو العطب.

وتعتبر الصيانة أسلوباً جديداً وحديثاً مقارنة بالترميم. وتتطلب تحقيق ثلاثة عناصر هي لها كالأكسجين للحياة.

الدراسة التقنية :

تشكل الدراسة التقنية أو العلمية للتحفة أو للمجموعات المتحفية أولى مراحل الصيانة الحديثة لمعرفة بنيتها الأساسية، والعناصر المكونة لها لتشخيص الضرر والتلف الذي لحق بها، مع التحقق في الجانب التقني، والتأكد من الوثائق التي تتعلق بظروف اكتشاف التحفة ومسارها التاريخي أثناء وجودها داخل المتحف، كظروف العرض والتخزين، أو خارجه قبل دخولها إلى المتحف، كالظروف المحيطة بالاكشاف وأنواع التدخلات التي أجريت عليها، والدراسات التي تتعلق بها، خاصة التقنية منها والفنية، كطريقة الصنع ومادة صنعها والمجموعة التي تنتسب إليها ووظيفتها الأصلية، وغير ذلك من المعلومات العلمية والفنية الضرورية التي تتعلق بالتحفة أو المجموعة ككل.

ب- المحافظة:

بعد الدراسة التقنية تأتي المرحلة الثانية وهي المحافظة، وتعتبر المحافظة من المراحل الأساسية والحاسمة في حياة التحفة، إذ تتعلق بها ديمومة التحفة وبقاؤها، ويلجأ إلى المحافظة، لكونها تعمل على تأخير الضرر وحماية التحفة من الفساد والتلف الذي قد تتعرض إليه أثناء النقل والتخزين والعرض، وتتم هذه العملية، عن طريق ضمان المراقبة المستمرة لمحيط المقتنيات الأثرية وبيئتها، أو مراقبة الوسط الذي تعيش فيه، ومعالجة بنيتها بغرض صيانتها وتأمينها ومنحها وضعاً مناسباً يساعد على استقرارها، ويعمل على تمديد وإطالة عمرها لأطول فترة زمنية ممكنة.

ج- الترميم:

يدخل ضمن مفهوم الصيانة الترميم أو الإصلاح، والترميم هو آخر مرحلة يلجأ إليها الصائغ في حالة وقوع تدهور خطير على وضع التحفة،

ويعتمد الإصلاح على توفير المعلومات التي ذكرت في العنصر الأول وهي الدراسة التقنية، إذ لا يمكن مباشرة أعمال الترميم دون توفير كل المعلومات الضرورية الخاصة بالتحفة، ولذلك فالصيانة الوقائية بشقها العلمي تعتبر مقدمة للترميم.

على أن الترميم يختلف عن الصيانة، فإذا كانت الصيانة تهدف إلى توفير الشروط الضرورية لحماية التحفة، وإيجاد الوسط المناسب لضمان استقرارها وحمايتها من التلف، وهي ظاهرة جديدة نسبياً، إذ لم تأخذ بعدها الحقيقي إلا في الثلاثين سنة الأخيرة فقط^(١). فإن مفهوم الإصلاح يقتضي التدخل المباشر على التحفة، وهو بذلك معاكس لمفهوم الصيانة. فالترميم هو العمل المنجز من أجل إصلاح التحفة المصابة بضرر أو بعطب واضح (كالشق أو الكسر)، أي يجب التدخل المباشر عليها لجعلها أكثر فهما ووضوحاً للأثري، مع إمكانية التضحية بالحد الأدنى من كمال جمالها وتاريخها. ويرتكز عمل الترميم خاصة والحفظ عامة، على الفهم الجيد للمظهر المادي للمقتنيات الأثرية، التي لها بعدا تاريخيا وفنيا بغرض حفظها ووقايتها من الضياع، والقدرة على تقديم فهم جيد يسمح التمييز والتفريق بين ما هو أصلي وما هو غير أصلي.

(١) - جرايم جاردنر، نفس المرجع، ص ٥٤.

**الكتابة التاريخية وتحقيق التراث
المخطوط عند العلامة الجزائري "محمد
بن أبي شنب"**

د. موسى هيصام

جامعة " يحيى فارس " بالمدينة - الجمهورية الجزائرية

يعتبر الدكتور محمد بن أبي شنب (١٢٨٦ - ١٣٧٤ هـ / ١٨٦٩ - ١٩٢٩ م)^(١)، واحدا من المفكرين الأفاضل الذين أنجبتهم الجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، إذ لم تقتصر شهرته على هذا القطر وحده، بل تعدته إلى خارج الجزائر، بتحوله إلى مؤلف عالمي، بما أتيقنه من لغات عدة، وما تحكم فيه من علوم مختلفة، ومشاركته في مؤتمرات علمية عالمية، وكتابته في أرقى الدوريات والموسوعات، وطبعه لمصنفاته وما حققه من مخطوطات، في أشهر دور النشر المحلية والدولية آنذاك، على غرار ما أصدره من مقالات في دائرة المعارف الإسلامية، والتي شملت المجالات والفنون المختلفة، خاصة اللغة والأدب وهو مجال تخصصه العلمي، والذي أهله لانتخابه عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وكذا المجمع العلمي الفرنسي - الاستعماري - بباريس Académie du Sciences Coloniales De Paris ، وخاض العلامة بن أبي شنب في فن التاريخ وتحقيق المخطوط، سواء ما ألف منها في العهد الوسيط، أو العصور الحديثة والمعاصرة.

ومما لا شك فيه أن شخصية بهذا الحجم انطلاقا من صورته التي اعتدنا رؤيتها له بلباسه الجزائري الأصيل، تمثل أكثر دلالة على أن الرجل بهندامه المتميز، وبامتلاكه لخاصية لغات متعددة، أهله للخوض في تخصصات وفنون شتى، وبفطنته وملكته، استطاع أن ينفذ ويتحرك بها بين الأوساط والهيئات والمؤسسات الاستعمارية المختلف.

ويخال لي أن الرجل اتخذ لنفسه طريقة خاصة في مقاومة أساليب السياسة الاستعمارية، فكان توجهه نحو تحقيق وإحياء التراث التاريخي للأمة، بأبعادها المختلفة الجزائرية والمغربية، والعربية والإسلامية، وجعلها وسيلة لتمييز الذات

الجزائرية، والتعريف بخصوصية انتمائها، المختلفة جذريا عن الذات الغربية. ففي الوقت الذي كان غيره من بني جلدته ينكر وجود الأمة الجزائرية وامتدادها الضارب في التاريخ، راح العلامة الدكتور محمد بن أبي شنب يستنطق الموروث التاريخي لأمته، مستدلا في ذلك برصيد وتراث الحضارة الجزائرية العريقة وغيرها، بأبعادها المتنوعة، ووظيفها ليقول للآخر أنني هاهنا من بين أفراد هذا الشعب، الذي أردتم طمس شخصيته، وسلب كيانه وهويته، حيث دأب على التعريف بالتراث الثقافي الجزائري خصوصا، والمغاربي عموما، فقدرت أعماله بخمسة وستين عنوانا، فضلا عن المقالات المنشورة في مجلات عربية وفرنسية وألمانية وإيطالية، وتحقيقاته لنصوص عربية وإسلامية مختلفة ومنها التاريخية، رغم أن الآخرين ناقضوا هذا الرأي، واعتبروا أن العلامة خدم الإستشراق والثقافة الفرنسية أكثر من خدمته للتوجه الوطني والقومي للأمة بأبعادها المختلفة^(٢).

فكان من الواجب على المشتغلين في حقل الدراسات التاريخية، تسليط الضوء على أعماله التي ارتبطت بهذا الجانب، فجاءت مساهمتي هذه، محاولة لإبراز اهتمامات الدكتور محمد بن أبي شنب بهذا العلم أو الفن، وذلك بتقديم نماذج عن اهتماماته وكتاباته، ومنهجه في عرض المادة التاريخية، مستخلصا في الوقت نفسه مدى استفادة الباحثين المتخصصين من رصيده المدوّن.

نظر ابن أبي شنب إلى التاريخ نظرة العلامة ابن خلدون، باعتباره فناً كثير الفوائد، يوقف الباحث عند أحوال الماضين من الأمم، ويقود إلى الاقتداء بهم، وأخذ العبر من سيرهم، وتوجيه الأمة للاعتزاز بتراثها، والتعريف بحضارتها وعمرانها، وتميزها عن غيرها^(٣).

أولا:

اهتم العلامة محمد بن أبي شنب بتحقيق الكتب التاريخية التراثية الجزائرية، ومنها: كتاب أبي العباس أحمد الغبريني^(٤)، الموسوم بـ "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"^(٥)، والذي طبعه بالمطبعة الثعالبية بالجزائر سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، مبررا أهميته في المقدمة التي خصّ بها الكتاب بالقول: "أورد فيه مؤلفه في تراجم علماء عصره، وأخبار مصدره، ما يحتاجه المتشوق إلى فرائد الفوائد، والمتشوق إلى أوابد العوائد، مع ذكر مؤلفاتهم وسيرهم في مذاهبهم وعاداتهم... الخ"^(٦).

وعمل في إنجازه لهذا العمل على المقارنة بين نسخ عدة، جمعها بين يديه عند مباشرته لتحقيقه هذا الكتاب، متخذا التوثيق والأمانة العلمية (الإحالة) وسيلة لذلك، حيث اعتمد على نسخة أصلية كانت موجودة في المكتبة الوطنية الجزائرية، ونسخ ثلاثة أخرى خاصة :

- واحدة لفقيه عبد الرزاق الأشرف قاضي باتنة (محافظة جزائرية) آنذاك.
- والثانية لعلي بن حاج موسى الإمام بمسجد عبد الرحمان الثعالبى (أين يوجد ضريحه) بالجزائر العاصمة.
- والثالثة للأديب أبي القاسم محمد الحنفاوي المدرس بالمسجد الكبير(بساحة الشهداء)-بالجزائر العاصمة- حينها.

واعتبر بعض الباحثين والمحققين لنفس المصدر، أن النسخة التي أنجزها ابن أبي شنب عدت بمثابة نسخة أصلية، استنادا إلى شكل إخراجها، وقدرة محققها على التمهيص والتتقيب والدقة في تثبيت المادة التاريخية التي أوردها وتميز بها^(٧).

والمصدر المذكور ألفه صاحبه ما بين ٦٦٩-٦٩٩هـ/١٢٧٠-١٢٩٩م، بغرض التعريف ببرجال السند والترجمة لهم، حتى تكون سيرهم ومزاياهم العلمية

ذات فائدة بالنسبة للمتلقين لهذا المصنّف.

أما عن منهجية التأليف التي اعتمدها صاحبه، فتمثلت في حصره وترجمته لمشاهير المائة السابعة من علماء بجاية، من سكانها الأصليين أو الوافدين على المدينة، فبلغ عدد الشخصيات التي ترجم لها بمائة وتسعة وأربعين (١٤٩) شخصية قسمت كالتالي:

- تراجم البجائيين والجزائريين ومن يتصل بهم.
- تراجم الأندلسيين الذين حلوا ببجاية ونواحيها (المهاجرين).
- تراجم الوافدين عليها من بلاد المشرق^(٨).

وبالموازاة مع هذه التراجم أشار ابن أبي شنب للأهمية التاريخية والقيمة العلمية لهذا المصدر، بتتبع واقع الحياة الاجتماعية بالمدينة في القرن السابع الهجري، وكذا الأحداث السياسية التي ميزت حاضرة بجاية آنذاك، إذ مثلت منطقة استقطاب مركزية للعلماء والتجار، كما استهوت بالمقابل الغزاة، فكان نشاط أسطولها البحري عاملا بارزا في تفعيل الحركية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع البجائي، وخاصة إبراز دور الأسرى في التأثير والتأثير في البيئة الجديدة للمنطقة.

كما أرخ المصدر لبداية فترة الانحطاط بالمغرب الإسلامي، على غرار ما شهده المشرق، فقد أهمل سكان بجاية اهتمامهم بالعلوم الرياضية التي ذاع صيت المدينة بها في فترات سابقة لهذا العهد، ومالوا للاعتقاد بالكرامات، وخوارق العادات، وظهور المتصوفة الذين أصبحوا يجمعون أتباعهم، ويسافرون من مكان لآخر، بحثا عن العزلة لتجسيد المعاني السامية للعبادة في نظرهم. أما عرضه للكتاب، فتم بتحديد فهرس خاص بالتراجم، وآخر بالمطبوعات، محددا صفحاتها حسب ترتيب الحروف الهجائية^(٩).

أما الكتاب التاريخي الثاني الموسوم بـ: "الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية"، فطبع بمطبعة "جول كربونل" بساحة الدولة - الجزائر - سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩٦٠ م، ويقع في مائتين وخمسة وثلاثين (٢٣٥) صفحة، تدرج فيه مؤلفه من مقدمة، بدأها بالدعوة إلى نصره أمير الدولة المرينية "أبو سعيد يعقوب بن عبد الحق"، شارحا أسباب تصنيفه له، والمتمثلة في التأريخ لأيام الدولة المرينية وما وقع فيها من الحوادث والفتوح، مستندا في ذلك إلى أهل العلم والمشايخ الثقات العارفين بالأنساب^(١٠).

ليتدرج بعدها بتقسيم مؤلفه إلى عشرة أبواب، خص كل باب منها بالأحداث التي عاصرها كل أمير حكم الدولة المرينية على حده.

وقد اعتمد الدكتور ابن أبي شنب في تحقيقه لهذا المصنف التراثي على الطريقة العلمية الأكاديمية، بتوظيف التهميش (الإحالة) أداة لتوضيح الكلمات الغامضة الواردة في النص الأصلي، مستعينا أحيانا باللغة الفرنسية لشرح المعاني المختلفة^(١١)، ودمجها بالطريقة التقليدية في سرد الأحداث الكرونولوجية، ومنها أحداث سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م، بسرد وفيات بعض الفقهاء والعمال... إلخ^(١٢)، على سبيل المثال لا الحصر.

وعمل ابن أبي شنب على إنجاز فهرس ضمنه أبواب الكتاب محددات صفحاته، وفهرسة لأسماء الرجال والنساء والقبائل التي احتواها المصنف، ثم رتبها حسب الحروف الأبجدية، متبوعا بفهرس للأماكن، ثم ذيله بالبيبلوغرافيا التي اعتمدها في توثيق التحقيق والتعليق عليه، موظفا تخصصه الأدبي ليضفي لمسة خاصة عليه، بإدراجه ضبطاً خاصاً بالأبيات الشعرية الواردة في النص الأصلي، مع تحديده لأنواع بحور الشعر التي نظمت بها أبيات تلك القصائد^(١٣).

وعليه من خلال الإطلاع على أصل هذا التحقيق تبين لنا التزام الدكتور بن شنب بالطابع الأكاديمي لمدارس البحث العلمي الحديثة، مع مزاجتها بأسلوب المدرسة الإسلامية الكلاسيكية، في تخريج محتويات هذه المصنفات التاريخية. كما حقق مصادر تاريخية أخرى منها: كتاب: "طبقات علماء إفريقية وتونس" لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت. ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، وذلك سنة ١٩١٤م، وقام بترجمته إلى اللغة الفرنسية سنة ١٩٢٠م، وقد أشاد بأهمية هذا الإنجاز محققين آخرين لنفس المصدر، منهم "علي الشابي" الذي أجزم أنه بحث عن المخطوط الأصلي وعن غيره، ولم يوفق إلى ذلك، فكان اعتماده على النسخة التي حققها وترجمها وطبعها ابن أبي شنب، فاعتبرها بمثابة نسخة تغنيه عن النسخة الأصلية^(١٤)، وهي شهادة من باحث معاصر عرف بتميزه وجديته.

وأنجز أيضا أعمالا ببليوغرافية متميزة لم يسبقه إليها غيره، منها تصنيفه للوثائق والمخطوطات العربية وفهرستها، سنة ١٩٠٥م، فكان من أكبر تصنيفاته العلمية على الإطلاق وقد عنونه ب: "فهرس المخطوطات العربية التابعة للجامع الكبير في الجزائر".

كما فرض طريقته المنهجية الخاصة في تكوين وتدريب طلبته بجامعة الجزائر، على توظيف الاختصارات التي استعملها المؤلفون العرب، وجعل في متناولهم قائمة خاصة بذلك^(١٥).

وبناء على نشاطه الدؤوب وفعاليته المتميزة، تمكن من نشر بحوث متميزة مساهماً بذلك في خدمة الدراسات العربية الإسلامية، وفي إنجاز الأعمال الجادة، التي شهد له بها القاصي والداني، من الكتاب العرب والمستشرقين^(١٦).

ثانيا :

ساهم في التعريف بالتراث الجزائري في الموسوعات العربية والإسلامية بمادة علمية غزيرة عن تاريخ الجزائر الوسيط، ومنها ما كتبه عن مدينة "آشير"^(١٧) ففي "دائرة المعارف الإسلامية"^(١٨) (Encyclopédie de L'Islam)، معرفا في البداية بموقع المدينة جغرافيا وفلكيا، وبأهمية التضاريس المعقدة المحيطة بها، مما منحها حسب تحصينا طبيعيا متميزا، جعلها في منأى عن هجمات كل من يتطلع لاقتحامها، أو النيل من دفاعاتها.

ففي وصفه لها بالدقة المتناهية، يخال إليك أنها لا تزال عامرة تتبض بالحياة، وأرجح أن يكون الرجل قد زار أطلال المدينة عندما كلف من قبل زملائه أساتذة جامعة الجزائر آنذاك بإنجاز هذا البحث (مادة آشير)، ومن جهة أخرى تعبر عن مدى قدرته العلمية على استنطاق المصادر التاريخية المتعددة من كتب الرحالة والجغرافيين، وكذا كتابات المستشرقين، ومعرفته بعلم الآثار وأدواته، والتي أرخت لتاريخ الدولتين الزيرية والحمادية عموما، ولتاريخ مدينة "آشير" خصوصا.

كما نكتشف من المادة التي قدمها قدرته على توظيف أليات وتقنيات البحث العلمي، من خلال التوثيق للبيبليوغرافيا التي اعتمد عليها في إعداد مادته العلمية، وكذا الإحالة على الصفحات التي اقتبس منها، وهو ما يثبت حرص الرجل على إبراز تاريخ مسقط رأسه مدينة المدية، باعتبار بلدية الكاف لخضر الفضاء الذي يستوعب أطلال مدينة "آشير" الأثرية، التي تعد إحدى المناطق التابعة لها من جهة ، ومن جهة ثانية خدمته لتاريخ الجزائر ببعديه العربي والإسلامي.

كما تبرز قدرة هذا العالم الموسوعة في تعامله مع مختلف الروافد العلمية التي نهل منها ووظفها في تنمية إنجازاته العلمية، فعّد بذلك من الباحثين الذين لا يعترفون بأن للعلم والمعرفة وطن أو جنسية ، فأسس بذلك لتنوع الثقافات وتكاملها، ولدور العرب البارز في بناء الحضارة الإنسانية، حيث وقف الند للند أمام نظرائه من الفرنسيين، ومعظم المستشرقين.

ثالثا :

نشاطه العلمي التاريخي الذي ساهم به في أعداد متنوعة من المجلة الإفريقية التي كانت تصدرها "الجمعية التاريخية الجزائرية"، بإشراف ومساهمة كبار المستشرقين الذين اهتموا بدراسة وتتبع التراث الجزائري والمغاربي ، أمثال ليفي بروفنسال، رونييه باسيه، فنسك، وكان ابن أبي شنب عالما إلى جانبهم، خدم التراث العربي والإسلامي بطريقته الخاصة، موظفا المكانة العلمية والأكاديمية التي تبوأها بينهم، ومستغلا وسيلة المجلة كأداة لنشر هذا التراث والتعريف به .

ومنها ما تناوله في العدد ٥٠ الصادر سنة ١٩٠٦ بمقال عنوانه بـ "مجلة الأعمال العربية " الإصدارات الإسلامية (ما بين ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٤-١٩٠٥م) ، معرفا بمواضيعها وكتابها، معقبا بالتحليل والنقد على مختلف المصنفات التاريخية، ومنها كتاب " الإمامة والسياسة" لأبي محمد عبد الله بن قتيبة، في مجلد واحد احتوى ٣٣٦ صفحة، صادر في القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤م، بمراجعة وتحقيق محمد محمود الريفي.

فعمل ابن شنب على التعريف بالكتاب الذي تناول فترة الخلفاء منذ وفاة الرسول ﷺ حتى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد^(١٩)، مع إشارته إلى دور بعض المستشرقين في دراسة وتحقيق نفس المصدر، ومنهم المستشرق دوزي

Dozy الذي شكك في نسبة هذا الكتاب لنفس المؤلف، مستدلاً بأسلوب ابن قتيبة عند صياغته لمصنفه، ونوعية خطه، وهنا يرجح ابن أبي شنب، أن هذا الأخير يكون قد ألف كتاباً بنفس العنوان لم يصلنا - ربما يكون مفقوداً - ولتشابه العنوانين نسب لابن قتيبة الدينوري.

وفي نفس العدد خصّ كتابين من تأليف " جرجي زيدان " بالدراسة والنقد. أولهما: الموسوم بـ"تاريخ اللغة العربية"، الذي أثبت فيه صاحبه حيوية اللغة العربية، وقدرتها على التفاعل مع الأنماط المتعددة للعلوم، فهي تخضع حسبها كغيرها من اللغات لنفس الآليات التقنية والمعايير، مدعماً رأيه هذا بكونها غنية بالكلمات والتعابير، التي تعود إلى ما قبل الإسلام، وأخرى للفترة الإسلامية، وبكلمات دخيلة عليها من عبرية ومسيحية، تجمع بين الإدارية العلمية والتقنية، ومواكبتها أيضاً لحركة النهضة التي شهدتها المشرق العربي منذ القرن التاسع عشر^(٢٠).

وثانيهما: المشهور بـ"تاريخ التمدن الإسلامي"، الصادر بالقاهرة في ثلاثة أجزاء (الأول سنة ١٩٠٢، الثاني ١٩٠٣، الثالث ١٩٠٤) على التوالي، وهو عمل فريد من نوعه في مجال اهتمامه، إذ انفرد عن باقي المشاركة المعاصرين له، أو الكتاب القدامى أمثال ابن الأثير والماوردي والمقرئزي والمسعودي وابن خلكان... إلخ، بالطرح الجريء، وباستثماره لأعمال المستشرقين في نفس الميدان أمثال قبيون Gibonn، وكلوت باي Clot Bey... إلخ.

وقد ضمن الجزء الأول منه: أوضاع شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام والدول التي قامت بها، معرجاً على اعتناق سكانها للإسلام تدريجياً مقارنة بين واقع العرب آنذاك، وواقع جيرانهم من الفرس والروم، مظهراً مجال التمدن الذي شهدته الدول الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين من تنظيم للإدارة والجيش

ونظام التسليح، ومدى الانضباط الذي تميز به الجنود، مروراً بالنظام الماليو
القضائي، والسكة والبريد... الخ.

وتناول في الجزء الثاني: ثروات العامة في الدولة الإسلامية، وتوسع رقعتها
وطبيعة النشاط الاقتصادي الذي ميزها وموارد بيت المال بها. محددًا في
خاتمته أسباب انحطاط الدولة العباسية ومظاهر ذلك (ازدياد حجم الضرائب
الداخلية... الخ).

أما الجزء الثالث: فعالج فيه مطولا المعارف العربية قبل الاسلام وبعده،
والتواصل الثقافي بين اللغة العربية واللغات الأجنبية، ومختلف التحولات التي
أحدثها الإسلام، في طريقة التفكير والإنتاج الأدبي والعلمي في نفس الفترة.
وتتجلى أهمية هذه الدراسة النقدية التي قام بها العلامة ابن أبي شنب، في
دحض الكثير من الطروحات الواردة في هذا التأليف، اعتماداً على أدلة علمية
وتاريخية، منها معالجته لفكرة أن الاسلام يمثل مرحلة من مراحل تطور العرب
في التاريخ، في حين يرجعها الناقد إلى طبيعة الإسلام كرسالة ربانية، وبدور
الرسول ﷺ وفعاليته، وإلى النقلة النوعية التي أحدثها في نفوس العرب، متأثرين
في ذلك بالقيم السامية لهذا الدين.

ومن جهة أخرى يرد علمياً على نفس الكاتب في ربطه لحادثة "حرق مكتبة
الإسكندرية" بالعرب، مستشهداً بما ذكره "عبد اللطيف البغدادي" في كتابه "تاريخ
الطب".

ويرد عليه ابن أبي شنب بقوله: إذا حققنا في هذه الأدلة غير المقنعة
تماماً، فإننا نجزم أن لغز المكتبة سيبقى غامضاً إلى الأبد، ما لم تثبت الأدلة
المادية عكس ذلك^(٢١).

وسار العلامة ابن أبي شنب على نفس النسق في أغلب المقالات التي

شارك بها في المجلة الإفريقية La Revue Africaine الصادرة عن الجمعية التاريخية الجزائرية حينها، ومنها العدد (٦٢) الصادر سنة ١٩٢١، والعدد (٦٣) الصادر سنة ١٩٢٢، حيث نشر بالتقديم والتعريف تلخيصا لما يربو عن المائة والسبعين كتابا تراثيا في جميع العلوم والفنون، وفي كل دراسة على حدة يقوم بالنقد العلمي لهذه المؤلفات بل ويستنبط منهجية الكتابة عند المؤلفين المسلمين، ومنها المؤلف المشهور "أزهار الرياض في أخبار عياض"، لصاحبه ابن محمد شهاب الدين المقري^(٢٢)، وهو من المصادر النادرة حسب ابن أبي شنب، حيث على عهده وجدت نسخة واحدة بالمكتبة الوطنية بباريس، وأخرى بجامع الزيتونة بتونس، وهو ما يبرز أهمية هذه الدراسة وأهميتها، والتي تمس مثل هذه المؤلفات النادرة، بل الأفيد منه إنارة طريق الباحث بآليات جديدة في البحث والاستفادة من محتويات كتب التراث التاريخية، حيث يذكر في خاتمة عرضه لهذا المصدر فيقول: "من خلال قراءتي لكتاب "أزهار الرياض" تبين لي أنه عبارة عن ملخص لكتاب "نفح الطيب في غص الأندلس الرطيب" لنفس المؤلف، ويستنتج الأهمية القصوى لمثل هذه الملخصات في توظيفها واعتبارها ذات فائدة جمة لكسب الوقت، في ظل الأعمال المطولة التي تميز كتابات المؤلفين المسلمين غالبا"^(٢٣).

رابعاً:

أرخ ابن شنب للتراث الجزائري وللحركة العلمية المغاربية على عهده، وأمثلة ذلك تعريفه باللباس التقليدي الجزائري الأصيل، بمقال تناول فيه أصول كلمة "شاشية"^(٢٤). ومجال استعمال هذا النوع من اللباس الذي تميز به سكان شمال إفريقيا وسوريا وتركيا، ودعم مقاله بما كتبه المصادر الإسلامية عنها على غرار البكري في كتابه "معجم ما استعجم"، وياقوت الحموي في

كتابه "معجم البلدان"، وكذا ما قام به بعض المستشرقين من دراسة لنفس الموضوع، من أمثال: دوساكي De Saki، ودوزي Dozy، وهنا تتأكد قدرة بن أبي شنب المتميزة على توظيف تقنيات البحث العلمي، وبدعم ما يطرحه من آراء عملية بالدليل والتوثيق فيما يعرف اليوم بمصطلح الأمانة العلمية.

وفي مقام آخر عرّف بالحركة العلمية للزوايا، ونشاطاتها المختلفة ضاربا أمثلة عن بعض ما أشتهر منها بالمغرب الأقصى، بناء على نقل أحد المستشرقين، يدعى دوتي Edmond Doutté لمخطوطين خاصين بها للجزائر، فقام ابن أبي شنب بالتعريف بهما وبمحتواهما، من أعلام لشيوخ الزاوية ومريديها^(٢٥)، فساهم بذلك في نشر التراث المغربي عموما، بعمل ينم عن أهداف بعيدة المدى، كان العلامة يرمي إلى تحقيقها، وهو ما يعبر عن فاعليته العلمية، التي جعلته لا يكلّ ولا يملّ في البحث والتتقيب عن تراث أمته الذي أهمل خلال فترة الانحطاط، أو عملت الحركة الاستعمارية على طمسه للحيلولة دون توظيفه بشكل ايجابي، بما يخدمها في بناء نهضتها، وتجديد حياتها، فبقي مواظبا على الإنتاج العلمي الغزير، إلى أن وافته المنية سنة ١٩٢٩، بعد أن أثرى المكتبة العربية الإسلامية بالتأليف المختلفة، والتحقيقات المتنوعة، فقدم للباحثين بذلك رصيда معتبرا من الأعمال الراقية، وخاصة للمؤرخ الجزائري خصوصا، والمغربي عموما، ينهلون اليوم بما جادت به قريحة الرجل الموسوعة من علوم معارف.

وواجب الباحثين الوفاء لهذا الرجل، فأقل ما يقدمونه له، هو إماطة اللثام عن مخزونه العلمي وتوظيفه علميا وعمليا بحثا، بعيدا عن المواقف الشخصية، وتأثيرات الخلفيات السياسية، التي كثيرا ما تسقط انجازات الرجال، من أمثال العلامة محمد بن أبي شنب الذي جمع بين مختلف العلوم والفنون، وخدم الثقافة

العربية الإسلامية بكل ما أوتي من جهد وعطاء، وما شهادة واحد من غير بني جلدته، إلا لمعرفة العدو قبل الصديق لفضله وحجم اسهاماته، حيث قال في حقه المستشرق الفرنسي: "ألفريد بل" "استمر بن أبي شنب ينشر المؤلفات بنشاط حثيث، ومعرفة فريدة، إذ نشر بحوثا ودراسات رائدة، ونصوصا عربية، وترجمات مشهورة حول موضوعات مختلفة، مسهماً بذلك إسهاما هاما في أعمال المدرسة الجزائرية للدراسات العربية والإسلامية"^(٢٦).

فرحم الله الرجل الذي أفاد الجزائر والعالم بكنوز علمه، وكبير عطائه، وجعله قدوة لكل مثقف وعالم.

الإحالات:

^١ - هو محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب، ينسب إلى أسرة عريقة، ولد بمنطقة تسمى المدية (محافظة جزائرية تقع باتجاه الجنوب، تبعد عن العاصمة بنحو ٩٠ كلم)، حفظ قسما من القرآن الكريم، ثم تدرج في المدارس والثانويات التي أنشأتها فرنسا الاستعمارية بها، لينتقل بعدها إلى مدرسة المعلمين، حيث حصل منها على إجازة للممارسة التعليم في المدارس الابتدائية، ثم اكمل دراسته العليا ليتدرج في مستويات جامعية حتى حصوله على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٢٢، بأطروحة عنوانها بـ: "الشاعر أبو دلالة حياته وشعره"، ليعين بصفة رسمية أستاذا بكلية الآداب بجامعة الجزائر التي أنشئت سنة ١٩٠٩، كان يحسن ما يزيد عن سبع لغات إلى جانب لغته الأم العربية، عين عضوا في عديد المجامع والنوادي على غرار مجمع اللغة العربية بدمشق، وأكاديمية العلوم الفرنسية، وعضو تحرير المجلة الإفريقية، والمجلة الآسيوية .. إلخ، شارك في عديد المؤتمرات الإستشراقية، مثل: المؤتمر الـ ١٤ للمستشرقين المنعقد بالجزائر سنة ١٩٠٥، ومؤتمر أكسفورد سنة ١٩٢٨، قدم فيها أبحاثا تعرّف بالتراث العربي الإسلامي، حقق ونشر مؤلفات عدة، شملت علوما شتى منها: "رسالة في المنطق"، "الألفاظ التركية والفارسية المستعملة في اللهجة الجزائرية - باللغة الفرنسية- " أمثال الجزائر والمغرب"، "تجبير الموشين" للفيروز أبادي، وغيرها من المصنفات التي ترد في ثنايا مقالنا هذا. للمزيد عنه: أنظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط١٩٨٣، ص ١٤ وما بعدها؛ علي تابليت والطيب ولد العروسي، محمد بن أبي شنب، أعماله وآثاره، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ط٢٠١٠، ص ٧ وما بعده، الطيب ولد العروسي، محمد بن أبي شنب - دراسات وشهادات - منشورات مديرية الثقافة بالمدية، الجزائر، ط٢٠٠٩، ص ٣١ وما بعدها، أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، الجزائر، ط١٩٩٥، ص ٣٠٧.

^٢ - أبو القاسم سعد الله، "من رسائل محمد بن أبي شنب إلى محمد كرد علي"، مجلة الثقافة، العدد ٥٣ سبتمبر - أكتوبر ١٩٧٩، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ص ٤٥؛ الرشيد ابن أبي شنب "تعقيب على مقال حول العلامة الفقيه محمد ابن أبي شنب"،

- مجلة الثقافة - العدد ٦٥، سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٩، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر، ص ص ٧٧، ٧٨.
- ٣ - عبد الرحمان ابن خلدون - المقدمة- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مج ١، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ط ٢، ١٩٧٩، ص ١٢.
- ٤ - هو أحمد ابن أحمد بن عبد الله بن علي أبو العباس ، الملقب الغبريني ، نسبة إلى بن غبري بطن من قبائل الأمازيغ (البربر) من منطقة وادي سيباو بالمغرب الأوسط (٦٤٤-٧٠٤هـ/١٢٤٦-١٣٠٤م) قاض ومؤرخ، كتب في مجالات العلوم العقلية والنقلية، تنقل بين مناطق المغرب الإسلامي المختلفة، خاصة بين بجاية وتونس، وكذا بينه وبين بلاد الأندلس، درس على نحو سبعين من علماء بجاية ومشايخها، وبخاصة أصول المذهب المالكي، ألف كتباً عدة منها: "المورد الصافي" والفصول الجامعة وأهمها على الإطلاق، مصنفه محل الدراسة (عنوان الدراية)، الذي حققه محمد بن أبي شنب ونشره في مدينة الجزائر سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩١٠م، وحققه ثانية عادل نويهض ونشره في بيروت سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، وحققه مرة ثالثة رابح بونار ونشره في الجزائر سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، عنه أنظر: أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢٠٠٧، ص ٥ ؛ أبو العباس أحمد بن حسن الشهير بابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ص ٣٤٠، ٣٣٨.
- ٥ - عرفت بالناصرية ، نسبة لمؤسسها الناصر بن علناس الذي مصرها سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م، بنيت على سفح جبل شاهق، مفتحة على بحر الروم - البحر المتوسط - مما جعلها محصنة طبيعياً، اعتمدت عاصمة ثانية لدولة بني حماد (٤٠٥-٥٤٧هـ/ ١٠١٤-١١٥٣م)، عدت
- المدينة واجهة للتبادل التجاري والحضاري بين ضفتي المتوسط الجنوبية والشمالية، أشتهر فيها الكثير من العلماء والفقهاء، أمثال العالم الزاهد أبي مدين شعيب، وابن حماد الصنهاجي صاحب كتاب: "النبتة المحتاجة في أخبار صنهاجة"، للمزيد عنها أنظر:

ياقوت الحموي، كتاب معجم البلدان، أسدي، طهران، إيران، ط ١٩٦٥، ص ٤٩٥؛ عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ٢، ١٩٨٠، ص ص ٨١، ٨٠؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٤، تحقيق: محمد جابر عبد العالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط ١٩٨٤، ص ٢٢٤؛ موسى لقبال، "ملاحظات عن ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط"، مقال "مجلة الأصالة"، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، العدد: ١٩، مارس - أبريل ١٩٧٤، ص ٥ وما بعدها.

٦ - أنظر المحتوى الكامل للمقدمة في كتاب: أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن أبي شنب الطبعة الثعالبية، الجزائر، ط ١٣٢٨هـ / ١٩٠١م.

٧ - أنظر أبو سعد العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية ضمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١، ص ٥١.

٨ - نفسه، ص ٣٦.

٩ - الغبريني، المصدر السابق، تحقيق ابن أبي شنب، ص ٢٣٦.

١٠ - ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السينية في تأريخ الدولة المرينية، تحقيق محمد بن أبي شنب، طبع مطبعة جول كربونل، ساحة الدولة، الجزائر، ط ١٣٣٩هـ / ١٩٦٠م، ص ٦.

١١ - نفسه، ص ١٤٨ وما بعدها.

١٢ - نفسه، ص ١٥٧.

١٣ - نفسه، ص ٢٣٢.

١٤ - أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، والدار التونسية للنشر بتونس، ط ١٩٨٥، ص ص ٢٨، ٢٩.

¹⁵ – Bencheneb (M) , liste des Abréviation Employées par les Auteurs Arabes, Revues Africaine, publiée par la Société Historique Algérienne, Vol 61, 1920, Imprimeur libraire, Office des publication Universitaires, Ben Aknoun, Alger, Edition 1986, p p 134-138

¹⁶ – ألفرد بل، "محمد بن أبي شنب فقيد العلم"، ترجمة عائشة خمار، مقال "مجلة الثقافة"، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة، العدد ٥٣، سبتمبر-أكتوبر ١٩٧٩، الجزائر، ص ٣٥.

¹⁷ – أصلها "ياشير" أو "يشر"، كلمة بربرية تعني المخالب، نسبت المدينة إلى المصطلح، كناية عن موقعها المحصن طبيعياً، والذي سمح لها بالتصدي لكل من تسول له نفسه محاولة الاعتداء عليها أو اقتحامها، بناها زيري بن مناد الصنهاجي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م بمنطقة الكاف لخضر بجبل تيطري (بمحافظة المدية - بالجزائر)، مؤسس الدولة الزيرية الصنهاجية التي حكمت المغربين الأوسط والأدنى عقب مغادرة الفاطميين للمنطقة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، عنها: انظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣١٣؛ ابن الأثير أبو الحسن عبد الواحد، الكامل في التاريخ، ج ٧، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٦٧، ص ٢٧٦؛ خورشيد ابراهيم وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، "مادة آشير"، مقال لمحمد بن أبي شنب، مج ٢، مطبعة انتشارات جمعان، د.ط.ت، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

¹⁸ – هي مؤلف أكاديمي علمي مشهور، أنجزه كبار المستشرقين منهم فنسك، ليفي بروفنسال، رونييه باسيه وآخرون، طبعت في ليدن ما بين (١٩١٣-١٩٣٨) بأربعة مجلدات وملحق زاد عدد صفحاته عن الخمسة آلاف صفحة، لها طبعات كثيرة بلغات مختلفة، منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية، كما ترجمت إلى العربية والتركية والفارسية، نَقَّحت وطُبعت مجددا عقب إصدارها الأول ما بين ١٩١٣-١٩٣٨، سنتي ١٩٥٤، و ١٩٦٠ وغيرهما، انظر: فؤاد افرام البستاني وبطرس البستاني وآخرون، المنجد في الإعلام، دار المشرق، بيروت لبنان، ط ١٩٦٩، ص ٢١١.

¹⁹ - Benchneb (M) , Revue des Ouvrages Arabes, Edition ou Publies par les Musulmans en 1322- 1323 de hégire(1904- 1905) , Revue Africaine, vol 50 du 1906, p 276.

²⁰ - Ibid, p 278.

²¹ - Ibid, p p 279 - 280.

^{٢٢} - هو أبو العباس المقرئ التلمساني (ت. ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) ، تولى منصب الإفتاء ، بتلمسان تنقل بين المغرب والمشرق، تولى الخطابة والإمامة بجامع القرويين - بالمغرب الأقصى - له عدة مؤلفات منها " روض الآسي" ، "نفخ الطيب" ، "أزهار الرياض" ، "الجمان في مختصر أخبار الزمان" .. إلخ، للمزيد عنه أنظر: أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، رسائل المقرئ - صاحب نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دراسة وتحقيق: أسماء القاسمي الحسيني، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، ط ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٩٥ وما بعدها؛ أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع السابق، ص ٥٠٧، ٥١٢؛ البستاني وآخرون، المرجع السابق، ص ٤٩٨.

²³ - Benchneb (M), Op Cit, p 289.

^{٢٤} - الطاقية: غطاء الرأس من الصوف أو القطن ونحوهما، توضع منفردة أو تحت العمامة، حملت تسميات مختلفة حسب اللغات والمناطق منها: "القلنسوة" عند المشاركة، و"الشاشية" عند المغاربة، و"الطربوش" عند الأتراك والتي تتميز بكونها محددة الرأس، قال فيها ابن بطوطة: "... فإذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوته، ووضعها بين يديه، وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخاني"، حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلته- تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص ١٢٢.

Benchneb (M), Origine du mot Chachya, Revue Africaine, vol 51 du 1907 , pp55-56.

²⁵ - Benchneb (M), « Notice sur deux Manuscrits sur les Chérifs de la Zawiya de Tameslouchet » Revue Africaine, vol 52 du 1908, pp 105- 114.

^{٢٦} - ألفرد بل، المرجع السابق ص ٣٤.



صور الدكتور محمد بن أبي شنب

عن: (محمد بن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، تقديم: عبد الحميد بورايو، دار فليتس للنشر والتوزيع، المدينة، الجزائر، ٢٠١٣ (صورة الغلاف)



مشاركة الدكتور محمد بن أبي شنب (على يمين الصورة) في مؤتمر المستشرقين المنعقد بأكسفورد (Oxford) ببريطانيا ما بين ٢٧ أوت - ٠١ سبتمبر ١٩٢٨
عن: (تابليت وولد العروسي، المرجع السابق، ص ٤٠٧)

**دراسة البورتري النقيمن خلال
مجموعة نقدية من مدينة كلاما
(قالة حاليا)**

**فريدة منصوري
أستاذة محاضرة
معهد الآثار-جامعة الجزائر**

مقدمة

تعتبر المسكوكات مادة تاريخية هامة، فهي الوسيلة التي ظهرت كبديل للتعامل التجاري البدائي (المقايضة)، فكانت الإنجاز الذي أحدث ثورة في جميع مجالات الحياة بداية من الجانب الاقتصادي فالسياسي فالاجتماعي و الديني وصولاً إلى الجانب الإبداعي الفني، و هذا ما ساقني إلى الاهتمام بمثل هذا الموضوع و حفّزني للخوض في جانبه الفني، فوقع الاختيار على مجموعة نقدية من مدينة قالمة كان قد قدمها الباحث في علم الآثار عامة و علم المسكوكات خاصة- لويس شاري إلى المتحف الوطني للآثار الإسلامية و القديمة بمدينة الجزائر، لكن تبقى ظروف اكتشاف المجموعة غامضة.

ودراسة الفن النقدي هي في حد ذاتها دراسة لأصول العملة وتاريخها والدور الرائد الذي أدّته في جميع جوانب الحياة البشرية، ومن هنا يمكننا تحديد أهم مجالاته، فالفن النقدي يساهم مساهمة كبيرة في التصوير المفصل للحياة اليومية لمجتمع ما وتخليد أبرز الشخصيات التاريخية وأشهر المناسبات وذلك بما تحمله القطعة النقدية من ذوق فني من خلال بصمات وعلامات رمزية ودينية وعسكرية واجتماعية هي في حقيقتها علامات رسمية، وكذلك تقنيات التصنيع على تلك المساحة الصغيرة من القطعة.

وكما أنّ لكل فن من الفنون التي عرفت البشرية أنماطه الخاصة به، فإنّ الفن النقدي كذلك له نمطه الأساسي الخاص والمتمثل في الختم ويكون هذا الختم عبارة عن نقش في شكل صور بشرية وأخرى حيوانية، أو حروف أو كلمات، أو بنايات دينية أو عسكرية، هذه الظاهرة الفنية تواجدت مباشرة على العملة منذ ميلادها، وقد أخذ هذا الفن مكانته بين الفنون التشكيلية الأخرى بتقنيته المميزة ومقاييسه المحددة، وهو يدرس من عدة جوانب أهمها:

أ- الجانب الحضاري: و الذي تميّزه الكتابات الواردة على وجه القطعة النقدية من جهة- و التي نتعرف من خلالها على تفاصيل تاريخية و حضارية عن الشخصية المصوّرة على القطعة ذكرية كانت أو أنثوية و المتمثلة في إسم الشخصية والألقاب السياسية و العسكرية التي تقلدتها هذه الشخصية خلال فترة الحكم أو القيادة-، و من جهة أخرى الكتابات الواردة على ظهر القطعة النقدية و التي نتعرف من خلالها على لرموز العقائدية (الآلهة) أو بعض الشخصيات التي ترد أحيانا على ظهر القطعة إلى جانب مختصرات الورشات التي تضرب فيها العملة و حتى النذر. هذا الجانب يعرفنا بحضارة الأمم، وحضارة أمة ما لا يمكن لها أن ترى النور دون لغة أو كتابة.

ب- الجانب الديني: لا يخلو ظهر معظم القطع النقدية إن لم نكن نبالغ، من أي رمز ديني مجسد في صورة الآلهة المعنقد بها وهي في وضعيات مختلفة، سواء الإله الذكر أو الإلهة الأنثى هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد صور المباني الدينية كالمعابد والمذابح والرموز العقائدية كالصليب إلى جانب الاحتفالات. ج- الجانب العسكري: هناك قطع نقدية تتميز بالنمط العسكري ويظهر ذلك من خلال بعض الشخصيات العسكرية التي نجدها على وجه العملة والتي نتعرف عليها من خلال الزي العسكري الذي ترتديه هذه الشخصية وفي أغلب الأحيان نجد هذا النمط على الظهر، والمتمثل في المشاهد الحربية والمعارك، إلى جانب المباني العسكرية كالبوابات والحصون وأقواس النصر.

د- الجانب السياسي: هذا الجانب من الفن النقدي يمكننا من التعرف على المرتبة التي تعاليها الشخصية المصوّرة في تلك الفترة كشخصيات فترة الفوضى العسكرية، أو شخصيات فترة الحكم الرباعي وغيرها من المراحل السياسية التي

عبّرت عليها العملة وبالأخص النظام السياسي الذي تسنه وتقضيه كل شخصية تعتلي الحكم.

هـ- **الجانب الأسطوري:** كانت العملة في بداية ظهورها تتميز بهذا النمط والذي تميزت به فيما بعد العملة الرومانية، فهناك قطع نقدية خاصة بمدينة روما تحمل على الظهر أهم الرموز الأسطورية والشخصيات التي تروي قصة ظهور هذا المجتمع بالوجود.

ومن بين العناصر الأساسية في دراسة الفن النقدي البورتري الخاص بوجه القطعة النقدية، وهو جانب فني راق اخترق عالم المسكوكات، وتعريفه يختصر في كونه تلك الصورة التي أوجدها الفكر البشري الساذج منذ فترة ما قبل التاريخ وجسدتها الروح الفنية المحدودة تماشيا مع الحدود الطبيعية والثقافية الحضارية في المجتمعات القديمة.

وكان فن البورتري بأنواعه-والذي يعتبر نتاج دوافع فكرية وعاطفية-من أهم الإنجازات التي اشتهر من خلالها الفن الروماني، إلا أنّ هذا التخصص لم يتضح جليا ودراسته تحتاج إلى تكثيف البحوث الهادفة والبناء وتحديد المصطلحات الخاصة به والمعبرة في نفس الوقت، وذلك للوصول إلى ربط العلاقة بينه وبين فن بورتري التماثيل من جهة وبينه وبين فن البورتري النقدي من جهة أخرى.

و لأنّ الوجه البشري هو الجزء الأكثر تعبيرا عن مختلف الانفعالات و شتى المشاعر فقد كان الإنسان هو المادة الأولى في فن البورتري عند الفنانين، فأبرز هؤلاء من خلال صورة الشخص السحنة الخاصة بأمّتهم للدلالة على ميزة

هذا المجتمع^١، إذ أنه من الوهلة الأولى تتراء لنا طبيعة الروح التي تميّز الأشخاص عن بعضها البعض و بالتالي تمييز الأمم عن بعضها، و ذلك من خلال التقاسيم الخاصة، و منه فانتباه الفنان إلى العنصر البشري جعله يهتم بهذه الخواص التي تميّزه، و يخضع المثالية لذوق فني واقعي، و مع التطوّر الرائع لفن البورتري النقدي كانت العملة القديمة الوثيقة الأكثر صدقا و الأكثر سلامة وصلت من حضارات بائدة^٢

ولأنّ وجه العملة بصفة عامة تميّز بصور الشخصيات البارزة في المجتمع، فقد توصلت من خلال المجموعة الخاصة بالبحث إلى إحصاء ٢٨ شخصية بين رجالية ونسائية وهي موزعة على ٢٢٧ قطعة بأعداد وبنسب متفاوتة محاولة بذلك وصف الصور وأهم التقاسيم المميّزة لها، والإلمام بالعديد من هذه الشخصيات من خلال التطرق إلى عرض فن البورتري باعتباره عنصر أساسي في الفن النقدي. أنظر المنحنى البياني الذي يبين نسب القطع النقدية حسب شخصيات الدليل. والتي أحصيناها في الجدول التالي:

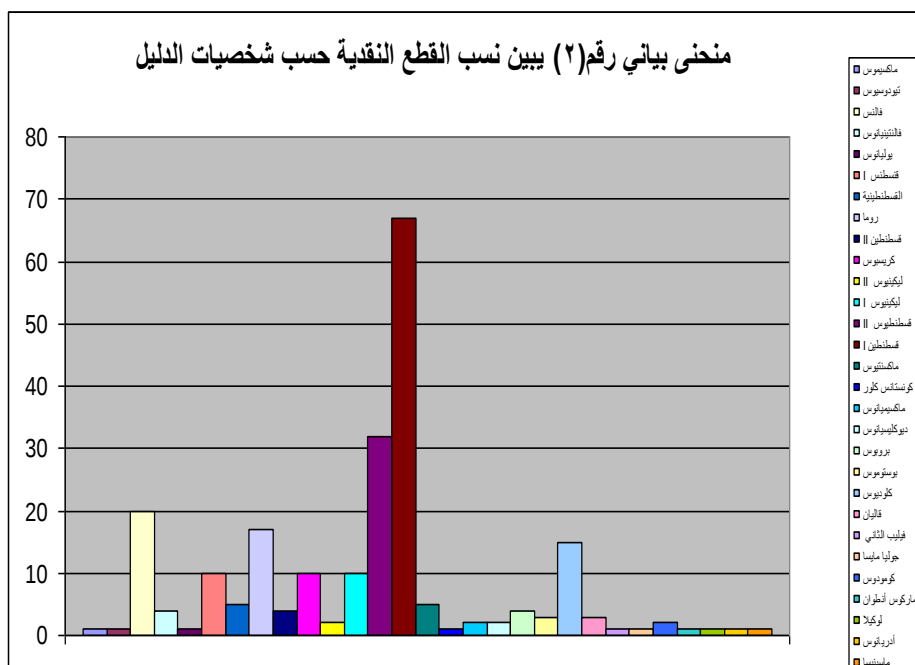
الرقم	إسم الإمبراطور	عدد القطع	النسبة المئوية
١	ماسينيسا	٠١	%0.٤٤
٢	أدريانوس	٠١	%0.٤٤
٣	لوكيلا	٠١	%0.٤٤
٤	ماركوس أنطونينوس	٠١	%0.٤٤
٥	كومودوس	٠٢	%٠.٨٨
٦	جوليا مايسا	٠١	%0.٤٤

¹- Winckelmann Johann J., Histoire De L'Art Dans L'Antiquité, Paris, 2005, P.91

²Encyclopédie Alpena Illustrée, Collection Publiée Sous La Direction De FrancoisGebelin M., Portraits En Médaille, Introduction De JeanBabelon

دراسة البوريري النقديمن خلال مجموعة نقدية من مدينة كلاما(قالمة حاليا)

الرقم	اسم الإمبراطور	عدد القطع	النسبة المئوية
٧	فيليب الثاني	٠١	%0.٤٤
٨	قاليان	٠٣	%١.٣٢
٩	كلوديوس	١٥	%٦.٦٠
١٠	بوستوموس	٠٣	%١.٣٢
١١	بروبوس	٠٤	%١.٧٦
١٢	ديوكليسيانوس	٠٢	%٠.٨٨
١٣	ماكسيميانوس	٠٢	%٠.٨٨
١٤	كونستونس كلور	٠١	%0.٤٤
١٥	ماكسنتيوس	٠٥	%٢.٢٠
١٦	قسطنطينوس الأول	٦٧	%٢٩.٥٢
١٧	قسطنطينوس الثاني	٣٢	%١٤.١١
١٨	ليكينوس الأول	١٠	%٤.٤١
١٩	ليكينوس الثاني	٠٢	%٠.٨٨
٢٠	كريسبوس	١٠	%٤.٤١
٢١	قسطنطينوس الثاني	٠٤	%١.٧٦
٢٢	القسطنطينية	٠٥	%٢.٢٠
٢٣	روما	١٧	%٧.٤٩
٢٤	قسطنطس الأول	١٠	%٤.٤١
٢٥	يوليانوس	٠١	%٠.٤٤
٢٦	فالنتينيانوس	٠٤	%١.٧٦
٢٧	فالنس	٢٠	%٨.٨١
٢٨	تيودوسيوس	٠١	%٠.٤٤
٢٩	ماكسيموس	٠١	%٠.٤٤
	المجموع	٢٢٧	%١٠٠



لم يشهد البورترتي النقدي النوميدي نفس الحركة بين تطوّر وتراجع كتاك التي عرفت العملة الرومانية بسبب قصر الفترة النوميدي مقارنة بالفترة الرومانية من جهة ومن جهة أخرى بسبب كثافة تداولها لفترة طويلة في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية الرومانية عاجزة عن تمويل المنطقة. ومن أهم البورترتيات النوميدي التي تداولت وتواجدت أكثر هي الخاصة بماسينيسا الذي يعتبر أول ملك نوميدي نقش اسمه على الميداليات¹، وقد كان يظهر في الصور الخاصة به بشعر مفتول وغزير ولحية كثيفة أمّا قسمات الوجه فقد كانت منتظمة، فمن خلال العينين الغائرتين نستشف النظرة الحاذقة والقوة الطبيعية لتلك الشخصية

¹ - Demorgan I., Manuel Numismatique Oriental De L'Antiquité Et Du Moyen Age, Fascicule II, Paris, 1924, P.104.

القوية والذي كانت علامة ملكه التي تميّزه هي التاج المكّمل على رأسه (صورة رقم ٠١).

أما في الفترة الرومانية فخلال القرن الأوّل الميلادي كانت الصورة المرسومة على وجه القطعة النقدية بسيطة والكتابة الموجودة أحيانا مختصرة في حين كانت المواضيع على ظهر القطعة متعددة،^١ وكان البورتري الإمبراطوري هو العنصر الأفضل، فكانت علامة الملك التي تميّزه هي التاج المكّمل على الرأس (صورة رقم ٠٢).

في الفترة الأنطونية التي عرفت بالأمن و شهدت تطوّر النظام النقدي كانت العملة تصدر بكميات كبيرة فتضاعفت صور البورتريهات التي اتّسمت بجمال مثالي، فتميّزت بالكثفين العريضين و الصدر المبسوط و النظرة الحاملة، أما الشعر فكان كثيف نوعا ما و كان المنظر جانبي مثلما هو عند الإغريق^٢، و كانت الوجوه كبيرة نوعا ما لكن تفاصيلها متناسبة و تعابيرها هادئة رغم أنّها صور جانبية، و بتقاسيم ذكورية يظهر عليها الوقار و العظمة، فأنطونينوس نفسه كان يبدو في صوره النقدية بلحية مشذبة و مسننة و جبهة مربعة و نظرة حادة كما كانت تجاعيد و قسّمات الوجه مفصلة و مرسومة بدقة، هذه الخصائص لم تشهد أيّ تطوّر على القطع النقدية طيلة فترة حكمه (صوررقم ٠٣)^٣، و قد كان الفنان في عصر أدريانوس يهتم بتعابير الوجه التي ترمز للإمبراطور و كان يبذل مجهودا في ترجمة التوازن الجسدي و الروحي

¹ - Depeyrot G., La Monnaie Romaine.211av.j.-c- 476apr.j.-c, Paris 2006, P.١٤

² - Babelon J., Le Portrait Dans L'Antiquité D'après Les Monnaies, Paris 1950, P.١٢٤

³ - Babelon J., Op.cit, P.128

للشخصية فحقها على العملة، كمانتاول في تشخيص الصورة الجزء الأكبر من الصدر، و في حوالي ١٣٠م حدث تغيير في طريقة نحت العين فكانت أحيانا كثقب و أحيانا أخرى كمجرد خدش و صورت حدقة العين بتكوين إطار كروي محفور بتوازن، و احتلت لمسات الضلال و الضوء في تشكيل العيون محل اللون (صورة رقم ٠٤)، واستدارت الجفون و ازداد التركيز شيئا فشيئا على تعبير العيون منذ القرن الثالث الميلادي (صورة رقم ٠٥)، ثم اكتسبت العيون حجما مغايرا للواقع و استحدثت تجاوير غائرة سوداء^١ (صورة ٠٦)، علما أن العين كانت لها مدلولاتها المختلفة في جميع العهود فقد كانت العين في بورتريهات القرن الثالث الميلادي هي وسيلة التعبير عن وحشة الحياة و أوجاعها^٢ (صورة رقم ٠٧).

أما في عهد كومودوس فقد بدأ الفن الروماني يعرف الأسلوب الخطي وهو ذوق جديد منبثق من الإيكونوغرافية المتأثرة الذي تواصل إلى غاية الفن البيزنطي والذي تميز بتعميق الخطوط المحفورة لكي توحى بالبروز^٣، وكانت بعض صور كومودوس النقدية تتسم بالجاذبية والوقار فكانت تقاسيم وجهه متناسقة وجميلة وعيناه مرفوعتان إلى الأعلى (صورة رقم ٠٨)^٤. إلى جانب الصور الرجالية هناك الصور النسائية، فابتداء من الفترة الأنطونية ظهرت صورا نسوية تنتمي للأسر الحاكمة يبدو منها الوجه و الرقبة و أعلى

١- د/ ثروت عكاشة، الفن الروماني-الجزء العاشر، المجلد الأول-النحت. الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ص. ٢٣٩.

٢- د/ ثروت عكاشة، المرجع نفسه، ص. ٣٩٨.

٣- د/ ثروت عكاشة، المرجع نفسه، ص. ٣٩٨.

٤- Babelon J., Le Portrait Dans L'Antiquité D'après Les Monnaies, Paris 1950, P. ١٢٨

الكتفين بلباس نوعا ما مستور، فكانت الشخصيات أنيقة، تبدو خطوط الوجه الدقيقة التي توحى بنسبة من الجمال و تسريحات الشعر كانت تعتمد على تشكيل تموجات كأنها ضفائر تجمع إلى الخلف ثم يشكل بها عقصه (صورة رقم ٠٩)، باختلاف الصورة النسوية عند السيفريين و التي كان يبدو منها النصف العلوي من الجسم حيث كان نصف الصدر تقريبا و هو بلباس شبه عاري، فكان الرأس ببيضاوي منتظم و مرفوع يدل على الشموخ و الجبين ضيق و ملامح الوجه توحى بنسبة جمال أقل فالأنف قوي مع بروز الفك، و الذقن كان على علو شاذ غير عادي^١، أما تسريحة الشعر فكان هذا الأخير يجمع إلى الخلف مشكلا عقصه مزدوجة (صورة رقم ١٠)، كما وجدت عند السيفريين التسريحة الخاصة بالصورت النسائية الأنطوانية، إذ كانت جوليا دومنا زوجة سبتيموس سيفيريس تقدم تسريحة الشعر المتموجة و التي تدور عند القفا^٢ إلى جانب اختلاف تسريحات الشعر من فترة لأخرى تماشيا و موضحة العصر. وفي فترة غالين-الذي حكم في منتصف القرن الثالث الميلادي حيث سادت الفوضى والحروب والأمراض المستعصية-صدرت قطعا نقدية كان دائما يظهر عليها نصفه العلوي بلباس بالودامنتوم، وأحيانا مدرعا، أما رأسه فكان يبدو مرفوعا ومعصبا بأشعة وكانت عيناه واسعتين وأنفه أعقف، أما لحيته فكانت مجمعة تصل إلى غاية عنقه^٣.

¹- Cagnat R., & Chapot V., Manuel D'Archéologie Romaine, Vol. I, 1916, P.506

²- Ben Ramdane K., 25 Siècles De Monnaies Tunisiennes, Tunis, Agence Nationale De Patrimoine, 1996, P٣١

³- Babelon J., Le Portrait Dans L'Antiquité D'après Les Monnaies, Paris 1950, p.141

وفي فترة الفوضى العسكريّة خاصّة تحت حكم كلوديوس أخذ حجم الجذع في الازدياد حيث اقتصر الفنان على تصوير الرأس والعنق حتّى الترقوة فقط (صورة رقم ١١)، فكان الإمبراطور يظهر وهو يرتدي سترة، وكان الجذع محبوس داخل درع بكتفين، سواء درع من الجلد العسكري أو الدرع المذهب بالنّصر، حيث كان المعدن يظهر مقولبا على عضلات الصدر والبطن والبالودامنتوم مرمي من فوق ومشدود بمشبك على الكتف (صورة رقم ١٢). وفيما يخص الرأس فقد كان يزين بتاج مكلل بأوراق الغار أو تاج ذو أشعة (صورة رقم ١٣)، وكانت تسريحة الشعر متجانسة أحيانا بطريقة جيدة وهيتسريحة خاصّة بالنصر، أو مقطعة قصيرة وهي الخاصّة بالمخيمات.¹

ومنذ بداية نظام الحكم الرباعي (٢٨٤م-٣٠٥م) نشأت لمسة جمالية جديدة ساهمت فيها مختلف المعتقدات، فكان التصوير يبسط خطوط الوجه بتطويره نحو الرمزية المحضة كما ظهرت على نقود هذه الفترة صورة الإمبراطور ضخمة و ذلك لإبراز الجانب المقدس له (صورة رقم ١٤)، علما أنّ هذه النزعة انتهت في القرن الرابع الميلادي²، و لم تعطى أهمية للاتجاه المتغيّر الخاص بالصورة و الذي يمكننا تأريخه جزئيا ابتداء من حكم ديوكليسيانوس في ٢٨٤م، و نتيجة للمؤسسة الإمبراطورية المقسمة إلى أربع أسقفيات موحدة في نظام الحكم و مجزأة في الوحدة الروحية ظهر فن جمالي و زخرفي جديد طغى عليه الطابع الشرقي الذي يتميّز بالنتوء في الصورة و بساطة الخط و الشعر و اللحية المزخرفين، وتواصلت نفس النزعة بعد ديوكليسيانوس و الّتي كان يبدو فيها الإمبراطور مكلّل و رباطات الرأس مترامية على قفا العنق، كما كانت

¹ - Babelon J., *Op.cit.*, p.135

² - Ben Ramdane K., *Op.cit.*, P.28

تسريحة الشعر مرسومة بطريقة جيدة وبسيطة في نفس الوقت أما العين فكانت تحتل في الوجه مكانا متجاوزا الحد مثلما نجدها على عملة ماكسيميانوس. أما كونستونس كلور فقد أصدر نقودا باسمه عليها صورته الشخصية و التي كان يبدو فيها نصفه العلوي بلباس فضفاض و مثني مثبت على الكتف بمشبك، و كان كتفيه عريضين و قفاه غليظ أما شعره فقد كان نوعا ما كثيف و مموج و موزع على الرأس في حلقات يجمعها من فوق إكليل هو عبارة عن خيطين ينتهيان بحلقات ذهبية تتدلى على القفا، و كان أنفه مقوسا و رقيقا، أما عيناه فكانتا واسعتين^١ (صورة رقم ١٥)، ثم ظهر ما يسمى بورتريتيتارشيك خلال حكم ماكسنتيوس و الذي ظهر بنتوء مسطحة و تقاطيع الوجه سمكة التفاصيل نسبيا، فبدا الشكل بسيطا. و قد كانت صورة ماكسنتيوس على العملة لا توحى بوسامة هذه الشخصية، إذ كانت رقبته و ذقنه عريضين وشعره كثيف و منسدل على جبهته على شكل أهداب و هو مجعد، و كانت جبهته إلى الأسفل، أما وجهه فكان مليئا بالتجاعيد و عيناه عميقتان، أما أنفه فعريض نوعا ما^٢ (صورة رقم ١٦).

في بداية القرن الثالث الميلادي صدرت إصلاحات نقدية تميّزت بنقص في وزن القطع النقدية وتغييرات في نمطي الوجه و الظهر فطغت على الفن كلاسيكية جديدة جعلته غير ذاك الذي ساد في فترة الحكم الرباعي، فكان يتسم بالرموز المسيحية الممزوجة بالكلاسيكية القديمة، وظهرت الصورة بشعائر دينية تعبدية، فكانت هذه الفترة بأحداثها المتداخلة فترة ولّدت نوعا من التمرّد الفني، هذا النوع من التعبير القوي ألغى الفواصل بين الفن الرسمي الخاص بالطبقة

¹ - Zosso F., & Zingg C., Les Empereurs Romains 27av.J.-C_476ap.J.- C.Ediyion Errance, Paris, 2002, P.159

² - Zosso F. & Zingg C., *Op.cit.* P.128

الأرستقراطية و ما يسمى بفن العامة، و كان لتغيّر الوجهة السياسية و الإيديولوجية للدولة أثر في تطوّر عناصر التكوين الفني. أمّا في منتصف القرن الثالث الميلادي ومع حلول الديانة المسيحية أصبح الفن مقيدا بتقاليد المجتمع الجديد وأعرافه بعيدا عن العنف الذي ساد في عهد ديوكليسيان، فأصبح وجهعملات الأسرة القسطنطينية يحمل صور شخصية توحى بسياسة الإمبراطور، أمّا الظهر فقد كان وسيلة إشهارية لتقاليد العائلة ومعتقداتها بتعدد المواضيع التي وردت عليه.

تميّزت البورتريهات النقدية الخاصة بعملات الفترة القسطنطينية بالبساطة المستتبطة من الفن الشرقي للعاصمة الجديدة القسطنطينية، وكانت عبارة عن نتيجة لفن يجمع في اصطلاحه بين الإيحاء والتقنية في الإنجاز سعيا وراء البحث عن إيكونوغرافية خاصة به¹.

فقسطنطين الأول الذي جاء لينهي عهد الفوضى، فطلّت عملته التي ضربها كوحدة نقدية متداولة لفترة طويلة، فكانت الصورة على العملة جميلة، إذ كانت رقبته غليظة و ذقنه دائري أو مستدير في بعض الأحيان و كان شعره قصير و لم تكن له لحية و كانت وجنتيه ممثلّتين أمّا أنفه فكان أعقف²، و قد كان رأس قسطنطين في معظم صور المجموعة مكّلا برباط مكّون من خيطين رقيقين يتدليان على قفاه و هو في بعض الأحيان مرصّع (صورة رقم ١٧)، و كان قسطنطين يبدو على بعض الصور مدرعا و على رأسه خوذة، و نفس الصورة ظهر بها على قطع أخرى لكن الوجه متجه إلى اليسار (صورة رقم

¹ - Babelon J., Le Portrait Dans L'Antiquité D'après Les Monnaies, Paris, 1950, P. ١٥٨

² - Zosso F. & Zingg C., Les Empereurs Romains 27av.J.-C_476ap.J.-C.Ediyion Errance, Paris, 2002, P.138

١٨).و تطور هذا الطراز بأناقة نوعا ما فأصبح الشعر مفتول بدقة و مسرح على شكل أمواج منتظمة متساقطة على الجبهة، لكن ما فتئ هذا التطور الذي عرفه البورتري النقدي أن عرف نوعا من الانحطاط تحت أبناء قسطنطين الأكبر، ففي فترة حكم قسطنس الثاني و الذي كانت صورته على العملة تبدو بنصف علوي مدرع، كان الوجه بيبضاوي(صورة رقم ١٩)،و بقي هذا الانحطاط متواصل حتى عهد فالنتينيانوس الأول أين كانت قسماات البورتري النقدي بارزة لكن دون خصوصية الأناقة مع نفس الأسلوب البيبضاوي الذي ميّز وجه البورتري، لكن هذا الانحطاط عرف نوعا من الإنعاش من طرف يولييانوس الذي حاول إعادة الوعي الوثني، لكنه أعطى للتطور الفني عنصرا لا يجب إهماله^١، كما ظهر تيودوسيوس على النقود بنصفه العلوي و هو يرتدي لباسا مثنيا مشدود على كتفه بمشبك، و كان رأسه معصب بإكليل مكوّن من صفيين من اللآلئ على شعر مصفف بطريقة جيدة، و كان وجهه أمردا و ممددا مثلما هو في العهد القسطنطيني الأخير^٢ (صورة رقم ٢٠).

يبدو من خلال هذا البحث البسيط بأنّه أثناء القرون الأولى من العهد الإمبراطوري كانت الأنماط النقدية جد متنوعة لأنّ السلطة أولت أهمية كبرى لصور الأباطرة على وجه القطع النقدية والمواضيع الخاصة بالظهر وهذا من حيث دقتها وجمالها. لكن ابتداء من القرن الثالث الميلادي فقدت القيمة الفنية والنقدية من قيمتها بسبب ما عرفته الإمبراطورية الرومانية السفلى من فوضى عسكرية معقدة، حيث تمّ تنصيب وعزل الكثير من الأباطرة حتى أنّ إحصائهم بات غير ممكن، والمصادر الأدبية التي حاولت ذلك لم تذكر بعضهم، ولولا

¹ - Babelon J., *Op.cit.*, PP. 162-163

² - Ibid., PP.164-165

العثور على بعض القطع النقديّة التي ضربت بأسمائهم لبقوا طي النسيان وهذا بسبب عدم استمرارهم في مناصبهم طويلاً^١. وتبع الانهيار الفني التدهور السياسي وسوء التسيير الذي أدّى بدوره إلى تضخم مالي، ورغم كل الإصلاحات المتتالية عبر العديد من الفترات إلا أنّ الأباطرة لم يتمكنوا من إنقاذ البلاد التي عاشت الخلل الاقتصادي رغم استقرار الأمن الذي كان يبدو على سياسة الحكم^٢، ففقدت الأنماط من تنوعها وأصبحت صور الأباطرة على العملة جامدة ومتشابهة إلى حدّ ما حتى أنّ التعرف على أحدهم يتم من خلال الأساطير فحسب.

لقد برز البورتري النقدي منذ بداية ظهور صورة الشخص المنقوشة بواقعية فضة وكأنّ الفنان يعتمد عدم إخفاء بلية من بلايا الطبيعة أو السن^٣. ثم بدأ الفن النقدي يتخلّى على خاصية الصرامة التي سادت تحت حكم الأباطرة، فحاول منذ نهاية العهد تجديد القوة والحرية التي ميّزت الفن النقدي في بداية العهد الروماني إلا أنّ الوجه على القطعة النقديّة كان أقلّ شموخاً من أسلافه. فكانت الفكرة الشاملة للبورتري التي سادت في عهد أغسطس ترتكز أساساً على الاتجاه الخيالي حيث كانت الصورة النقديّة المجردة ترسم على مساحة ما وبدون حدود ممّا جعل منها فنا تحليلياً ووصفياً، فتوحي للناظر صورة معبرة عن

١- موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، المجلد الثاني، روما وإمبراطوريتها، بيروت-باريس، ١٩٩٨، ص ٥٢.

٢ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية- تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي ٦٤٧م- تعريب محمد مزالي و البشير سلامة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣، ص ٢٧١.

٣ موريس كروزيه، المرجع السابق، ص ٣٤٥

مختلف المشاعر الإنسانية كالعطف والكره وحتى ألوهية الشخصية، لكن مع نهاية القرن الأول الميلادي بدأ البورتري النقدي يعرف نوعا من الحركة¹. في العصر الإمبراطوري بدأ البورتري النقدي في التضخم فأخذ حجم الجزء المصوّر من الجسم في الازدياد، فعلى حين اقتصر النحات على تصوير الرأس و العنق في بداية الحكم الإمبراطوري نجده في أواخر العصر يصور المنكبين و الجزء الأعلى من الصدر²، كما نلاحظ في عملية التصوير على العملة أنّ حجم الصورة على القطعة النقدية و مكانها ليس لهما أي قاعدة محددة أو مقاسات معينة، فمرة نجد الرأس يشغل تقريبا كل مساحة القطعة، و مرة تتقلص الصورة فتكون صغيرة جدا في مركز القطعة، كما نجد في بعض الأحيان إطار من الغار يلفه³، لكن تبقى تلك التقاطيع و القسمات الفردية الدقيقة تبهرنا.

والملاحظ أنّ فترة الإمبراطورية الرومانية -خاصة السفلى- عرفت بكثرة الحكام الذين تقلّدوا الحكم عن طريق النزاعات وفي فترات زمنية قصيرة جدا في بعض الأحيان خاصة في فترة الفوضى العسكرية، وكذلك التذبذب والتشابك في سياسة الحكم المشترك خاصة فترة الحكم الرباعي وبداية الإمبراطورية المسيحية، حيث كانت الدولة مسيرة من طرف أربعة حكام منهم إمبراطورين وقنصلين وهذا ما يرهق الباحث والمؤرخ في التأريخ الدقيق وتفصيل الأحداث المتداخلة لفترة من فترات الحكم الروماني.

¹ -Babelon J., *Op.cit.*, PP.118-119.

² -د/ حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (٢) الرومان، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٤، ص ٣٤٠

³ -Babelon J., *Op.cit.*, P.104.



صورة رقم ٠٣



صورة رقم ٠٢



صورة رقم ٠١



صورة رقم ٠٦



صورة رقم ٠٥



صورة رقم ٠٤



صورة رقم ٠٩



صورة رقم ٠٨



صورة رقم ٠٧



صورة رقم ١٢



صورة رقم ١١



صورة رقم ١٠



صورة رقم ١٥



صورة رقم ١٤



صورة رقم ١٣



صورة رقم ١٨



صورة رقم ١٧



صورة رقم ١٦



صورة رقم ٢٠



صورة رقم ١٩

قائمة مراجع البحث

- ١- المراجع باللغة العربية.
- ثروت عكاشة: الفن الروماني-الجزء العاشر، المجلد الأول-النحت، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- **حسين الشبيخ:** دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (٢)، الرومان، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٤.
- **شارل أندري جوليان:** تاريخ إفريقيا الشمالية-تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي ٦٤٧م-تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الرابعة ١٩٨٣.
- **موريس كروزيه:** تاريخ الحضارات العام، المجلد الثاني- روم وإمبراطوريتها-بيروت-باريس ١٩٩٨.
- **المراجع باللغة الأجنبية.**
- **BABELON J.,** Le Portait Dans L'Antiquité D'après Les Monnaies, Paris, 1950.
- **BEN RAMDANE KH.,** 25 Siècles De Monnaies Tunisiennes, Tunis, Agence Nationale De Patrimoine, 1996.
- **DEPEYROTJ.,** La Monnaie Romaine (211av.J.-c._476ap.J.-), Paris, 2006.
- **ZOSSOF.&ZINGG CH.,** Les Empereurs Romains (27av.J.-c._476ap.J.-c.), France, Paris, 2002.
- **المعاجم والقواميس.**
- **CAGNAT R. & CHAPOT V.,** Manuel D'Archéologie Romain, Vol.I, 1916.
- **السجلات و الحوليات و المجلات.**
- **DEMORGAN I.,** Manuel Numismatique Oriental De L'Antiquité Et Du Moyen Age, Fascicule II, Paris, 1924.

**العمارة والآثار الباقية لموانئ شمال
افريقيا
من خلال كتب البلدان**

**د. ليث شاكر محمود
الاستاذ في قسم التاريخ
كلية الاداب / جامعة بغداد**

الإسكندرية

ذكر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) وصفا للإسكندرية، ووصف قلاعها التي يسكنها الروم وذكر جدارها، وأسلحة ال(العدادات)، وذكر سور المدينة الذي كان فقراً لنساء الروم^(١). ولم يصف كتابه، وصف شامل عن المدينة و تخطيطها .

وورد ذكر الإسكندرية لدى ابن حوقل (ت ٣٣١ هـ) في القسم الأول صوره " قد رسم البحر في وسط الصورة ، ويوجد على ساحله الاسفل من صوره المغرب حيث قال: " قد رسم البحر وسط الصورة، ويوجد على ساحله الاسفل من المدن مبتدئاً من اليسار: مر، اجدابيه، برقه، ثم جبل برقه، ثم مدينة الاسكندرية مرحلة"^(٢).

وفي معجم البلدان للياقون الحموي (ت ٦٢٦هـ) جاء ذكر الاسكندرية، ان الاسكندر لما هم ببناء الاسكندرية دخل هيكلا عظيما لليونانيين^(٣)، وفي رواية ثالثة ان يعمر بن شداد بن عوض بن أرم ابن سام بن نوح (عليه السلام) هو الذي انشأ الاسكندرية^(٤).

وتخطيط الاسكندرية لدى ياقوت هي: "لا يعرف عرضها ولا طولها وهي شطرنجية ثمانية شوارع في ثمانية، فأما ظاهر حيطانها شاهدها عبيضة جميع الا اليسير ، و هي مع ذلك مظلمة نحو جميع البلدان... تساعد النجو بأشراقها عليها اذا ظلم الليل. وكان في الاسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق"^(٥).

ثم جاء وصف منارة ميناء الاسكندرية وصفا دقيقا مفصلا، وقد بنيت من حجر الاجر وحجارة الحديد وحجارة النحاس والرصاص والصوان والذهب والفضة واساس المنارة من الزجاج (وعمل راس المنارة مرآة ينظر فيها الناظر

فسرى المراكب اذا خرجت من افرنجة او من القسطنطينية او من سائر بلاد لغزو الاسكندرية^(٦)، فأضر ذلك بالروم فلم يقدرُوا على غزوها^(٧).

وذكر اعجابه بباب الشجر حيث قال: ((فإنه عظيم جدا هائل كأن المنارة العظيمة وهو قطعة واحدة مدور منتصب على حجر عظيم كالبيت المربع قطعة واحدة ايضا، وعلى رأس العمود حجر مثل الذي اسفله))^(٨).

وشكل منارة الاسكندرية "مربعة شبيهة بالحصن الصومعة مثل سائر الابنية، واما صفتها فإنها حصن عال على سن جبل مشرف في البحر في طرف الجزيرة بارزة من ميناء الاسكندرية... والمنارة مربعة البناء لها درجة واسعة يمكن للفارس ان يصدقها بفرسه، وقد سقفت الدرج بحجارة طوال مركبة على الحائطين المكتفي الدرجة فيرتقي الى طبقة عالية يشرف عليها منها على البحر بشرافات محيطية بموضع اخر. يشرف منه على السطح الأول الاول بشرف اخرى، وفي هذا الموضع قبة"^(٩). ولابي الفداء (ت ٧٣٧هـ) اسهام في وصف مباني الاسكندرية حيث وصفها بأنها: " على شط بحر الروم، وبها المنارة المشهورة، وبها عمود السواري، وطوله نحو ثلاثة واربعين ذراعا، والمنارة في وسط الماء محيط بها، وهي من بناء الاسكندر، لذلك نسبت اليه، وهي موضوعة على صورة رقعة الشطرنج وهي من اجل المدن وازقتها كالصلبان لا يضيع فيها الغريب، ارضها سبخة ولها سور من الحجر، ولها اربعة ابواب، باب رشيد، وباب سدره، وباب البحر، وباب رابع لا يفتح الا يوم الجمعة"^(١٠).

ومن الموانئ الصغيرة قرب الاسكندرية مينائي رشيد، ودمياط، فأما رشيد "؟؟؟ عن غربي النيل عند مصبه، وهي عن الاسكندرية ؟؟؟ قوية وهي شرقي الاسكندرية"^(١١). ودمياط "مدينة مسورة على البحر عند مصب النيل الشرقي.. وكانت اسوارها من عمارة المتوكل الخليفة العباسي"^(١٢).

برقة: عدها ابن عبد الحكم (ت ٢٥٨هـ) من التوابع الكور الى مصر الغربية كما وصفها البلاذري (ت ٢٧٩هـ): (وهي مدينة انطابلس) ولم يصف جغرافيتها فقط اشار الى تاريخ افتتاحها زمن عمرو بن العاص، ثم ذكر أن "برقة وهي بين مصر وافريقيا".^(١٣)

اما اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)، قال عنها: "انها مدينة برقة في مرج واسع وتربة حمراء شديدة الحمرة، وهي مدينة عليها سور وابواب حديد وخندق، امر ببناء السور المتوكل على الله، وحوالي المدينة ارياض يسلكها الجند وغير الجند، وفي دور المدينة والارياض اخلاط من الناس ... وبين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة اميال"^(١٤).

ومن الموانئ الصغيرة التابعة لبرقة، مدين طلميشة: فيها محارس ومسجد جامع ومرسى المراكب فيه في بعض الاوقات^(١٥)، وطلميشة عن الاسكندرية على نحو مسافة شهر والمراكب ترسي قبالة قصر اليهود^(١٦).

ولبرقة جبلان احدهما يقال له الشرقي، والاخير يقال له الغربي، وفي هذين الجبلين عيون جارية واشجار وثمار وحصون وابار للروم قديمة^(١٧)، ومن مدينة برقة مدينة برنيق التي تبعد عن برقة مرحلتين، ومن برقة الى مدينة اجدابية اربع مراحل، واجدابيه مدينة عليها حصن وفيها مسجد جامع واسواق قائمة، ولها اقاليم وساحل على البحر المالح على مقدار ستة اميال^(١٨).

وحدد ابن خردازبة (ت ٣٠٠هـ) المسافة بين مصر وبرقة ستة اميال " وهي مدينة في صحراء كأنها بسرة حسنة وطولها جبال بين الجبال والمدينة. مدينة برقة عند ابن حوقل (ت ٣٣١هـ). وارضها حمراء خلوقية التربة"^(١٩).

واسم برقة بالرومية (برقة) الافريقية تفسيره خمس مدن حسب ما ذكره

البكري (ت ٤٧٨هـ) ارضها صبا وابارها منفورة وبها عين ماء وبها حمامات واسواق وبيوتها مبنية من الطوب^(٢٠).

وبرقة لها اثار قديمة عظيمة كانت عامرة في القديم، وليس في بلاد برقة غير نهر واحد يقال له نهر درنا^(٢١) وبني سورها ايام المتوكل^(٢٢).

ويرى يفر "ان برقة هي اقليم كان يسمى قديما كرنিকা، وهو هضبة جيرية فسيحة ترتفع عن سطح البحر بين (١٢٠٠ - ٦٠٠ قدم) ويبلغ عرضها نحو (٢٠٠ ميل)، ويوجد في شمالها مرتفعات وعرة^(٢٣).

"و تتألف حافة الهضبة لبرقة من سلسلة مرتفعات ويبلغ ارتفاع هذه الجبال عند مسجد سيدي الحمري نحو (٢٨٠٠ قدم)، وتبلغ اقصى ارتفاع لها وهو (٢٣٠٠ قدم)، ومنحدراتها الشمالية تغطيها طبقة من التراب ولهذا سميت برقة الحمراء^(٢٤).

"اما مرتفعاتها المتدرجة نحو الجنوب فيغطيها تراب رمادي اللون، لهذا سميت هذه المنطقة باسم "برقة البيضاء" وشكل الشاطي من مختا.

مياه هذه الامطار لا تبلغ من الكثرة، بحيث تفيض منها الانهار باستمرار فإنها مع هذا كافية لتغذية كثير من الينابيع، وتتسرب المياه من الشقوق في التربة الجيرية الى ان تصل الى الطبقة الصخرية الصلبة^(٢٥).

اجدابيه^(٢٦)

ذكرها ابن حوقل بانها بناؤها من الطين والآجر، وبعضها بالحجارة، ولها جامع نظيف... وهي ايضا قريبة من البحر المغربي، فتد على المراكب بالمتاع والجهاز^(٢٧).

سُرت:

وحسب وصف البكري، فإن مدينة "سرت كبيرة على؟؟ البحر عليها سور طوب وبها جامع وحمام واسواق ولها ثلاثة ابواب قبلي وجوفي، وباب صغير الى البحر، ليس حوالي ارباض ومن سرت الى اجدابيه ست مراحل ومن اجدابيه الى برقة ست مراحل ايضا"^(٢٨).

طرابلس:

ويرى البكري ان طرابلس مدينة بيضاء من الصخر الابيض على ساحل البحر في ريضها اسواق كبيرة فنقل السلطان بعضها الى داخل السور، وهي ناحية واسعة الكور كثيرة الضياع والبادية، وارتفاعها دون ارتفاع برقه في وقتنا هذا"^(٢٩).

وكان البحر لاصقا بسور المدينة، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن البحر شارعة في مرساها الى بيوتهم... فاذا البحر فاض من ناحية المدينة فدخلوا منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة... وانما بني سور مدينة طرابلس مما يلي البحر هرثمة بن اعين حين ولايته القيروان .. ومن طرابلس الى جبل نفوسة مسيرة ثلاثة ايام"^(٣٠).

قابس:

؟؟؟ست مراحل وعليها سور يحيط به خندق، ولها اسواق في ريضها"^(٣١). ومدينة قابس عند البكري (مدينة جليلة مسورة بالصخر الجليل و بنيان الاول، ذات حصن حصين، وارباض واسواق وفنادق وجامع سري وحمامات كثيرة، وقد احاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيء.. ولها ثلاثة ابواب وبشرقيها وقبليها وارباضها... واتصال البساتين

ثمارها مقدار اربعة اميال ومياها ساحة مطردة.

وساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان وحوالي قابس قبائل من البربر. (٣٢).

ووصفت قابس بأنها "كدمشق في الشام وينزل اليها نهران من الجبل، وجنوبها يخترقان في غوطتها، وقد خصت من بلاد افريقيا بالموز.. وبينها وبين البحر ثلاثة اميال، والمراكب المتوسطة تدخل في نهرها، وقابس في شرقي صفاقس، ولكن اطوالها المنقولة تقتضي خلاف ذلك.. عليها سور (وخندق). (٣٣).

سفاقس:

"وهي ناحية على نهر البحر، ولها مرسى حيث الماء، وعليها سور حجارة، وابواب حديد منيعة، ومنها محارس مكتبية للرباط بها، وبنائها بالحجارة والجير وبينها وبين المهديّة مرحلتان، ولها عامل عليها للسلطان بذاته" (٣٤). ومدينة سفاقس حسب ما وصفها البكري: "مدينة على البحر مسورة ولها اسواق كثيرة ومساجد وجامع، وسورها صخر وطوب، ولها حمامات وفنادق وبواد عظيمة، وقصور جمّة، وحصون ورباطات على البحر وفيها محرس بطوية، وفيها منار مفرط الارتفاع يرقى اليه في يقارب ستة وستين درجة.. وهي محط السفن.

وجزيرة فرقة المذكورة فيها اثار بنيان وموآجل للماء ويدخل فيها اهل سفاقس دوابهم ومواشيهم" (٣٥).

المهديّة:

فرضة لما والا من البلاد كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة، ولها

سور من حجارة وله بابان ليس لهما فيما رأيته من الارض شبيه ولا نظير غير اليابس اللذين سو الرفاقة، نظيفة المنازل والدور، حسنة الحمامات والخانات خصبة، طيبة الداخل نزهة الخارج بهية المنظر...^(٣٦).

ثم استطرد البكري في وصف المهدية قائلا: "وفي المهدية من؟؟ العظام ثلاثة مائة وستون غير ما يجري اليها اليها من القناة والتي فيها والماء الجار بالمهدية جبلة عبيد الله ن قريشة مناقش وهي على مقربة من المهدية، ويصب في صهرج داخل المهدية عند جامعها، ويرفع من الصهرج الى القصر بالدواليب، وكذلك ليضفي ايضا بقرب؟؟ من الابار بالدواليب ويصب في محبس يجري فيه في تلك القناة ويه مرفأ السفن... ومرساها منقور في جلد يسع ثلاثين مركبا على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد، فإذا اريد ادخال سفينة فيه ارسل حراس البرجيد احد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم حدوها كما كانت بعد ذلك لئلا يطرقها مراكب الروم. فانتسح الموضع وفيه ستة عشر برجاً ثمانية في السور الاول وثمانية في الزيادة.. فيما ردم من البحر وغير ذلك من المنازل والجامع سبعة بلاطات متقن البناء.. وكان له ارياض كثيرة اهله عامرة اقربها اليها زويلة فيه الاسواق والحمامات....^(٣٧).

ووصفت المهدية من قبل ابي الفداء بأنها على طريق داخل في البحر، كهيئة كف متصل بزند والبحر محيط بها غير مدخله، وهو مكان ضيق مثل سبتة، وهي غربي صفاق، وحصنها بسور شاهق في الهواء بالحجر الابيض، بابرجة عظام، وكان الابتداء في بنائها سنة ثلث وثلثمائة، وابتنى القصور الحسنة الشارعة على البحر والظاهرة عنه، وابتنى الناس بالمهدية اجل الابنية وصارت اجل الامصار^(٣٨).

سوسة:

مدينة بين الجزيرة والمهدية، طيبة ارضها خصبة على البحر، ولها سور حصين وماؤها معين... وهي احد فرض البحر، ولها اسواق حسنة وفنادق وحمامات طيبة، وهي مدينة القيروان على مرحلة^(٣٩). وفيها قصران على حافة البحر للرباط والعبادة اوقات كثيرة بافريقية، والصدقات تأتيها من كل ارض^(٤٠). وسرورة سوسة صخر منيع حصين متقن البناء يضرب فيه البحر ويدخل الى دورها... من الجهة الشرقية وفي ركن مدينة سوسة الذي بين المغرب والقبلة منار عال يعرف بمنار خلق الفتى، وبها ثمانية ابواب، احدها باب كبير جدا.. ولمدينة سوسة بابان غريان يقابلان الملعب... وحول مدينة سوسة اثار عظيمة للأول، وبنيان سوسة كلها بالصخر المحكم، وبسوسة اسواق كثيرة، وهي مخصوصة بكثرة الامتعة^(٤١).

واخيرا وصفها ابو الفداء: "بانها مدينة على الساحل الجنوبي تونس وشرقيها، وهي قليل العمارة... وبين المهدية وسوسة مرحلتان وسوسة مدينة ازلية بها سوق وفنادق وحمامات وهي على البحر الملح، وهي حد بين كورة الجزيرة وبين القيروان"^(٤٢).

باشوا:

وهي مدينة كبيرة اهلها بها جامع وحمامات وثلاث؟؟ واسواق عامرة، وبها قصر احمد بن عيسى الغايم علي بن الاغلب^(٤٣)

تونس

عند ابن حوقل: "مدينة تونس، وهي قديمة ازلية، ذات مياه جارية قليلة، والارتفاع بها كثير، والعائدة الى اربابها صالحة، وهي خصبة في ذاتها، وتسع

بغلالتها.. وكان اسمها في قديم الزمان ترشيش فلما احدث فيها المسلمون البنيان، واستحدثوا البساتين وكيطان سميت تونس وهي مصاحبة لقرطاجنة المشهور امرها...))^(٤٤). وهوائها صحي^(٤٥).

ويدور بمدينتها خندق حصين ولها خمسة ابواب، باب الجزيرة قبلي، ينسب الى جزيرة شريك، ويخرج الى القيروان، ويقابله الجبل المعروف بجبل التوبة، وهو جبل عال، لا ينبت شيئا في اعلاه قصر مبني مشرف على البحر، وبشرقي هذا القصر غار محني يسمى المعشوق، وبالغربي منه عين ماء، وبغربي هذا الجبل جبل يعرف بجبل الصيادة، فيه قرى كثيرة الزيتون، وفي هذا الجبل سبعة مواجل للماء...".^(٤٦)

وجامع "تونس رفيع البناء مطل على البحر ينظر الجالس فيه على جميع جواريه، ويرقا الى الجامع من جهة الشرق وبها اسواق كثيرة ومتاجر عجمية، وبمدينة تونس خمسة عشر حماما وفنادق كثيرة رفيعة وعضادات ابواب دور مدينة تونس كلها رخام بديع"^(٤٧).

وتونس مدينة جليلة قديمة البناء، ولها مياه ضعيفة جارية، يزرع عليها، وهي كثيرة الغلات.

بُنَزَرَت:

بُنَزَرَت: وبُنَزَرَت "مدينة على البحر خصبة اصغر من سوسة، وهي مرسى تونس، مدينة بنزرت على نهر يجري في شرقيها وعليه المنارة ولها بحيرة حلوة في جنوبها، وبحيرة مالحة في شرقيها"^(٤٨).

طبرقة:

ويه صحيحة الهاء كثيرة الرخاء، واسعة الفضاء، وطبرقة المذكورة مع

صغر مقدارها وتقه منزلتها، فإنها اشتهرت لكثرة ورود المراكب بالاندلسيين والتجار عليها ونزولهم فيها... وفيه تجاه اوائل الاندلس من المكان الذي هي به وتحاذي ايضا بعض بلاد الافرنجة" (٤٩).

ومدينة باجة: من المدن الكبيرة، "كثيرة الانهار، وهي على جبل يسمى عين الشمس، وفيها عيون الماء العذب، ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس، وهي تحت سور الحصين وحصنها اولي مبني بالصخر الجليل، وسورة الحصين مما يلي الربض مهديم وبها جامع متقن البناء قبلته تسور المدينة وفيها خسم حمامات ماؤها العيون" (٥٠).

بونة:

وصفها ابن حوقل: "مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة، وهي مدينة عليها سور منيع على نهر البحر" (٥١).

سبوس:

وفي بونة الحديثة بير على ضفة البحر منقورة في حجر صلد يسمى بير النثرة منها يشرب اكثر اهلها، بغربي هذه المدينة ماء سايح يسقى بساقين ويطل على بونة جبل زغوغ (٥٢).

بجايه:

وهي "مرسى، ومدينة عليها سور منيع على نهر البحر، وفي شفيره، وليس لها مرسى مأمون" (٥٣).

وقد بنيت مدينة بجاية على شكل مدرج فوق المنحدرات السفحية لجبل.. وهي تطل على خليج تحميه من الرياح العاصفة عدة كتل عالية الصخور، ومناخ هذه المدينة معتدل جدا في الصيف، ويكثر سقوط المطر في تلك

المنطقة، ولهذا تكثر المزروعات، مثل اشجار الزيتون والصفصاف والشویر،
وغير ذلك))^(٥٤).

جزائر بني مرغناي:

"مدينة عليها سور على سيف البحر ايضا، طيبة وشربهم، ولها بادية
كبيرة، وجبال فيها، جزيرة في البحر على رقية سهم منها تحاذيها فإذا نزل بهم
عدوهم لجؤوا اليها فكانوا في منعة وامن ممن يحذرونه ويخافونه"^(٥٥).
"وكانت المدينة مرغني كنيسة عظيمة يعتني فيها جدار مديد من الشرق
الى الغرب.. ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد اليه اهل السفن من افريقية
والاندلس..."^(٥٦).

تنس:

مدينة عليها سور ولها ابواب عدة، وبعضها على جبل قد احاط به
السور، وبعضها في سهل هي من البحر على نحو ميلين، وهي مدينة فوق
الصغيرة وليس على البحر فيها قاربها". وهي اكبر المدن التي يتعدى اليها
الاندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم"^(٥٧).

ومدينة تنس: بينها وبين البحر ميلان، وهي مسورة حصينة داخل قلعة
صغيرة صبة المرتقى.. وبها مسجد جامع واسواق كثيرة على نهر يسمى انتاتيا
يأتيها من جبال على مسيرة يوم يأتيها من القبلية ويستدير بها من جهة البحر.
وبها حمامات وتنس هذه هي التي تسمى تنس الحديثة، وعلى البحر
الحصين يذكر اهل تنس انه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة، وتنس
الحديثة اسسها وبنها البحريون من اهل الاندلس"^(٥٨).

وهران:

وان كانت مدينة محدثة فيها سور وهي لطيفة جدا، وسورها من تراب طابيه وماؤها من عين ماء جارية بها..^(٥٩)

ومدينة وهران معينة، ولها مسجد جامع وبني مدينة وهران محمد بن ابي عون...^(٦٠)

واسلن:

مدينة خصبة لها سور عظيم حصين مأوها فيها ومنها الى ارجكوك مدينة ايضا لطيفة لها مرسى وبادية، ومرساها في جزيرة لها فيها مياه ومواجن كثيرة المراكب"^(٦١).

مليلة:

مدينة ذات سور منيع وحال وسبع، وكان مأوها يحيط باكثر سورها ، بئر فيها عين عظيمة"^(٦٢).

"وهي مدينة مسورة بسور حجارة وداخلها قسبة مانعة ومسجد جامع وحمام واسواق، وهي مدينة قديمة"^(٦٣). وهو مأمون وله نهر يريق في البحر"^(٦٤).

سبته:

مدينة سبته وهي لطيفة على نهر البحر، وخارجها ايضا من الابار شيء كثير عذب، مرسى قريب الامد وقد تقدم بها معدنا للمرجان صالحا"^(٦٥). ومنها الى طنجة مدينة ازلية اثارها بينة بالحجارة قائمة على وجه البحر"^(٦٦).

طنجة:

"مدينة ازلية اثارها بينة وابنيها بالحجارة قائمة على وجه البحر"^(٦٧)، واما

"كورة طنجة فهي مساكن صنهاجة، وطريق الساحل من مدينة سبتة الى طنجة تخرج من المدينة، بسط تعمره نحو ميل" (٦٨).

وفيه سكنى ورباط وواد لطيف بريق في البحر وبين طنجة وبينه ثلاثون ميلا في البر والبحر" (٦٩).

"ومن المنازل المعمورة المشهورة ما بين سبتة وطنجة نهر اليان وقصر اليان فيه اثار للأولى كثيرة... ونهر الخليج وهو شرقي طنجة وموقعه البحر تدخله المراكب. وهي على شاطئ البحر المعروف بالزفاف مسورة متقنة البناء وهي محط للسفن اللطاف، لأن الريح الشرقية تؤدي فيه وهي طنجة البيضاء القديمة المذكورة في التواريخ وفيها اثار الاول... وماء مجلوب في تناور خام كثير وصخر منجور" (٧٠).

الهوامش

- (١) البلاذري، ابو الحسن احمد بن يحيى (ت ٢٧٩)، فتوح البلدان، طريقة رضوان محمد رضوان، (مصر، ١٩٥٩)
- (٢) ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي، (ت ٣٣١هـ)، صورة الارض ط ٢، (لیدن، ١٩٣٨)، ص
- (٣) الحموي، ياقوت مج ١، ص ١٨٤.
- (٤) المصدر نفسه، مج ١، ص ١٨٥.
- (٥) المصدر نفسه، مج ١، ص ١٨٦.
- (٦) الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ١٨٦، وتارة بينها لدنوكة ثم لقبطرة، ص ٩٧.
- (٧) لمصدر نفسه، مج ١، ص ١٨٦.
- (٨) المصدر نفسه، مج ١، ص ١٨٧.
- (٩) الحموي، معجم البلدان، مج ١، ١ - ١٨٧ - ١٨٨، ورسم شكل الفية افقيا.
- (١٠) ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر (ت ٧٣٧هـ)، كتاب تقويم البلدان، تحقيق ماك كوكين (سيلان)، (باريس، ١٨٤٠هـ)، ص
- (١١) ابو الفداء، تقديم البلدان، ص ١١٧.
- (١٢) المصدر نفسه: ص ١١٧.
- (١٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
- (١٤) اليعقوبي، البلدان ص ١٠١.
- (١٥) اليعقوبي، البلدان، ص ١٠١.

- (١٦) ج، بقر، برقة، دائرة المعارف الاسلامية، مج ٣، ص ٥٥٧.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ٥٥٧.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ١٠٢.
- (١٩) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٦٩.
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ٥.
- (٢١) ابو الفداء تقويم البلدان، ص ١٤٩.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ١٤٩.
- (٢٣) بقر، برقة، دائرة المعارف الاسلامية، مج ٣، ص ٥٥٥.
- (٢٤) بقر، برقة، دائرة المعارف الاسلامية، مج ٣، ص ٥٥٥.
- (٢٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٥٥-٥٥٦.
- (٢٦) ينظر ما تناولنا عن اجدابيه كمدينة تابعة لبرقه في الصفحات السابقة وقد اعتمدنا هذه الصفحة كونها مدينة مستقلة ميناء على ما ذكره ابن حوقل، صورة الارض، ص ٦٩-٧٠.
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ٧٠.
- (٢٨) البكري، كتاب الغرب، ص ٦.
- (٢٩) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧١.
- (٣٠) المصدر نفسه، ص ٨-٩، ص ١٨٢.
- (٣١) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٢.
- (٣٢) البكري، كتب المغرب، ص ١٧-١٨.
- (٣٣) ابو الفداء ، تقويم البلدان، ص ١٤٣.
- (٣٤) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٣.

- (٣٥) البكري، كتاب المغرب، ص ١٩-٢٠.
- (٣٦) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٣.
- (٣٧) البكري، كتاب المغرب، ص ٣٠-٣١.
- (٣٨) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٤٥.
- (٣٩) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٤-٧٥.
- (٤٠) المصدر نفسه، ص ٧٥.
- (٤١) البكري، كتاب المغرب، ص ٣٤.
- (٤٢) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٤٥.
- (٤٣) البكري، كتاب المغرب، ص ٤٥.
- (٤٤) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٥.
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٧٥.
- (٤٦) البكري، كتاب المغرب، ص ٣٩.
- (٤٧) المصدر نفسه، ص ٤٠.
- (٤٨) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٤٣.
- (٤٩) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٦.
- (٥٠) البكري، كتاب المغرب، ص ٥٦.
- (٥١) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٧.
- (٥٢) البكري، كتاب المغرب، ص ٥٤-٥٥.
- (٥٣) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٧.
- (٥٤) بفر، بجاية، دائرة المعارف الاسلامية، مج ٣، ص ٣٥٠.
- (٥٥) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٨.

- (٥٦) البكري، كتاب المغرب، ص ٦٦.
- (٥٧) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٨.
- (٥٨) البكري، كتاب المغرب، ص ٦٠-٦١.
- (٥٩) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٩.
- (٦٠) البكري، كتاب المغرب، ص ٧٠-٧١.
- (٦١) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٩.
- (٦٢) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٩.
- (٦٣) البكري، كتاب المغرب، ص ٨٨.
- (٦٤) المصدر نفسه، ص ٨٩.
- (٦٥) ابو حوقل، صورة الارض، ص ٧٩.
- (٦٦) المصدر نفسه، ص ٨٠.
- (٦٧) ابن حوقل، صورة من الارض، ص ٨٠.
- (٦٨) البكري، كتاب المغرب، ص ١٠٤.
- (٦٩) المصدر نفسه، ص ١٠٥.
- (٧٠) المصدر نفسه، ص ١٠٨-١٠٩.

الامام عزيز محمود الاسكوداري

(هدائي)

١٥٤١ - ١٦٢٨ واثاره الفكرية

باللغة العربية

أ.د. إنعام مهدي علي السلطان

كلية الآداب / جامعة بغداد

احد الاولياء الصالحين اسمه الحقيقي محمود بن فضل الله بن محمد ابن السفر يحصاوي الرومي القسطنطيني الاسكوداري (هدائي) وهو من نسل جنيد البغدادي ^(١) وينسب ايضا الى الاشراف .ولد في قصبة كوجه حصارالقريبة من انقرة عام 1541/948م .اما عزيز فهي صفة اطلقت عليه والتصقت باسمه احتراماً وتقديراً له ،اما كلمة هدائي (وهي جاءت من لفظة الهداية) فيشير البعض انها اطلقت عليه من قبل شيخه محمد محيي الدين افتاده قضى محمود الاسكوداري طفولته في سوري حصار وهي احدى القصبات التابعة لمدينة اسكي شهر ثم ذهب الى اسطنبول فيما بعد والتحق بمدرسة كوجوك ايا صوفيا في اسطنبول حيث حصل على شهادة الحقوق .كان محمود الاسكوداري ذو ذكاء حاد لذلك قرّبه اليه ناظر زادة رمضان افندي احد اساتذته واصبح معيدا له بعد ان استرعى انتباهه في اثناء تلقيه تحصيله الدراسي ^(٢) .وبسبب المناخ الصوفي القوي السائد في عصره ورغبته العميقة في تحصيل المعرفة، التحق محمود الاسكوداري في اثناء دراسته في المدرسة ،بحلقات نوري الدين زادة احد رجال التصوف انذاك وبعد ان عمل الاسكوداري سويا مع استاذة ناظر زادة رمضان في مدارس مختلفة في اسطنبول حيث عين اولاً بمدرسة ادرنه السليمية .عمل بالقضاء مع استاذة ناظر زادة في كل من الشام والقاهرة فقد رافقه في اسفاره .وحيثما عين ناظر زادة رمضان رئيساً للقضاء في بورصة عمل معه محمود الاسكوداري مدرسا في احدى مدارس بورصة.لكنه سرعان ما ارتحل

(١) -أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، أصله من نهاوند في همدان، ولد سنة نيف وعشرين ومئتين للهجرة ومولده ومنشؤه ببغداد

الى اسطنبول لتلقي العلوم في مدرسة فرهادية ثم عين نائبا للقاضي بمحكمة جامع عتيق . لاسيما وان شخصية محمود الاسكوداري اتسمت بالذكاء الحاد وكان متمكنا في العديد من العلوم مثل التفسير والحديث ^(١)

تلقى محمود الاسكوداري العلوم على يد شيخه محمد محيي الدين افتاده في مدينة بورصة بعد ان اتصل بالمحيطات الصوفية وتروى في ذلك قصة طريفة ، فعندما رحل استاذاه ناظر نوري زادة أصبح محمود الاسكوداري القاضي في بورصة، وبعد ثلاثة سنوات سمع شهرة افتاده وتساءل من هو؟ وعندما وصل الى مدرسته رأى رجل يغرس الورد في الحديقة و سأل محمود أين افتاده؟ من افتاده؟ لكن الرجل لم يقل شيئا وكرر السؤال مرة أخرى ، وقال الرجل أنا افتاده و تعجب محمود، وقال افتاده : "ويحك يا قاضي أظن أنك جئت غير مكانك هذا الباب باب فقر و نحن عبيده هذا الباب لكن أنت ذو المال والشهرة والثروة عندنا لا شيء الا الله"

هذا الكلام أثر في محمود الاسكوداري الذي سالت دموعه وقال : " يا سيدي أنا تركت كل ثروتي في عتبة بابكم ومرادي أن أصبح طالبكم وأن أتشرف بخدمتكم فقط" ^(٢)

طلب منه افتاده ثلاثة اشياء اذا ما انظم لحلقاته هي :

- ان يوزع كل ما لديه من مال
- ان يبتعد عن التدريس وعمله بالقضاء
- ان يدخل في مجاهدة للنفس والرياضة بجوار شيخه كي يربي نفسه

(١) -سلطان القلوب محمود عزيز هدائي قدس سره

وافق محمود الاسكوداري على الشروط وتعرض الى امتحانات صعبة منها قصة طريفة تم تناقلها حصلت بينه وبين شيخه افتاده فقد طلب منه الاخير ان يترك القضاء في بورصة ويبيع كبدة في ازقتها. فاخذ يبيع الكبدة في بورصة وهو يلبس القفطان مما جعل الناس يسخرون منه وهكذا ربي الاسكوداري نفسه .
اتم محمود الاسكوداري امتحانه الشاق بمدة قصيرة بلغت ثلاث سنوات وحصل على المشيخة قبل الاربعين من عمره حيث ارسل الى بلدة سوري حصار .

لم يبق الامام كثيرا بعيدا عن بورصة اذ سرعان ما عاد اليها ليشهد وفاة شيخه محمدي الدين افتاد ه عام 1580 وبعد وفاة استاذة ارتحل الى البلقان نحو الروم ايلي بسبب ضجره من البقاء في بورصة بسبب وفاة شيخه . لكن محمود الاسكوداري سرعان ما هجر الروم ايلي عائدا الى اسطنبول مركز العلم والمعرفة حيث استقر بحي كوجوك ايا صوفيا التي قضى فيها سنوات شبابه. حيث انشغل بخدمة الارشاد والوعظ .^(١)

بعد مدة من الزمن قرر الامام محمود الاسكوداري الانتقال الى اسكودار حيث اشترى بالمال الذي يمتلكه ارضا شيد عليها تكية وجامع وبنى مقرا له ونقل منزله الى اسكودار الى جوار جامع رومي محمد باشا للاشراف على بناء التكية وذلك عام 1594 حيث تزامن ذلك بانتهاء سلطنة مراد الثالث بوفاته عام 1595 وتسلم السلطان محمد الثالث الحكم. (1595-1603). وتروى في انتقاله الى اسكودار وبنائه للتكية رواية مفادها انه رأى في منامه كانه جيء به الى ابواب جهنم فرأى اناسا كان يظن لشدة صلاحهم واستقامتهم سيكونون في الجنة

منهم استاذہ ناظر نوري زادة ،وهو رجل ذو استقامة وصلاح فتاثر من هذه الرؤية فباع كل ما يملكه واشترى الارض وبنى التكية .^(١)

واصل الامام محمود خدماته الارشادية والوعظ في جامع الفاتح مدة اربع سنوات بعدها انتقل بارشاداته ومواعظه الى جامع مهرماه^(٢) باسكودار لبعده المسافة بين اسكودار مقره وجامع الفاتح .ومن جامع مهرماه كان يقدم خدماته الارشادية في اسكودار وما حولها دون ان يتقرب من السلطان الذي حكم قرابة ثمانى سنوات .

بوصول السلطان احمدالاول (1603-1617)الى سدة الحكم اجل السلطان احمد الامام وقدره فقد كان يقدم النصيح والارشاد للسلطان ووقع له مع السلطان حكايات ومكاشفات تؤثر عنه ،ومن ذلك ما يذكر ان السلطان احمد ذهب وبعض من خواصه الى احد الممتزحات في اسكودار وطلب لحما مشويا فجيء

(١) -مجد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ، المختار المصون من اعلام القرون ، الاندلس، ١٩٩٥، ص ص١١٤٨-١١٤٩

(٢) السلطنة مهرماه (١٥٢٢م - ٢٥ يناير ١٥٧٨م) ابنة السلطان سليمان القانوني والسلطنة حُرَّم سلطان ولها اخوة مجد وسليم وبايزيد وجهانكير بالإضافة إلى مصطفى وهو أخ نصف شقيق وهي ثمانية بين اخوانها الاربع . تزوجت في سن ١٧ عاما من رستم باشا و الذي عينه السلطان صدرا اعظم بعد وفاة سليمان باشا الخادم وذلك عام ١٥٤٤ وقيل أنها لم تكن سعيدة في هذا الزواج لذا قضت جل وقتها في مراقبة أبيها في تنقلاته في الدولة وكذلك في حروبه. لم تكن مهرماه سلطنة فقط بل كانت السلطنة الام في عهد شقيقها الأصغر السلطان سليم الثاني^[٣]. كان لها العديد من النشاطات والأعمال الخيرية نتيجة ثروتها العظيمة التي جعلتها أغنى سيدات الدولة العثمانية خصوصاً بعد وفاة زوجها وميراثها منه ،

ويكبيديا الموسوعة الحرة

باللحم وحفر له حفيرة وشوي بحضرته فلما اراد تناوله حضر الامام محمود ونهاه عن تناول شيء منه ، وقال له "انه كان بجانب اللحم حية وقد احترقت وسرى سمها الى اللحم وامر بالقاء قطعة لحم الى كلب هناك فلما اكلها مات ثم حفروا المكان فرأوا اثار الحية " .ويروى ايضا ان السلطان احمد قد عزل احد وزرائه ، وارسل ختم الوزارة الى وزير كان مقيما في اسكودار فغرق الرسول ومعه الخاتم ، فلما بلغ الامر السلطان ذهب الى الاسكوداري وذكر له الامر فكان جوابه ان كشف له السجادة وناولته الخاتم من تحتها . ومن اللطائف التي تتقل عنه انه قال للسلطان احمد " بلغني انك صرت في ابتداء امرك نائبا فقال :نعم صرت في عدة بلدان نائبا ثم وضعت لنفسني نقطة فصرت نائبا بعد ان كنت نائبا " .^(١)

واستمر الحال في قربه للسلطان في عهد السلطان عثمان الثاني (1622-1618) كما قدم للسلطان مراد الرابع (1640-1623) سيف السلطنة باعتباره اجل شيوخ عصره.

انتقل الامام الى دار الحق يوم 2 تشرين الاول 1628م المصادف 3 صفر 1038هـ تاركا العديد من المؤلفات اذ الف الامام محمود الاسكوداري بحدود عشرين مؤلفا خمسة عشرة منها باللغة العربية وخمسة منها باللغة التركية جميعها محفوظة في المكتبة السليمانية في اسطنبول كما انها موجودة في معهد الثقافة والدراسات الشرقية في جامعة طوكيو في اليابان وهي تعد من المخطوطات كونها مكتوبة بخط اليد .
والمؤلفات العربية هي :

- نفائس المجالس وهو تفسير لبعض الايات القرآنية

(١) - محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ،المصدر السابق ،ص ١١٤٩ .

- جامع الفضائل وقامع الرذائل وهو يعد من اشهر كتبه ويتكلم عن فضائل العلم والعمل والاخلاق وبيان ما يجانبها
- مفتاح الصلاة ومراقبة النجاة
- خلاصة الاخبار في احوال النبي المختار
- كشف القناع عن وجه السماع
- فتح الباب ورفع الحجاب
- رسالة في الطريقة المحمدية وسيلة الى السعادة السرمدية
- واقعيات :من الحوادث التي وقعت له مع شيخه افتادة
- الفتح الالهي ووهو متعلق بخلق الانسان
- حياة الارواح ونجاة الاشباح
- حبة المحبة
- المجالس الوعظية
- مراتب السلوك
- الشمائل النبوية الاحمدية المحمدية
- التجليات الالهية والكشوفات الربانية

وبنظرة سريعة لما تضمنته عدد من مؤلفاته فان مخطوطة حياة الارواح ونجاة الاشباح يتناول رسالته في حشر الارواح والاجساد و الموت والحياة وقد قسم الكتاب الى ابواب الباب الاول في الموت الاضطراري ودعا الناس الى ان لا تغريهم الحياة لانها زائلة .اما الباب الثاني فيتناول الفتن عند الموت وروى عن النبي ان الشخص حينما يموت فانه لديه شيطانان الاول على يمينه والثاني على يساره.كما اشار الى ان الرسول يذكر ان الانسان الذي يكون اول كلامه واخر كلامه قبل موته ان لا اله الا الله سيدخل الجنة .قسم محمود

الاسكوداري المخطوطة الى ابواب عديدة لكن مما يؤسف له ان المخطوطات كتبت بخط اليد وبخط في كثير من الاحيان غير واضح. (١)

اما مخطوطة جامع الفضائل وقامع الرذائل وهو يعد من اشهر مؤلفاته فيتناول موضوع الصوم والصلاة والزكاة واداب الجماع ،وقد قسم الاسكوداري المخطوط الى ابواب الباب الاول في الاحوال العامة والفضائل المهمة مثل فضل العلم وشرف التعليم والتعلم لان العلم سبب لرفع الدرجات وجالب الجنة. (٢)

وفي مخطوطة فتح الباب ورفع الحجاب فيتناول موضوعات في التوبة ،وفي خلق الانسان، وفي جامعة الانسان ، واحتجابه في السر الالهي تناول في الباب الاول في خلق الانسان . اما الباب الثاني فيتناول التوبة . (٣)

وتتطرق في مخطوطة مفتاح الصلاة ومراقبة النجاة الى فضائل الصلاة ،وكيفية اقامتها وبعض اسرارها ورعاية ادبها ،كما تناول فضائل الجمعة والجماعة وأشار الى "الحمد لله الذي امر عباده بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى والصلاة على من امن واجتهد في امامة امر الدين حتى ياتيئك اليقين " . (٤)

اما مخطوطته رسالة في الطريقة المحمدية وسيلة الى السعادة السرمدية ففيها يتطرق الى ان هذه الطريقة وجدت للعباد الصالحين من اهل الارادة الذين

(١) - محمود الاسكوداري ،مخطوطة حياة الارواح ونجاة الاشباح

(٢) -محمود الاسكوداري ،مخطوطة جامع الفضائل وقامع الرذائل

(٣) -محمود الاسكوداري، مخطوطة فتح الباب ورفع الحجاب

(٤) -محمود الاسكوداري، مخطوطة مفتاح الصلاة ومراقبة النجاة

كما يشير طوبى لهم ويرى ان قيراط عقل خير من قيراط فضل والشهرة افة كل من يتمناها والخمول راحة كل من يتولاها.^(١)

وفي مخطوطته خلاصة الاخبار في احوال النبي المختار يذكر ان الله سبحانه وتعالى خلق العرش وقد شبهه الاسكوداري بالسقف ثم خلق السماوات وبعدها الارضين التي تحولت احداها الى الماء ثم تكلم عن الجبال والبحار وما تحتها وأشار الى ان سيد الايام هو يوم الجمعة حيث لا تقوم الساعة الا يوم الجمعة وانتهى الى عدد السنوات بين ظهور نبي واخر.^(٢)

اما مؤلفاته باللغة التركية فهي :

-نجاة الغريق في الجمع والتفريق

- المكتوبات

-المعراجية

-ديوان شعره في الالهيات

كما ترك الامام محمود الاسكوداري الكثير من الاوقاف للتربية الروحية والعلمية والاجتماعية وذلك في منطقة اسكودار ومئات الاف من المريدين والمحبين له ودفن داخل الكلية التي انشاها.^(٣)

وما يزال الى يومنا هذا يوزع وقف هدائي الطعام الى الاسر الفقيرة في اسكودار فضلا عن توزيع المبالغ النقدية على عدد من الاسر المعوزة فضلا عن الخدمات الصحية للاسر التي ليس لديها المال الكافي للعلاج فضلا عن

(١) -محمود الاسكوداري ، مخطوطة الرسالة في الطريقة المحمدية وسيلة الى السعادة السرمدية

(٢) - محمود الاسكوداري ، خلاصة الاخبار في احوال النبي المختار

(٣) سلطان القلوب محمود عزيز هدائي قدس سره

المنح الطلابية للمتفوقين . وقد توسع الوقف حتى اصبح له اليوم سبعون مركزا في تركيا وما يزال الجامع المشيد باسمه موجودا يؤمه المصلون من كافة انحاء تركيا كانت للاسكوداري مجموعة كتب في مكتبة باسمه اصبحت ضمن مكتبة سليم اغا التي اسسها عام 1197هـ في اسكودار وضمت (1281) مخطوطة.^(١)

(١) - إسماعيل بن عبد الله الأسكوداري، 1119-1182هـ . رسالة في أهل الصفة وأحوالهم

**دور المنجمين في حياة رجال الدولة
عبر العصور ٦٥٦هـ — / ١٢٥٨ م**

أ. م. د. نوال ناظم محمود

جامعة بغداد / كلية الآداب

قسم التاريخ

Abstract

Astrology is regarded as one of the most ancient dark and backstage sciences. It is the base of all other magical systems and one of the ancient most mysterious and puzzling sciences for it is formed out of various and different sciences. Within astrology, astronomy, time calculation and mathematics were emanated.

The task of astrology in ancient times was observing the motions of planets and stars as well as forecasting the incidences of lunar eclipse, solar eclipse and reading the people's future. The priests was monopolizing this ancient science; therefore, they thought that the sky stars were ruling the fates and destinies of kings an peoples, thus the rulers needed them in administering their projects and taming the people on submission and obedience. The first population of Mesopotamia were the masters of the world in astrology from whom other countries took the science. At the appearance of Islam, the Muslims had scientific and religious motives to be interested in astronomy, they needed to know the stars and follow them as well as defining the prayers times and the qibla and crescent vision.

المقدمة:

يعتبر علم التنجيم اقدم العلوم الخفية وهو الاساس لجميع الانظمة السحرية الاخرى ، واكثر العلوم القديمة غموضاً والغازاً . فكان يتشكل من علوم مختلفة ، وضمن التنجيم انبثق علم الفلك وحساب الزمن والرياضيات . وكانت مهمة التنجيم قديماً رصد حركات الكواكب والنجوم والتنبؤ بحوادث خسوف القمر وكسوف الشمس وكشف طالع الاشخاص . وكان الكهنة محتكرين العلم القديم لذلك اعتقدوا بأن نجوم السماء حكمت اقدار الملوك والشعوب ، فكان الحكام حاجتهم لهم في ادارة مشاريعهم وترويض الناس على الخضوع والطاعة، وقد كان سكان بلاد الرافدين الاوائل سادة العالم في التنجيم ، واخذت منهم البلدان الاخرى. وبظهور الاسلام فكان لدى المسلمين بواعث علمية ودينية للاهتمام بعلم الفلك ، يحتاج لمعرفة النجوم والسير عليها ويقين اوقات الصلاة وتحديد القبلة ورؤية الهلال .

ويوشك الاجماع بين المصادر التاريخية ان ينعقد على ان نهضة علم التنجيم والفلك في العصور العباسية وبدأت على يد خليفته ابو جعفر المنصور وسار على خطاه الخلفاء الذين جاءوا بعده ، وازداد الاهتمام بهذا العلم في فترة التسلط البويهي والسلجوقي حتى نهاية الخلافة ، لا وبل استمر هذا العلم في الغزو المغولي على البلاد الاسلامية وتضمن البحث على مواضيع :

١. تعريف علم التنجيم لغة واصطلاحاً ، الكهان والعرفاء
٢. علم التنجيم في العصور القديمة
٣. علم التنجيم عند العرب قبل الاسلام
٤. علم التنجيم والمنجمون في الدولة العربية الاسلامية من عهد الرسول (ص) الى ٦٥٦ هـ .

تعريف علم التنجيم :

لغةً : هو مصدر نجم المشتق من النجم وهو الكوكب والتنجيم صفة المنجم وهو ينظر في النجوم ، بحسب مواقيتها وسيرها ^(١) .
اما اصطلاحاً :

هو علم تخميني الغرض منه الاستدلال من اشكال النجوم والكواكب بقياس بعضها الى بعض وبقياسها الى دَرَج البروج ، وبقياس جملة ذلك الى الارض على ما يكون من احوال وادوار العالم والملك والمالك والبلدان والمواليد والتحاويل والتساير والاختيارات والمسائل ^(٢) .

اما ابن تيمية عرف التنجيم بانه الاستدلال على الحوادث الارضية بالاحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الارضية كما يزعمون ^(٣) .

(١) الجوهرى ، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م) ، الصحاح تاج اللغة ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٨٤م) ، ج٥ ، ص ٢٣٠ ، ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر للنشر و التوزيع ، بيروت ، ج١٢ ، ص ٥٧٠ ، ساغر ، هاري ، عظمة بابل ، ترجمة و تعليق د. عامر سليمان ، جامعة الموصل ، ١٩٧٩ ، ص ٤٤١ .

(٢) ابن سينا ، ابي علي الحسين بن عبد الملك (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ، تسع رسائل في الحكمة و الطبيعيات ، ط١ ، القسطنطينية (١٩٢٨م) ، ص ٧٥ ، الخطيب البغدادي ، أحمد بن ثابت ، (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، القول في علم النجوم ، حققه د. يوسف بن محمد السعيد ، ط١ ، دار اطلس للنشر و التوزيع ، الرياض ١٩٩٩م ، ص ١٠٤ .

(٣) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) ، مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية ، جمع و ترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد و ساعده ابن محمد ، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام و المسجد النبوي ، ج٣٥ ، ص ١٩٢ ، الخطيب البغدادي ، القول ، ص ١٠٥ .

وعرف ايضا بأنه علم يتعرف منه على الاستدلال بالتشكيلات الفلكية من اوضاعها ، وهي اوضاع الافلاك والكواكب من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان ^(١) .

- الكهانة و العرافة :

يدخل ضمن علم التنجيم التي اختصت بمعرفة الامور المستقبلية و العرافة التي اختصت بأمور الماضية ، وهما التنبؤ و الاستطلاع و معرفة الغيب الماضي و الحاضر و المستقبل ، وكانوا ذا علم و معرفة و فلسفة و طب و تنجيم ^(٢) .

· علم التنجيم في العصور القديمة ·

علم التنجيم هو اقدم العلوم الخفية ، وهو الاساس لجميع الأنظمة السحرية الأخرى ، و أكثر العلوم القديمة غموضاً و الغازاً فكان يتشكل من علوم مختلفة فمن التنجيم انبعث علم الفلك و حساب الزمن و الرياضيات وغيرها من العلوم .

كانت مهمة المنجم قديماً رصد حركات الكواكب و النجوم و التنبؤ بحوادث خسوف القمر و كسوف الشمس و كشف الطالع للاشخاص ، اي التنبؤ بشخصيته و مستقبل الشخص من طالعه اي من الاوضاع النسبية للشمس و القمر و الكواكب و النجوم عند مولده او عند الحمل به او اي وقت يراد بها التنبؤ . فالمنجم يسعى لربط الانسان ومصيره بالسماء وهذا مما يجعل

(١) طاش ، كبري زاده ، احمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ / ١٥٦٠م) مفتاح السعادة و مصباح السيادة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ص٢٣٧ .

(٢) حناقره ، علم التنجيم ، ص ٩٦ .

للمنجم يسعى قدسية لاتصاله بعالم الغيب والغامض . واستناداً لكتابات بيريوسوس^(١) وهو كاهن بابلي وجد بالقرن الثالث قبل الميلاد فقد رصد البابليون الشمس والقمر والزهرة وباقي السيارات الخمس ، وكذلك النجوم ورصدوا طلوع ونزول الاجرام السماوية بشكل متواصل على مدى اكثر من الف سنة قبل عصر الميلاد . واعتبروا النجوم هي وكلاء القوى العظمى وابتدؤوا بتحديد حظوظ الشعوب والدول والاشخاص بالقوة والرغبة للارواح الجبارة التي تسكن تلك الاجرام السماوية . وان سكان بلاد ما بين النهرين (الكلدان) كانوا قادرين في عهدهم على التنبؤ استناداً الى الرصد السماوي ، وليس الطقس واحواله فقط بل وحياة الناس وموتهم ومصائرهم وحظوظهم^(٢) .

وذكر بأن الشعوب المتأخمة لحدود الخليج العربي كانوا ماهرين في علم النجوم وكشف الطالع وقدرتهم على القوى السحرية ، ولهذا فأن تسمية (كلدان) كانت تطلق على المنجمين (اي يعني المنجم) وهم ورثة البابليين^(٣) . واستمروا البابليون بالرصد من تأكد لديهم تأثير النجوم على العالم بصورة غير قابلة للدحض ، واطلقوا على المجموعات الكوكبية المختلفة والابراج

(١) راهب فلكي ومؤرخ كلدي من بابل و من عبدة الاله مردوخ عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وله مصنفات . ابن النديم ، محمد بن اسحاق ت ٤٣٨هـ / ٩٩٠م ، الفهرست ، مطبعة الرحمانية ، مصر ١٣٨٤ هـ ، ص ٣٧٧ .

(٢) حناقره ، عبود ، علم التنجيم اسراره و اوهامه ، ط ١ ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ٢٠٠٠م ، ص ٣٤ .

(٣) غارنث ورك ، تشوربوموف ، السماء دون غرائب ، ترجمة د. هاشم حمادي ، نشر وزارة الثقافة السورية ١٩٩٦ م ، ص ٤٥ ، حناقره ، علوم التنجيم ، ص ٢٣ .

النجمية اسماء اختارها عنهم فيما بعد اليونان^(١) . وهم اول من بحث في علاقة السماء بالارض وتأثيرها على الارض فمنذ الاف سنين كان كهنة بابل القدماء يراقبون النجوم والكواكب ويحاولون ايجاد قوانين سيرها وشرحها ورسم تأثيرها على الارض وسكانها . ونجد ذلك واضحاً في اقدم الالواح التي عثر عليها في ما بين النهرين وقد كانت ارسادهم الفلكية المصدر الوحيد لهيديارخوس^(٢) و بطليموس^(٣) و غيرهم من الفلكيين الذين كانوا الاصل لعلم الفلك الحديث وتطوره . واما الاشوريون لم يكتفوا بمشاهدة النجوم وانما حفظوا عهود العوالم السبعة وتطوراتها^(٤) وذلك من خلال ما وجد في مكتبة ملك اشور الذي حكم بين سنتين ٦٦٨-١٢٦ ق. م الواح طينية عن التنجيم لقدماء بابل^(٥) .

(١) سيمتو، موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة ، د.يعقوب بكر ، دار الرقي ، بيروت ١٩٨٦ م ، ص ٧٩ .

(٢) اوبرخش عالم فلك من أصل يوناني اشتهر في القرن الثاني قبل الميلاد توفي ١٢٠ ق . م واعتمد عليه بطليموس في ابحاثه في النجوم والكون وهو من أعظم علماء الفلك القدامى ، وهو اول من واضع خريطة للسماء ، البعلبكي ، منير ، معجم اعلام المورد ، ط١، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ١٩٩٢ م ، ص ٤٨٦ .

(٣) بطليموس : ولد في صعيد مصر و توفي قرب الاسكندرية ، ١٦٧ م ، من علماء الهيئة و التاريخ و الجغرافية ، واشهر مؤلفاته المجسطي و آثار البلاد ، المسعودي ، علي بن الحسين (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، مروج الذهب و معادن الجواهر ، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي ، دار القلم ، بيروت ، مجلد ١ ، ص ٢٨٠ ، هونكة ، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله الى الالمانية ، فاروق بيضون و كمال دسوقي ، راجعه ، مارون عيسى الخوري ، دار الجيل ، دار الاوقاف الجديدة ، بيروت ١٩٩٣ م ، ص ١٠٩ .

(٤) حناقره ، عبود علم التنجيم اسراره و اوهامه ، ص ٣٤ .

(٥) حناقره ، علم التنجيم ، ص ٣١ .

اما المصريون فقد تاثروا بأمور التنجيم من البابليين القدماء و الكلدان ، ووضعو الكهنة الاسرار و القوى العليا ليعملوا ايات تثير مخيلات الشعب وعملوا لذلك استتطافاً للنجوم لانها متممة من لاهوتهم ، واعتبرت الشمس سيدة العناصر الاربعة . اي انتجت حياة و موت الحيوانات و النباتات و الكائنات الحية والانسان ، وراقبوا الكهنة حركات الكواكب و افترضوا تأثير كل منها الخير و الشر على جسم الانسان ^(١) .

و عرفوا قدماء المصريين نجم الصباح و المساء اي عطارد و الزهرة و المريخ و غيرها و رتبوها في بروج تختلف عن بروجنا الحالية المأخوذة عن البابلية ، و قسموا الليل والنهار الى اثنتي عشر ساعة و كانوا يعتقدون بتأثير النجوم على حياة البشر ، وقام الكهان و المنجمون يتنبأون بايام السعد و ايام النحس و كانوا الناس يقصدونهم اي المنجمين قبل الشروع بأي عمل هام ^(٢) . وعرف الاغريق التنجيم بعد غزو الاسكندر المقدوني ^(٣) لبابل سنة ٣٣١ ق.م ، حيث كان بلاطه مليء بالمنجمين و العرافين الذي كانوا لهم مكانتهم الراقية في المجتمع و هناك قصة عن الاسكندر قبل غزوه لبابل عندما كان يتمشى على طول مجرى نهر الفرات قرب بابل استشار المنجمون ليستخبر عن المستقبل و قد اجابه احد حكماء بابل و منجمها قائلاً : (لا تدخل المدينة فهي نحس لك كن حذراً في الوقت الذي تصدق به النجوم...اهرب من هذه المدينة حيث يحكم نجم نحسك) وقد تأثر الاسكندر بهذا

(١) حناقره ، علم التنجيم ، ص ٥١ .

(٢) حناقره ، علم التنجيم ، ص ٥٣ .

(٣) الاسكندر المقدوني : من اشهر القادة العسكريين في التاريخ كان شجاعاً ذا حكمه في الحروب ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .

التحذير و تحول من بابل الى الهند ثم رجع الى بابل و دخل المدينة ليأتي الى حتفه في الليلة السابقة لموته ^(١) ، ومن شدة اهتمام الاغريق بالتنجيم استقدموا منجم بابلي اقام مدرسة للتنجيم عام ٢٨٠ ق . م و تتلمذ فيها عدد كبير من الاغريق ^(٢) ، وبعد ذلك اخذت تظهر مولفات اغريقية ، اخذ الرومان التنجيم عن اليونان ، ومارسوا الاساليب و المبادئ التنجيمية نفسها . و لاهتمام بالتنجيم حيث أصبح المنجمون في القصور و هم من الموظفين الاكثر أهمية من غيرهم فنجد ان المنجم سبورينا الاغريقي حذر يوليوس قيصر (من اليوم ١٥ شهر مارس (آذار)) من خطر عظيم قد يصيبه ولم ينتهي اليوم هذا حتى قتل يوليوس على يد صديقه بروتس ^(٣) ، ومنجم آخر روماني مشهور اسمه (نيوجينيس) ، قرأ طالع الطفل اوغسطس ^(٤) و عندما ذكروا له تاريخ ميلاد حتى فر راکعاً من فوق مقعده عند قدمي الطفل ^(٥) . بعد ذلك اصبح اوغسطس من المؤمنين بالتنجيم حيث كان يضع علامة طالعه الجدي على

(١) حناقره ، علم التنجيم ، ص ٣٧ .

(٢) حناقره ، علم التنجيم ، ص ٥٧ .

(٣) حناقره ، علم التنجيم ، ص ٦٢ .

(٤) اول امبراطور للدولة الرومانية ، و انشأ النظام الامبراطورية في روما و كان عمره ثمانية ثمانية عشر سنة ورث سلطان القيصر و حكم من ٢٧ ق . م حتى مماته في ١٤ م . عبودي ، هنري س ، معجم الحضارات السامية ، ط٢ ، طرابلس ، لبنان ١٩٩١ ، ص ١٦٧ .

(٥) اوديوجين فيلسوف اغريقي عاش ٤١٢ ق . م - ٣٢٣ ق . م عاصر افلاطون و كانت بينهما صداقة ، وكان تلميذ لانتستيس الذي كان تلميذ لسقراط ، وكان شحاذاً يقطن الشوارع ، حناقره ، علم التنجيم ، ص ٦٢ .

العملة النقدية الذي يصدرها ^(١) . ومن هذه الروايات يمكن معرفة دقة الاغريق و الرومان في التنجيم ما وصلهم من البابليين علماً دقيق جداً . وبعد انتهاء الامبراطورية البابلية اصبح علم التنجيم او علم النجوم منتشراً بين الفرس و الاغريق ثم الهند ، ولم يكتفوا بما وصلهم من بابل و انما اضافوا حسب تجاربهم واكتشافاتهم فأرسطو ^(٢) اعتبر التنجيم واحد من الفروع العلوم الطبيعية و نظر الى الكواكب على انها عقول ، و اعطى صفات للكواكب تنعكس على الكائنات الحية اذ نسب الملك لزحل ، و الوزارة للقمر ، و العدل للمشتري ، و الزينة و الجمال للزهرة ، و التقدير لعطارد ، و الجور للمريخ ^(٣) . وبطليموس ^(٤) صاحب الكتاب المجسطي كان يعتقد اعتقاداً كبيراً بالتنجيم و كتابه اثني عليه القفطي بقوله (و الى بطليموس هذا تنتهي علم حركات النجوم

(١) حناقره ، علم التنجيم ، ص ٦٢ - ٦٤ .

(٢) ارسطو ، يوناني اسكندارني وله من الكتب في اجرام الشمس و القمر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٧٨ .

(٣) الخطيب البغدادي ، علي ابن احمد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠ م) ، حققه د. يوسف بن محمد السعيد ، ط ١ ، دار اطلس للنشر و التوزيع ١٩٩٩م ، ص ٨ ، ابن حيان التوحيدي ، علي بن محمد ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، البصائر و النخائر ، تحقيق د. وراء القاضي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ط ١ ، ص ٢٦٧ ، الخطيب البغدادي ، القول في النجوم ، ص ١٠٧ .

(٤) رصد الكواكب ، وهو اول من عمل الاسطرلاب الكري و الالالت النجومية ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٧٤ .

و معرفة اسرار الفلك و عنده اصبح ما كان متفرقاً من هذه الصناعة بأيدي اليونانيين و الرومان)^(١) .

و انتشر التنجيم بشكل واسع حتى ان عامة الناس امنوا بالتنجيم و في سير حياتهم عليه ، ولكن هذا لم يستمر طويلاً و انتشر الدين المسيحي في الامبراطورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي، الذي يرفض التنجيم لانه مخالف للتعالم سيد المسيح ، وطاردا المنجمين و رفضوا علمهم و حرق كتبهم حتى لم يكن يعرف عنه في روما عند اجتاحتها البرابرة عام ٤١٠ م^(٢)

وظهر التنجيم في هذه الفترة في بلاد الفرس لاهتمام ملوكهم حيث انهم لم يقدموا على اي امر قبل استشارة المنجمين و اشار ابن خلدون في مقدمته(سأل هرمز افريد عن مدة اردشير و ولده ملوك الساسانية فقال دليل ملكة المشتري وكان في شرفة فيعطي اطوال السنين و اجودها اربعمئة و سبعا و عشرين سنة ثم تزيد الزهرة و تكون في شرفها و هي دليل العرب فيملكون لان طالع القرن الميزان و صاحبه الزهرة)^(٣) ، وكذلك الهنود كان لهم اهتمام كبير به و لم يكن يخلوا بلاط ملك من منجم و يذكر ان احدا النساء في الهند كانت على وشك الولادة فمر بها منجم و كان ان ولد هذا المولود مع شروق الشمس ملك الهند كله و قد ولد مع شروق الشمس و ملك اغلب الهند^(٤) ، التنجيم عند

(١) علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) ، تاريخ الحكماء ، طبعة ١٩١٩م ، ص٦٨ ، الخطيب البغدادي ، القول ، ص ١٠٧ .

(٢) حناقره ، علوم التنجيم ، ص ٦٣ . البرابره هم الغوط الغربيون

(٣) عبد الرحمن ، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، المقدمة ، دار القلم ، بيروت ١٩٧٨م ، ص ٢٣٧ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٧٨ ، حناقره ، علم التنجيم ، ص ٦٩-٧١ .

الهنود من الطقوس الدينية التي كانوا يمارسونها فليس عندهم التنبؤ بالغيب كغيرهم من الأمم يقول البيروني (وعلم النجوم منهم أشهر لتعلق امر الملة)^(١) ، و يبين القفطي^(٢) ، ان علم التنجيم دخل على المسلمين من قبلهم و انه لم يدخل الانواع الا واحد هو السند هند .

علم التنجيم عند العرب قبل الاسلام

وقد له العرب الاجرام السماوية في الجاهلية و عبدها ضمن بعض اسماء فالالة اسم كوكب الزهرة اشتهر كثيرون بعبادتها و قد عبدها المناذرة و عبد بنو تميم النجم سهيل كما عبد العرب الشمس و القمر حيث (كان امية جد الامويين يسمى أمية بن عبد شمس)^(٣) .

وقد حظيت الزهرة قديماً بتكريم خاص و احاطها الشعراء بالروايات الشعرية و قد سماها العرب (نجمة الحب) و حظيت بأجمل اساطير العرب ، وهي اكثر الاجرام السماوية لمعاناً وضياء ، و اول ما تطلعه العين على السماء . و تقول الاسطورة العربية ان الزهرة امرأة فانتة اسمها (اناهد) تعيش في بابل سماها الرومان (فينوس) واليونان افروديت ، والساميون عشتار (بلاد الرافدين)^(٤) .

(١) محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨ م) ، تحقيق ماللهند من مقولة ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣ م ، ص ١١٨ .

(٢) اخبار العلماء ، ص ١٧٥ .

(٣) ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م) ، ادب الكاتب ، دار صادر ، طبعة ليون ١٩٧٦ ، ص ٩٧ ، حناقره علم التنجيم ، ص ٩٣ ، نلينو ، السنيور كرلو ، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، ط ٢ ، اوراق شرقية للطباعة النشر والتوزيع ، بيروت ١٩٩٣ م ، ص ١٠٦ .

(٤) حناقره ، علم التنجيم ص ٩٥-٩٦ .

وحمل الكلدان الكهانة و علم النجوم الى العرب بواسطة كهنتهم و كانوا يتوافدون الى بلاد العرب و قد اقتبس عنهم العرب كثيراً من العبادات و علم النجوم و اطلق العرب على الكاهن او المنجم (العراف) ، وقد اشتهر في بلاد العرب جماعات عديدة من الكهنة و الكاهنات و العرافين ^(١) .

وذكر الاخباريون العرب الكثير عن تنبؤات الكهان و رؤاهم وسجعهم كما جاء في ذلك في العقد الفريد ^(٢) .

واشار الاصفهاني عن حادثة في مكة قيل بأنه (كان الفاكه بن المغيرة المخزومي احد فتيان قريش قد تزوج هند بنت عتبة و كان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا اذن فنام يوماً في ذلك البيت و معه هند ثم خرج و تركها نائمة فجاء بعض من كان يغشى البيت فلما وجد امرأه نائمة ولي عنها فاستقبله الفاكه ، فدخل على هند و انبهها في النوم و قال من الخارج من عندك ؟ قالت و الله ما انتبهت حتى نبهتني ، و ما رايت احداً ، قال : الحقي بابيك و خاضا الناس في أمرها: فاحكمتموا الى بعض كهان من اليمن.... فمسح على رأسها و قال ، قومي غير رسما و لازانية ، وسيكون منك ملك يسمى معاوية فلما خرجت اخذ الفاكه بيدها فنثرت يده و قالت : و الله لاحرصن ان يكون ذلك الولد ن غير و تزوجها بعد ذلك ابوسفيان ^(٣) ، وهذا مما يؤكد عن اهتمام العرب بالكهنة و العرافات في سير حياتهم و حتى حياتهم الخاصة .

(١) حناقره ، علم التنجيم ، ص ٩٧-٩٨ .

(٢) ابن عبد ربه ، احمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) ، العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣ م ، ج ٦ ، ص ٨٦ .

(٣) الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) ، الاغاني ، دار احياء التراث ، ج ٦ ، ص ٥٣-٥٤ ، مناقرة ، علم التنجيم ، ص ٩٨-٩٩ .

علم التنجيم و المنجمون في الدولة العربية الاسلامية

من عهد الرسول (ﷺ) - ١٣٢هـ

لم يكن العرب في الجزيرة يعرفون التنجيم بصورته البابلية مثلما عرفه اليونان و الرومان و الفرس و الهنود بل كانوا لهم ملاحظات فلكية منها عن اسماء النجوم و الكواكب و القمر و منهم بنو مرة بن كلاب و بنو مرة^(١) بن همام الشيباني^(٢) (٣).

وعرفوا المنازل ويعتقدون بتأثيرها على المناخ ، و متابعة النجوم و الاجرام السماوية و لديهم خبرة بالتقويم القمري و الشمسي وتحديد مواسم الاعياد و مواعيد رحلاتهم و التجارية^(٤).

و مما يؤكد على عدم معرفة العرب بعلم التنجيم الا ما ذكرناه فالاشارة الوحيدة في القران الكريم هي الآية الكريمة بقوله تعالى ﴿ فَنَظَرْنَا لَهُ فِي النُّجُومِ ﴾^(٥) ، و اما معرفة الصحابة بالتنجيم فكان القليل فهذا

(١) بنو مرة بن كلاب ك من بطون قريش و منهم قصي بن كلاب ، ابن حزم ، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٤٦ م) ، جمهرة انساب العرب ، نسخ و ترتيب ، مكتبة مشكاة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦ .

(٢) بنو مرة بن همام بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، ولد مرة بن ذهل بن شيبان همام امه اسدية وجساس امه تميمية و اخرون ، ابن عبد ربه ، القعد الفريد ، ج ٤ ، ص ١٨ .

(٣) زيدان جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٤) ابن صاعد ، احمد الاندلسي (ت ٤٦٢هـ / ١٠٧٩ م) ، طبقات الامم ، مطبعة محمد مطر ، مصر ، ص ١٤٩-١٣١ .

(٥) صورة الصافات : آية ٨٨-٨٩ .

ابن عباس ^(١) ، فسر الآية القرآنية بقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ ^(٢) ، فقال هناك ابراج اثنا عشر في السماء ^(٣) ، و ذكر عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه و سلم) قال (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) رواه ابو داود و السحر من باب الكبائر و يكون من الكفر و عن وصفه ابن عبيد عن بعض ازواج الرسول (ص) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (من اتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة اربعين ليلة) ^(٤) . واما عن ولادة الرسول (ص) فذكر الكثير من خلال كتب التنجيم و قد ذكرها اليعقوبي في تاريخه قال كان مولده عام الفيل و سبته و بين الفيل خمسون ليلة و ولد على ما قال اصحاب الحساب بقران العقرب . اما المنجم ماشاء الله ^(٥) قال : (كان طالع السنة اين ولد فيها القران الذي دلى على على مولد الرسول (ص) الميزان اثنين وعشرين درجة حد الزهرة و بينها و المشتري في العقرب ثلاث درجات و ثلاث و عشرين دقيقة زحل من العرب ست درجات و ثلاث عشرين دقيقة) ، أما الخوارزمي فقال : (كانت

^(١) بن عباس ، هو عبدالله ابن عبد المطلب بن هاشم صحابي جليل و ابن عم الرسول (ص) حبر الامة و فقيهاً و اما التفسير و ترجمان القران ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات في سنة ٦٨هـ ، الذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨ م) ، سير اعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١ م ، ج ٣ ، ص ٣٣٢-٣٤٠ .

^(٢) سورة البروج : آية ١ .

^(٣) السيوطي ، عبد الرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، الدر المنثور في تفسير بالمأثور ، دار المعرفة ، ج ٥ ، ص ٥٧ .

^(٤) الخطيب البغدادي ، القول ، ص ١٢٠-١٢١ .

^(٥) ماشاء الله : ابن اثري وكان يهودي في ايام المنصور و المأمون و كان فاضلاً و اوجت زمانه في علم الاحكام وله مؤلفات ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٨٢ .

الشمس يوم ولد الرسول في برج الثور و القمر في برج الاسد ثمانى عشر درجة وعشرة دقائق و زحل في برج العقرب تسع درجات و اربعين دقيقة و المشتري في العرب درجتين و عشر دقائق وكانت قریش تؤرخ في السنين بموت قصي بن كلاب ، فلما طال عام الفيل اרכת به لاشتهار ذلك العام فكان تاريخهم من مولد رسول الله (^١) .

بأنهم قاموا بمنع المنجمين من القيام باعمالهم التي ينهي القرآن الكريم و حديث الرسول (ص) عنها حيث ذكر عن الربيع بن سبره الجهني (^٢) .

قال : (لما غزا عمر (رض) واراد الخروج الى الشام خرجت معه ، فلما اردنا ان ندلج نظرات فاذا القمر في الديران ، فاردت ان اذكر لهم ذلك ، فعرفت انه يكره ذكر النجوم فقلت له : يا ابا حفص ، انظر القمر ما احسن استواءه الليلة ! فنظر فاذا هي في الديران ، قال : قد عرفت ما تريد يا ابن سبره تقول : ان القمر بالديران ، و أنا و الله ما نخرج بالشمس و لا بالقمر و لكن نخرج بالواحد القهار) (^٣) .

(^١) تاريخ ، ص ٧ ، دار صادر ١٩٦٠ م .

(^٢) وهو الربيع بن سبره بن معبد ، ويقال ابن عوسجة الجهني المدني ، روى عن ابيه و كانت له صحبه وروى الزهري عنه ، وتوفي في خلافة معاوية ، الزهري ، محمد بن سعد (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٦٨م ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ .

(^٣) ابن عساكر ، علي بن الحسين ، (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ، تاريخ دمشق ، تحقيق عمرو بن غرامة المعمري ، دار الفكر ، بيروت ، ج ١٨ ، ص ٧١ ، المتقي الهندي ، علاء الدين بن حسام (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م) ، كنز العمال في سنن الاقوال و الافعال ، مؤسسة الرسالة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٥ .

وانشغل الخلفاء الراشدون بتوطيد دعائم الاسلام و نشر مبادئه و اهتموا بالامور الدينية ، ولكن هذا لم يمنع الامام علي (كرم الله وجهه) (٣٦-٤٠هـ/ ٦٥٦- ٦٦٠ م) ، حيث سكن الكوفة و جاور اهل العراق الذين كانوا لهم معرفة بهذا العلم و حاول ان ينقيه مما لحقه من اشراك وكفر ، فنجد بعض الاحاديث تنهي عن التجيم و قال (نهانا يارسول الله (ص) عن النظر في النجوم) و احاديث اخرى تؤكد صحته رويت في الصحاح والسنن . وهناك حديث ذكر عن الامام علي (رض) قال : (من سافر او تزوج و القمر في العقرب لم يستوي امره) ^(١) ، و انه نوع من المبالغة او قد قام بتوضيح انهم حتى لو صدقوا هم كاذبون لان الله عالم بكل شيء في خلقه ، اي ماكان للنبي (ص) و لا اصحابه من بعده منجم كما قال ذلك علي بن ابي طالب (رض)^(٢).

واول كتاب ترجم في الدولة العربية الاسلامية هو كتاب الأساس في النجوم والزيج و يسمى (عرض مفتاح النجوم) المنسوب الى هرمس^(٣) ، الحكيم ترجم للامير خالد بن يزيد الاموي (ت ٩٠هـ/ ٧٠٨م) ^(٤) ، وهو كتاب

(١) العقيلي ، محمد بن عمر المكي ، (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) ، الضعفاء الكبير ، تحقيق د. مازن السرساوي ، دار ابن عباس ، مصر ، ٢٠٠٨م ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ .

(٢) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٨٦ ، الخطيب البغدادي ، القول ، ص ١٠٩ .

(٣) اول من تكلم في علم الكيمياء و انتقل الى مصر عند افتراق النص عن بابل وهو ملك مصر له مصنفات ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .

(٤) الامام البارع ابو هشام القرشي اخو الخليفة معاوية روى عن ابيه وعنه رجاء بن حيوة وعلي بن رباح ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٣٨٣ .

مختص بالتنجيم ، وهذا لايعني ان الامويون بهم منجمون و ماذكره القفطي ترجم كتب التنجيم ^(١) ، اذ لم يرد ان احداً عمل بها .

المنجمون و علم التنجيم في العصر العباسي ١٣٢هـ / ٦٥٦ هـ

و كان علم التنجيم في الدولة العباسية شائعاً و عملوا الخلفاء باحكام المنجمين ، وعمل به الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور (ت ١٣٦- ١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م) ، حيث لا يصدر امراً الا باستشارة منجميه نوبخت ^(٢) و الفزاري ^(٣) وما شاء الله ، ويذكر الذهبي ان هكذا اعتقاد كبير وصل اليه ابو جعفر بالتنجيم بسبب الاصابات الكثير لنوبخت فقد التقاه في سجن البصرة و توقع له ان يصل للخلافة ^(٤) .

وعندما وضع المنصور اساس مدينة بغداد في وقت اختاره له المنجمون يقول اليعقوبي : (وضع اساس المدينة و قت اختاره نوبخت المنجم وما شاء الله بن سارية) ^(٥) .

(١) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ٢٨٦ ، الخطيب البغدادي ، القول ، ص ١٠٩ ، نلليو ، علم الفلك ، ص ١٤٢ .

(٢) نوبخت ، عالم فلك فارسي من الاهواز و قاد مجموعة الفلكيين و كان يصحب المنصور و عندما مرضى احضره ولده ليقوم مقامه ، القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٤٠٩ .

(٣) الفزاري ، هو ابو اسحاق ابراهيم بن حبيب من ولد سمره بن جندب و اول عمل في الاسلام اسطر لآيا وله مولفات في علم التنجيم ، القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٠ .

(٤) سير اعلام النبلاء ، ج ٧ ، ث ٨٨-٨٩ .

(٥) احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) البلدان ، دار صادر ، مصدر للطبعة ١٨٩٣م ، ص ٢٣٨ ، نلليو ، علم الفلك ، ص ١٦١ .

وابتداء الثاني كان في اليوم الثالث و العشرين من شهر تموز سنة الف و اربع وسبعين لاسكندر^(١) ، و اشار الخطيب البغدادي بأن الخليفة المنصور بعد ما فرغ من بناء مدينة السلام ، ذكر بعض المنجمين بان المشتري في القوس فأخبروه بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمرانها ثم قيل له (لايموت فيها خليفة من الخلفاء ابداً ، فرايته بيتهم لذلك ، ثم قال: الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم)^(٢) ، وفي مدة خلافة المنصور نقل ابو يحيى البطريق^(٣) كتاب الاربع مقالات لبطليموس في صناعة احكام النجوم^(٤) ، و لاهتمامه بهذا العلم فقد امر في عام (١٥٦هـ / ٧٧٢ م) بترجمة كتاب (السند هند) في حركات النجوم ، فتولى الترجمة محمد بن ابراهيم الفزاري ، وعمل منه زيجاً يسميه المنجمون (معرفة وعلم المذهب السند هند الكبير) و تفسير (السند الهند الكبير) ، واستمر العمل فيه الى ايام

(١) البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد ، (ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) الاثار الباقية من القرون

الخالية ، لايبسك ١٩٢٣م ، ص ٢٧٠-٢٧١ ، نلينو ، علم الفلك ، ص ١٤٥ ،

الموافق اليوم الخامس و العشرين من شهر ربيع الثاني من سنة ١٤٥هـ .

(٢) الخطيب البغدادي ، علي بن احمد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، تاريخ بغداد ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ج ١ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(٣) ابو يحيى ابن البطريق ، كان مترجماً في عهد المنصور و ابنة في عهد المأمون ، ابي

النديم ، الفهرست ، ص ٣٤٠ ، ٣٨٤ .

(٤) ابن النديم ، الفهرست ص ٣٤٠ ، القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٣٣٢ ، نلينو ، علم

الفلك ، ص ١٤٩-١٥٠ .

ال خليفة المأمون ١٩٨هـ / ٨١٣-٨٣٣ م ، فأختصره له ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي (١)(٢) .

وكان من منجمي الخليفة المهدي ١٥٨هـ-١٦٩هـ / ٧٧٤-٧٨٥ م ، منجمه الرسمي خلقيدونية وانه كان ماروثيا يدعى ثيوفيلوس بن نوبا و قد تبناً بأن موت سيده سيكون بعيداً موته بقليل فكان كما قال (٣) .

اما الخليفة العباسي المأمون ١٩٨هـ-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣ م ، الذي كان عهده يزدهر بالعلوم الطبيعية و الفلسفية و الدينية و الفلكية فقد اهتم بالمنجمين كما كان سلفه السابقين حيث انه استعان بعبد الله بن نوبخت في اختيار وقت لبيعه علي الرضا (ت ٢٠٣هـ / ٨١٨ م) (٤) ، فاختار طالع السرطان و فيه المشتري (٥) .

واصبح المنجمون من الموظفين و لهم ارزاق الاله في بلاط الخلفاء ودواوين الوزراء و مجالس الاغنياء ، و بين العامة فيذكر الوزير ابن الزيات (

(١) اسمه محمد بن موسى و اصله من خوارزم و كان منقطعا الى خزانة الحكمة للمامون وهو من اصحاب الهيئة ، ابي النديم ، الفهرست فلسفة الرحمانية ، ص ٣٨٣ ، هونكة ، شمس العرب ، ص ١٠٤ .

(٢) القفطي ، اخبار العلماء ، ص ١٧٧ ، نلينو ، علم الفلك ، ص ١٥٠ . هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٧٣-٧٤ .

(٣) مورسيفيه ، جان ، احوال النصارى في خلافة بني العباس ، ترجمة حسني زيتة ، ط١ ، دار المشرق ، بيروت ١٩٩٠م ، ص ٩٨ .

(٤) ابو الحسن علي بن موسى الرضا هو ثامن الائمة الاثنا عشر توفي في طوس ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص ٣٨٨-٣٨٩ .

(٥) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٨٩ ، مجيد ، م . علي نايف مجيد ، تطور علم الفلك في العراق خلال العصر العباسي ، بغداد ٢٠١٤ ، ص ١٠ .

ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧ م) ^(١) بأن الخليفة المعتصم (٢١٨هـ-٢٧٧هـ / ٨٣٣-٨٤١ م) ^(٢) (انه خرج يوماً مع المعتصم حتى وصلوا الجسر فامرا المعتصم خادمه بشيء فذهب ثم عاد و بعد فترة و اخبره بامر لم اسمعه ، فبان على المعتصم الحزن فلما رايت ذلك سألته عن الخبر فقال : لي هنا منجم فلما حدثت فتنه الامين خرج للشارع و مررت به يوماً فأردت ان اساله عن حالي و هل انجو فقد كنا جميعا في خوف شديد فقال لي : ان هذا الامر سيكون لي ساملك بعد فترة طويلة وتستقيم الملك لي : فقلت له فهل من نحوس تخبرني بها فقال لا سوى ان ملكك سيستولي عليه اولاد سلفة ، وها انا خليفة وانت وزيري و لما بلغت الجسر تذكرته و اردت ان اكافئه و ارسلت اليه فبلغني انه مات ^(٣) ولم يكن دائماً المنجمون صائبين حيث حذروا الخليفة المعتصم من فتح عمورية (٢٣٣هـ/٨٤٧ م) ^(٤) ، ونصحوه بان يؤخر غزوها و انذروه بالهزيمة او

(١) ابن الزيات ، الوزير الاديب ابو جعفر محمد بن عبد الملك بن ابان ، كان والده زيتا ، و اشتهر بالأدب و فوننه ، و وزير للمعتصم و الوثائق ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١١ ، ص ١٧٢ .

(٢) المعتصم ، ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد ، ولد ١٧٩هـ، وكان و اليأ على بلاد الشام و مصر في عهد اخيه المامون ، و كان شجاعاً ، توفي في سامراء ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١٠ ، ص ٢٩١ - ٣٠٠ .

(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٧ ، ص ٨٨-٨٩ .

(٤) عمورية بلد في الروم غزاها المعتصم ، قبل سميت عمورية نسبة الى بني الروم بن اليعز بن سام بن نوح عليه السلام ، وهي الاقليم الرابع ، ياقوت الحموي ، ابي عبدالله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٧٩م ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .

المرض الى بعد ذهاب مذنّب (هالي) و بعد حلول موعد التين والعنب ، لكنه خالفهم وفتح الله تلك البلدة و عاد سليماً معافى ^(١) .

و بهذا قال ابو تمام (ت ٢٣٢هـ / ١٨٣٧م) ^(٢) .

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ في حده الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ

أَيُّنَ الرِّوَايَةِ بَلَّ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ

وَحَوُّوْا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءٍ مُظْلِمَةٍ إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الدَّنْبِ ^(٣)

اولع المسلمين في تلك الفترة بهذا العلم القديم ولم يبقى عالم فلكي لم يكتب في التنجيم كتاب او زيج او لم يعلمه او يتعلمه و كان للمنجمين الكثير من الاصابات زادت تصديق الناس لهم فيذكر ابن خلدون في عام (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) و من اعجب ما يذكر ان دولة الموفق ^(٤) اخبره منجم (انه يقتل

(١) السيوطي ، عبد الرحمن (٩١١هـ / ١٥٠٥هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق ، محمد محي الدين بن عبد المجيد ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٣٦ .

(٢) ابو الحسن علي بن موسى الرضا هو ثامن الائمة الاثنا عشر توفي في طوس ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص ٣٨٨-٣٨٩ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج ٤ ، ص ١٥٨ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٦ ، وهو شاعر العصر اسمه حبيب بن اوس بن الحارث بن قيس الطائي و مدح الخلفاء ولد في ايام الرشيد ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١١ ، ص ٦٤-٦٩ .

(٤) دولة الموفق ، ابو علي بن اسماعيل ارسله بها الدولة لقتل ابناء بختيار الذين قتلوا اخاه صمصام الدولة الى بلاد فارس ، ابن خلدون ، عبد الرحمن ، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) ، تاريخ ضبط المغنى و الحواشي خليل شحاذه ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة ، مج ٣ ، ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .

ابنا بختيار ^(١) يوم الاثنين فلما كان قبل الاثنين بخمسة أيام ، قال المنجم : قد بقي خمسة ايام وليس لنا علم به فقال له المنجم : و ان لم تقتله فاقتلني عوضه و الا فاحسن لي ، فلما كان يوم الاثنين ادركه و قتله (و احسن الى المنجم احساناً كثيراً ^(٢)) .

واهتم البويهيون بالمنجمون واصبحوا ملازمين لهم مثل الوزراء والكتاب والاطباء في بلاطهم ، وقد يكون هذا الاهتمام من خلال رواية ذكرها ابن الاثير في حوادث سنة ٣٢١هـ بأن والدهم ابو شجاع قد دعي منجم ومفسر منامات ويكتب الرقى والطلسمات ، وقال له : (رايت في منامي كأنني ابول) فخرج من ذكرري نار عظيمة استطالت وعلنت ، حتى كانت تبلغ السماء ثم صارت ثلاث شعب ، وتفرع عن كل شعبة عده شعب فاضاءت بتلك النيران ورايت البلاد والعباد خاضعين لها ... فقال المنجم : (أعلم يكون لك ثلاث اولاد يملكون الارض ومن بها ...) ^(٣) ، ويقصد بذلك ركن الدولة وعماد الدولة ومعر الدولة اولاد ابو شجاع ، وهذا مما يؤكد على ان المنجمون ومعرفتهم بالطالع وتفسير الاحلام من خلال مадرسوه من علوم الاولين .

(١) ابنا بختيار ، ابو القاسم و ابو نصر مجوسين في بلاد فارس وخرجوا واضموا معهم الاكراد وقتلوا صمام الدولة سنة ٣٨٨هـ، ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ٥٤٣ .

(٢) ابن الاثير ، عز الدين (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م) ، الكامل في التاريخ ، راجعه و صححه د. محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٧ ، ج ٨ ، ص ١٤ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٨٨ .

وان الفاطميون امنو بالتنجيم ايمان كبير وبنو دولتهم على اساسه وعندما امر المعز لدين الله الفاطمي ^(١) (ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م) ، جوهر الصقلي ^(٢) عام (٣٥٨هـ/٩٦٨م) بالتوجه الى مصر للاستيلاء عليها ، وقبل وضع الاساس مدينة القاهرة اتى بالعرافين المغاربة وطلب منهم ان يختاروا توقيتاً يكون طالعهم سعيداً لرمي الاساس ، بين صادق ان ظهر في السماء في هذا التوقيت كوكب المريخ الذي يطلق عليه قاهر الفلك ^(٣) .

ولكن بعض السلاطين بالرغم من عدم ايمانهم بعلم التنجيم فقد كان بلاطهم يحفل بهم وحتى قد يتعرضون الى معاملة قاسية ومنهم هذا العالم البيروني ^(٤) (ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) الذي كان في بلاط السلطان محمود

(١) معز الدين ابو تميم معد بن المنصور بالله اسماعيل بن القائم ... العلوي الحسيني ولد بالمهدية في افريقيا ، وكان مغرم بالنجوم ويعمل باقوال المنجمين ، وكان عالماً شجاعاً ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص ٣٦٠ .

(٢) جوهر الصقلي ، هو ابو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي اصله ارمني وكان من موالى معز بن المنصور صاحب افريقيا وهو الذي فتح مصر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص ٤٥٦ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص ٣٠ ، المقريزي ، احمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار طبع المعهد الفرنسي ، القاهرة ١٩٤٢م ، ص ١ ص ٣٧٧ ، ابو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ / النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٠م ، ص ٢ ص ٤١٦ ، ابن الاثير ، الكامل ج٧ ص ٣١٠ .

(٤) البيروني ، محمد بن احمد ابو الريحان ولد في خوارزم ، درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندي وله مولفات ، ياقوت الحموي ، ابو عبد الله ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، معجم الادباء ، تحقيق احسان عباس ، دار العرب الاسلامي ، بيروت ١٩٩٣م ، ج٥ ، ص ٢٣٣١ - ٢٣٣٢

الغزنوي^(١) (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) وكان يعامله معاملة قاسية بالرغم بعض ما كان يصيب في ما يسأله عنه وفي ذات مره سأل السلطان محمود البيروني (من اي الابواب مقره الاربعة سيخرج ؟ فكتب البيروني الاجابة في ورقة ووضعها تحت البساط فأمر السلطان محمود بفتح باب خامس في جدار القصر وخرج منه ، وأمر باحضار الورقة ، فاذا ابو الريحان قد كتب عليها ان الخروج لا يكون من احد هذه الابواب الأربعة بل سيفتح باب في الجدار الشرقي ومنه يكون الخروج فغضب السلطان وأمر بالقائه من فوق سطح قصره ولم يمت فسأله محمود ، هل كنت تعلم ذلك ايضاً ؟ وقال : نعم واطلع السلطان على تقويم ذلك اليوم حيث وجد مكتوباً فيه : انه سيلقي بي من مكان عالي ولكن ابلغ الارض بسلام فلم يرق هذا الكلام لمحمود ايضاً وازداد غضبه ... فحبسه في القلعة) الى ان وزير السلطان اخرجه من السجن ولكن على ان يسير على راي وكلام السلطان فوافق على ذلك^(٢) وهذا مما يدل على بالرغم من رجال الدولة عدم ايمانهم العميق بالمنجمين كانوا يعملون على ماأمرهم به ، وان السلطان لم يسترح لا أصحاب العلوم العقلية .

والمنجمين كان لهم دور مهم في بعض حياة القادة باستشارتهم في معاركهم وحروبهم فهذا داود^(٣) اخو طغر بك محمد (ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م) ، في شعبان سنة (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) من خلال قتاله مع قوات مسعود في

(١) السلطان محمود ، هو يمين الدولة ، فاتح الهند وناشر الاسلام فيها ، الذهبي ، سير الاعلام ، ح ١٧ ، ص ٤٨٧ .

(٢) السمرقندي . النظامي العروضي ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، جهار مقالة المقالات الاربعة ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ٢٠١٠ م ، ص ٦٤ - ٦٦ .

(٣) داود اخو طغرل بك اولا سلجوق ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٧ .

خراسان وكان القتال ضارياً بين الطرفين في باب سرخس ولداود منجم يقال له الصومعي فأشار (على داود بالقتال وطمّن له الظفر واشهد على نفسه انه ان اخطأ فدمه مباح له) فاقتتل العسكر ان فلم يثبت عسكر سباشي^(١) قائد جيوش مسعود وحاجبه وانهزموا الى هراة فتبعهم داود و عسكره الى طوس يأخذونهم باليد وكفوا عن القتل و غنموا اموالهم فكانت هذه الواقعة هي التي ملك السلجوقية بعدها خراسان^(٢) و دخلوا قصبات البلاد ، و هذا يعني بأن المنجم ليس في الحياة الخاصة و احوال رجال الدولة .

واستمر الخلفاء العباسيين بالاهتمام بالمنجمين وتسير حياتهم على اقوالهم فهذا الخليفة المستظهر بالله^(٣) (ت ٤٧٠ هـ - ٥٠٨ هـ / ١٠٧٧ - ١١١٤ م) في سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م اجتمع في زمانه ستة كواكب في برج الحوت وهي الشمس والقمر والزهرة والمشتري والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح فاحضر الخلفية المستظهر بالله ، ابن عيسون المنجم^(٤) فسأله فقال (ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والان فقد اجتمعوا ستة منها وليس فيها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن اقول ان مدينة ابو بقعة يخشى منها الانفجار

(١) سباشي قائد جيوش مسعود الغزنوي ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٠ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٤٠-٢٤١ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٨ ، ص ١١ .

(٣) المستظهر ، الامام امير المؤمنين ابو العباس احمد... الهاشمي العباسي ، كان محباً للعلماء واهل الدين ، وسخياً ومن السيرة وسيد الاقوال ، الذهبي ، سير الاعلام ح ١٩ ، ص ٣٩٧-٤١٢ .

(٤) ابن عيسون ، لاترجمه له .

والغرق) فخافوا على بغداد وحصونها ولكن لم يحدث فيها اي شي وانما الحجاج نزلوا بوادي واتاهم السيل ^(١) .

اما في حكم الخليفة الناصر لدين الله ^(٢) (٥٧٥هـ - ٦٢٢هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥م) فقد حدثت في عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦م ان اجمع المنجمون على اجتماع الكواكب السبعة في برج الميزان وهو هوائي ويدل ذلك على خراب العالم وان تهب ريح من ريح قوم عاد وعينوا الاجتماع المنجمون في نصف شعبان وجلسوا لدى الخليفة والشموع تتقد فلم يتحرك منها وساد ركود في تلك الليلة ، وظهر بعد ذلك ان التتار خرج وكان منه من الفساد وعاثت في اكثر البلاد وافنى من العباد وقتل الخليفة المستعصم بالله ^(٣) (٦٤٠هـ - ٦٥٦هـ / ١٢٤٢ - ١٢٥٨م) ^(٤) .

ومن اكثر اهتمامات المنجمون بالمذنبات وربطوها في حياة البشر ، دعاها العرب بالنجوم المذنبية او الكواكب ذات الذنب او الكواكب ذات الرؤاية . وظهر المذنبات من اهم الامور الفلكية التي تترك في نفس الانسان انطباعا

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ح ٩ ، ص ٥.

(٢) الناصر ، ابو العباس احمد بن المستضيئ بامر الله ... الهاشمي العباسي ، كان الناصر شاباً مرحاً يمشق الدروب والاسواق اكثر الليل ، وملاً القلوب هيبة وكان محباً للعلم وله اجازة فيها واعطى اجازات للعلماء . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ح ٢٢ ، ص ١٩٥ - ٢٠٣ .

(٣) المستعصم بالله : الخليفة ابو احمد عبد الله بن المستنصر بالله منصور بن الظاهر ... الهاشمي العباسي كان متديناً متمسكاً بالسنة ، وكان يحب جمع المال ، وقتله هولاء . الذهبي سير اعلام ، ح ٢٣ ، ص ١٧٤-١٨٤ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٤٢ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ح ٢٣ ، ص ٢٠٦ .

عظيماً عميقاً ، بسبب ظهورها المفاجئ وعبروها السريع تشير الرعب في قلوب الناس ، حيث ان ظهور المذنب نذير شؤم يهدد بكارثة ، سقوط مملكة وتشير الى ولاده عظيم او فتح عليه ^(١) .

وفي سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٩٦ م في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي ، ظهر كوكب كانه دارة قمر ليلة تمامه بشعاع عظيم وهال الناس ذلك واقام عشرة ايام المنجمون في قصر الخليفة ثم تناقص ضوءه وغاب . ^(٢)

واشارت بعض المصادر ان هولاءكو ^(٣) ، قد استشار احد المنجمين قبل ان يبدأ غزوته و كان المنجم و الفلكي حسام الدين ^(٤) مسلماً غيوراً على المسلمين و حياتهم فقراً له مايلي (ان كل من تجاسر على التصدي للخلافة و الزحف بالجيش الى بغداد لم يبقى له النفس ولا الحياة و ابى الملك ان يستمع الى نصحه و تمسك برأيه فينتج عنه ست مهالك تموت الخيل ، و يمرض

(١) حناقره ، علم التجيم ، ص ٢٣١ .

(٢) السيوطي ، تاريخ ، ص ٤٢٠ .

(٣) هولاءكو : ملك التتر بن الامبراطور تولوي بن الامبراطور جنكير خان ، ولد سنة ٦١٤ هـ وحارب معظم بلدان غرب القاره الأسيوية ، واسس الخانات في بلاد فارس تمهيداً لاحتلال = خراسان عاصمة الخلافة ، توفي ٦٦٣ هـ ، وكان ملكاً عنيداً جباراً ودفن في مدينة تلا . ابن كثير اسماعيل بن عمر ، ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ، البداية والنهاية ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هميم للنشر والتوزيع ، مصر ١٩٩٨ م ، ج ١٧ ، ص ٤٦٨ .

(٤) حسام الدين المنجم الفلكي ، كان يهودياً عطاراً متفهم بالطب والفلك وكان عند خربندا وزيراً وحصل على الاموال ، وتهم بأنه قتل خربندا وقتله ابنه ابراهيم . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٨ ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

الجند ، لن تطلع الشمس و لم ينزل المطر ، ثم يموت الخان العظيم)^(١) ، لكن مستشاري هولاء قالوا بغزو بغداد و عدم الاستماع الى رأي المنجم و استدعى هولاء العلامة نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ / ١٢٦٣ م)^(٢) ، الذي نفى ما قاله حسام الدين و طمأن هولاء بانهم لا توجد موانع شرعية تحول دون اقدامه على الغزو و لم يبق الطوسي عند هذا الحد بل اصدر فتوى يؤيد منه وجهة نظرة بالأدلة العقلية و النقلية و اعطى أمثلة على ان الكثير من اصحاب الرسول (ص) ، قتلوا و لم تقع الكارثة ، وغزا هولاء بفتوى الطوسي^(٣) .

وعلى مر العصور و اختلاف الامم لم يقع في العالم اعظم من هذا وهو الاشراك بالنجوم و تعظيمها و اعتقاد انها احياء ناطقة^(٤) . ولم بعث النبي (ص) ابطله و حذرهم من اتباع المهلكات ومنها علم الغيب و اعتقاد ان هذه الكواكب تاتي في حوادث هذا العالم . وكما فعل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عندما امر جنوده الذين فتحوا الاسكندرية ان يحرقوا كتب الفلاسفة و المنجمين التي وجدوها هناك^(٥) . و كان رد كثير من العلماء على التجيم

(١) الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م ، جامع التواريخ ، دار النهضة العربية للطباعة ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٣٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ح ١٨ ، ص ١٧٨ .
(٢) نصير الدين الطوسي : كان فاضلاً عالماً كريماً للاحلاق حسن السيرة متواضعاً ودفن في مشهد موسى ابن جعفر عليه السلام ، ابن الفوطي ، عبد الرزاق بن احمد ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، الحوادث الجامعة ، تحقيق مهدي النجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٢ م ، ص ٢٦٩ .

(٣) العريني ، د . السيد الباز ، المغول ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦ م ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٤) طاش كبري زاده ، مفتاح السعادة ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(٥) ابن تيمية ، مجموع فتاوي ، ج ١٧ ، ص ٤١ .

ومنهم ابو الريحان البيروني له كتب مصنفات منها كتاب نفيس في الفلك هو قانون المسعودي في الحياة والنجوم فيه يشرح اساليب و استدلال و طرق معالجة للموضوعات وكتاب التفهيم لا أوائل صناعة التنجيم ^(١) .

الخلاصة :

ان علم النجوم (التنجيم) قد لعب دوراً هاماً واساسيا في التاريخ التطوري للحضارة الانسانية في عصرها المبكر ، وترك تأثيراً محسوساً في جميع انحاء العالم. ولم يزل الاصل الحقيقي لعلم التنجيم حتى ايامنا الحاضرة يحوطه كثير من الاسرار. ويطلق على التنجيم اسم (علم التنجيم) او علم صناعة النجوم او علم الاحكام.

وهو يختلف عن علوم الفلك والرياضيات وغيرها من العلوم ، حيث ان هذا العلم يعتمد على حركات الكواكب والنجوم وربطها بالحياة البشرية وتتنبؤ عن ما سوف يحصل بالمستقبل ، من نجاح شخص او ولاده عظيم او هزيمة حرب وغيرها في الصور التي لا يمكن فيها ربط الاثر بالمؤثر وايجاد وجه التأثير . وقد اصاب المنجمون في كثير من تفسيرات وخاصة الاحلام ، وهذا لا يعني انهم قد صدقوا لان علم الغيب عند الله وحده . وظهر هذا العلم منذ القدم بلاد الرافدين والرومان والاغريق والفرس والهنود . واصبح المنجمون رجالاً من اعلى صنف واعلى منزله ومكانة اجتماعية ، واستمر الاهتمام بهذا العلم وخاصة في المعابد واصبح يطلق عليهم العراف او الكاهن .

(١) المشعبي ، عبد المجيد بن سالم ، التنجيم والمنجمون وحكم ذلك الى الاسلام ، اضواء السلف السعودية ١٩٨٩ م ، ص ٤٥ .

اما العرب بالجزيرة فقد كان اهتمامهم بهذا العلم من خلال معرفتهم لاوقات تجارتهم والسير ليلاً على النجوم ومناسباتهم ، وظهر لديهم من اشهر العرافين والكهنة في اليمامة واليمن وغيرها .

بمجيء الاسلام فقد نهى عن علم التنجيم (المنجمين) الى كقول الرسول (ص) (ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله يخوف الله بها عباده ، وانهما لا ينكسفان لموت احد من الناس، فاذا رايتم فصلوا او ادعوا الله حتى يكشف ما بكم) حتى مجيء الدولة العباسية وانفتاحها على الحضارات الاخرى مما جعلت اهتمامها بهذا العلم كبير ، واصبح المنجمون ملازمون للخلفاء والوزراء وبل اصبحوا وزراءً وكتاباً.

وان فضل المسلمين في علم الفلك والتنجيم على العالم يتلخص :

١. نقل المسلمين للكتب الفلكية القديمة عن اليونان والفرس والروم والسريان وتصحيح بعض اخطائها والتوسع فيها. ولا سيما اذا وصول للقرأ الكتب ضاعت ولم يبقى منها غير ترجمتها في العربية.

٢. اضافتهم المهمة واكتشافهم الجلية التي تقدمت بعلم الفلك والتنجيم شوط بعيداً.

٣. وتطهير علم الفلك من اردان التنجيم .

وظهرت الكثير من المؤلفات لعلماء مسلمين وكتب ترجمت من اللغات الفارسية والاجنبية الى اللغة العربية في هذا العلم وانتشرت في كل انحاء الدولة الاسلامية بلاد المشرق والمغرب والاندلس .

المصادر:

القرآن الكريم

المصادر والمراجع :

١. ابن الاثير ، عز الدين (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ ، مراجعة وصححه د. محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٨م.
٢. الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)؛ الاغاني ، دار احياء التراث .
٣. البيروني، محمد بن احمد(ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨ م) ، تحقيق ماللهند من مقوله مقبولة في العقل اومرذولة ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد، الهند ١٩٥٨م.
٤. ابن تغري بردي ،ابو المحاسن يوسف(ت ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م)، النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب العربية ١٩٤٠م.
٥. النقي الهندي ، علاء الدين حسام (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م)، كنز العمال من الاقوال والافعال ، مؤسسة الرسالة .
٦. الجواهري ، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م.
٧. ابن حيان التوحيدي ، علي بن محمد (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)، البصائر والذخائر ، تحقيق داود القاضي ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٨م .

٨. الخطيب البغدادي ، علي بن احمد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، القول في النجوم ، حققه د. يوسف بن محمد السعيد ، دار اطلس للنشر والتوزيع سنة ١٩٩٩م.
٩. الخطيب البغدادي، علي بن احمد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٠. ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) ، تاريخ العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ضبط المعنى والحواشي ، خليل شحاذه ، راجعه سهيل بكار ، دار الفكر للطباعة.
١١. ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) ، المقدمة ، دار القلم ، بيروت ١٩٧٨م .
١٢. الذهبي ، محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) ، سير الاعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١م .
١٣. السمرقندي ، النظام العروضي (ت ٥٧٢هـ / ١١٥٧م) ، جهار مقاله الرسائل الاربعة ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ٢٠١٠م.
١٤. السيوطي ، عبد الرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار العلوم الحديثة ، بيروت - لبنان .
١٥. السيوطي ، عبد الرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، الدرر المنثور في تفسير المأثور ، دار المعرفة.
١٦. ابن صاعد ، احمد بن محمد الاندلسي (ت ٤٦٢هـ / ١٠٧٩م) ، طبقات الامم، المطبعة الكاثوليكية ، للاباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٦م .

١٧. طاش كبري زاده ، احمد بن مصطفى ت ٩٦٨هـ / ١٥٦٠ م ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، دار الكتب العلمية .
١٨. ابن عبد ربه الاندلسي ، احمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) ، العقد الفريد ، تحقيق منير محمد قمحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣م.
١٩. ابن عساكر ، علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ، تاريخ دمشق ، تحقق عمرو بن غرامه العموري ، دار الفكر ، بيروت .
٢٠. العقيلي ، محمد بن عمر المكي ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م ، الضعفاء الكبير ، تحقيق د. مازن السرساوي ، دار ابي عباس، ٢٠٠٠م .
٢١. ابن الفوطي ، عبد الرزاق احمد (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) ، الحوادث الجامعة ، تحقيق مهدي النجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٢م.
٢٢. القفطي ، علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م) ، تاريخ الحكماء ، مطبعة لايبسيغ ١٩١٩م .
٢٣. المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق الشماخي ، دار القلم ، بيروت.
٢٤. المقرئزي ، احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط واعتبار ، مطبعة العهد الفرنسي ، القاهرة ١٩٤٢م.
٢٥. ابن منظور ، محمد بن كرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر للنشر والتوزيع ، بيروت .
٢٦. ياقوت الحموي، ابو عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، معجم الادباء ، تحقيق احسان عباس ، دار العرب الاسلامي ، بيروت ١٩٩٣م.
٢٧. ابن نديم ، محمد بن اسحاق (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٨م) ، الفهرست ، مطبعة الرصافة ، مصر ١٣٤٨هـ .

٢٨. اليعقوبي ، احمد بن يعقوب (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) ، البلدان ، دار صادر ،
مصور على طبعة بريل ١٨٩٣ م .

المراجع :

١. البعلبكي ، منير ، معجم اعلام المورد ، ط ١ ، دار العلم للملايين ،
بيروت لبنان ١٩٩٢ م.
٢. حنا قره ، عبود ، علم التنجيم اسراره واوهامه ، ط ١ ، منشورات دار علاء
الدين ، دمشق ٢٠٠٠ م.
٣. زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، دار مكتبة الجيل ، بيروت .
٤. سيطمو ، موسكاني ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب البكري ،
دار الرقي ، بيروت ١٩٨٦ م.
٥. ف . يوغارنت. ورك ، تشوريوموفي، السماء دون غرائب ، ترجمة د .
هاشم حمادي ، وزارة الثقافة العربية ١٩٩٦ م.
٦. مجيد ، علي نايف ، تطور علم الفلك في العراق خلال العصر العباسي ،
بحث منشور ٢٠١٤ م.
٧. مورسيفيه ، جان ، احوال النصاري في خلافة بني العباس ، ترجمة حسني
زيته ، ط ١ ، دار المشرق ، بيروت ١٩٩٧ م.
٨. هونكة ، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله عن الالمانية
فاروق بيضون وكمال دسوقي ، راجعه مارون عيسى الخوري ، دار الجيل
، بيروت ١٩٩٣ م.
٩. نيلينيو ، كارلو ، علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى ،
روما ١٩١١ م.

محدث العراق ابو بكر الانصاري
سيرته ورواياته في كتاب الأنساب للسمعاني

أ.د. زكية حسن إبراهيم
د. فلاح علي حمود ظاهر

المقدمة

حظيت مدينة بغداد حاضرة الخلافة العباسية باهتمام العديد من العلماء والباحثين والدارسين منذ تأسيسها في أيام الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور إلى نهاية الخلافة على يد المغول عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م ولقي علماؤها الاهتمام نفسه ، فقد تناولتهم بالدراسة كتب التراجم والسير والطبقات على مختلف صنوفهم ومرتبته وأسهبت هذه الدراسات في تقصي أخبار العلماء والمحدثين والمفسرين والقراء والحفاظ وغيرهم . وكان لمحدثي بغداد نصيب كبير في هذه الدراسات للدور الذي اضطلعوا به في نشر تعاليم الإسلام وقيمه وازدادت أهميتهم خلال القرون الأخيرة من الخلافة العباسية بسبب تردي الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية فانتشروا في المسجد والجامع والمدارس وأماكن الوعظ وغيرها يعظون الناس ويحثونهم على التمسك بمبادئ دينهم وقيمة السامية فأقبل الناس على مجالسهم ينهلون العلم والمعرفة . وكان محمد بن عبد الباقي الأنصاري من بين المحدثين الذين ذاع صيتهم في الآفاق وأقبل على مجلسه العديد من الرجال الفكر والحديث ومن بين من أخذ عنه المحدث والمؤرخ ابو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني ومحدث وواعظ بغداد أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، وقد ذكرت مكانته العلمية كتب الطبقات والسير وكتب التاريخ العام ولم ينل الاهتمام الكافي من الدارسين في الوقت الحاضر . وتقديراً لمكانة محمد بن عبد الباقي في الحديث بصورة خاصة وبغداد حاضرة الخلافة بصورة عامة أعدت هذه الدراسة لتسلط الضوء على حياة أحد رجال الدين في بغداد الذي وصف بأنه (مسند العراق والعصر والدنيا) وعليه قسمت البحث الى مبحثين تناولت في المبحث الاول اسمه ونسبه وكنيته ومولده ونشأته واسرته

ورحلاته وشيوخه وتلاميذه ومكانته العلمية والادارية ومؤلفاته ووفاته . اما
المبحث الثاني فقد استعرضت فيه اهم رواياته التي وردت في كتاب الانساب
للمعاني والتي بلغت ٣٨ رواية ٠ وقد اعتمد البحث على عدد من المصادر
والمراجع ومن الله التوفيق

المبحث الاول

سيرة الامام ابو بكر الانصاري

اسمه ونسبه ولقبه :

ابو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الرحمن ^(١) بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبدالله بن كعب بن مالك ^(٢) الخزرجي ^(٣) ، الأنصاري ^(٤) ، السلمي ^(٥) ، البغدادي الحنبلي البزاز ^(٦) .

^(١) السمعاني : ابو سعد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) ، الأنساب ، تقديم وتعليق عبدا لله عمر البارودي ، ط ١ ، دار الجنان ، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ٥ ، ص ٤٩٥ .

^(٢) ابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الدار الوطنية ، بغداد ١٩٩٠ م ، ج ١٠ ، ص ٩٢ . مناقب الإمام احمد بن حنبل ، تصحيح ونشر محمد أمين الخانجي ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٢٨ .

^(٣) الخزرجي : بطن من الأنصار منسوب إليها الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن أمروء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، السمعاني : الأنساب ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ . ص ٥٠٩ .

^(٤) الأنصاري : وهم جماعة من أهل المدينة من الصحابة من أولاد الأوس والخزرج قيل لهم الأنصار لنصرتهم رسول الله (ﷺ) ، م ، ن : ج ١ ، ص ٢١٩ .

^(٥) السلمي : نسبة إلى بني سلمه حي من الأنصار وهم سلميون وهو سلمه بن سعد بن علي بن أسد بن سادرة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، م ، ن : ج ٣ ، ص ٢٨٠ .

^(٦) الذهبي : ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، تذكرة الحفاظ ، دائرة المعارف الإسلامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م ، ج ٤ ، ص ١٢٨١ . سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٥٥ م ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ ، ص ٢٤ .

ويعرف أيضاً بقاضي المرستان ^(١) ،
وبالقاضي ^(٢) وبمسند العراق ^(٣) ، ومسند العصر ^(٤) ، ومسند الدنيا ^(٥) ، والشيخ
الإمام العالم ^(٦) ، والفرضي العدل ^(٧) ، تبين من ذلك أن أبو بكر الانصاري
كان نسبه يتصل بنسب كعب بن مالك شاعر رضي الله عنه وهو أحد الثلاثة الذي ورد فيه
قوله تعالى ((وعلى الثلاثة الذين خلفوا)) ^(٨) وأنه عربي المحتد أنصاري
النسب .

^(١) ابن الأثير: ابو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) الكامل في التاريخ ،
ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ص ٣٦٩ . الذهبي
: العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٣ م
، ج ٤ ، ص ٩٦ .

^(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٦٩ ، ابن الفوطي : عبد الرزاق بن أحمد
(ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب : تحقيق مصطفى
جواد ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٦٢ م ، ج ١ ، ص ٣٧٨ .

^(٣) الذهبي : العبر ، ج ٤ ، ص ٩٦ ، ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبد الحي بن احمد (ت
١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) ، شذرات الذهب في أخبار من الذهب ، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، لبنان ، بلا ت ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .

^(٤) الذهبي : دول الإسلام ، تحقيق فهد محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ،
ص ٢٣ .

^(٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص ١٢٨١ .

^(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ ، ابن تغري بردي : ابو المحاسن يوسف
الأتاكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة
المصرية العامة بلا ت ج ٥ ، ص ٦٧ .

^(٧) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ .

^(٨) القرآن الكريم : سورة التوبة ، آية ١١٨ .

المولد : مكانه وتاريخه

ولد أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري في كرخ بغداد في محلة النصرية^(١) في يوم الثلاثاء العاشر من شهر صفر سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠ م^(٢) . وكان إذا سئل عن مولده يقول : ((أقبلوا على شأنكم فأني سألت القاضي أبا المظفر هناد بن إبراهيم النسفي عن سنة فقال أقبل على شأنك فأني سألت أبا الفضل محمد بن أحمد الجارودي عن سنة فقال لي أقبل على شأنك فأني سألت أبا بكر محمد بن علي بن زحر المنقري عن سنة فقال على شأنك فأني سألت أبا أيوب الهاشمي عن سنة فقال لي أقبل على شأنك فأني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنة فقال لي أقبل على شأنك فأني سألت البويطي عن سنة فقال لي على شأنك فأني سألت الشافعي عن سنة فقال لي أقبل عن شأنك فأني سألت مالك بن أنس عن سنة فقال لي أقبل على شأنك))^(٣) معللاً سبب ذلك ((ليس من المروءة أن يخبر عن سنة ٠٠٠ لأنه أن كان صغيراً استحقروه وأن كان كبيراً استهرموه))^(٤) وأنشد بشأن ذلك بيتين من الشعر .

(١) النصرية : محلة بالجانب الغربي من بغداد في طرف البرية متصلة بدار القز منسوبة إلى أحد أصحاب المنصور يقال له نصر ، ياقوت الحموي : ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ /

١٩٧٧م ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ - ص ٢٨٨

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ، سبط ابن الجوزي : ابو المظفر يوسف بن قزاوغي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١م ، ج ٨ ق ١ ص ١٧٨ ، الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٢ .

(٤) م ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٨ .

أحفظ لسانك لاتيح بثلاثة سن ومال ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بمومه^(١) ومكفر ومكذب^(٢)

نشأته وأسرته :

ولد أبو بكر الأنصاري كما مر في بغداد سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م في عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله (ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) في أسرة متوسطة الحال كانت تسكن في محلة النصرية في كرخ بغداد ولما ولد محمد دعا والديه منجمين للكشف عن مولده ولتسجيل مولده والنظر في الجداول الفلكية على عادة بعض أهل زمانه في محاولة التنبؤ للمولود الجديد وقد حكم له المنجمون أنه يموت وهو ابن اثنين وخمسين سنة . قال تلميذه ابن الجوزي ((كان يقول : لما ولدت جاء منجم من قبل أبي ومنجم من قبل أمي وأخذ الطالع وأتفق حسابهما على أن عمري اثنتان وخمسون فها أنا في عشر المائة))^(٣) . وفي رواية أخرى ((زدت على ما قالوا أربعين^(٤)) . وقد علق الذهبي على ذلك بقوله ((وكان يقول ذلك رداً عليهم مع معرفته بالفن))^(٥) .

(١) الكتبي : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ج ١٢ ، ص ٣٦٢ ورد فيه (بحاسد)

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٢ .

(٣) ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ٥٢٨ .

(٤) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ط ١ ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٣١ هـ ، ج ٥ ، ص ٢٤٢٠ .

(٥) م ، ن : ج ٥ ، ص ٢٤٢ .

وقال في موضع آخر ((وهذا يدل على حسن معتقده))^(١) . كان والده ابو طاهر عبد الباقي يعرف بصهر هبة الله البراز^(٢) . معدلاً^(٣) ، ومقرئاً^(٤) ، ومحدثاً^(٥) ، وشيخاً صالحاً^(٦) . وكان من أكابر أهل بغداد^(٧) ، ولد في بغداد سنة ٣٨١هـ / ٩٩١ م . وكان ملازماً للقاضي ابو يعلى محمد بن الحسن الفراء (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥ م)^(٨) . وكان قد سمع الحديث وحدث عن أبي الحسن احمد بن محمد بن الصلت (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤ م) في بغداد وغيره^(٩) . توفي في شهر صفر وقيل في محرم سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨ م (^(١٠) وله من العمر ثمانون عاماً . وقد تزوج محمد بن عبد الباقي الأنصاري كما ذكرت لنا المصادر مرتين الأول في بغداد وقد أنجبت امرأته الأولى ابنه البكر ابو طاهر بكر بن محمد والثاني في جزيرة لم تشر المصادر الى موقعها وأنجبت له ولدين كانا قد توفيا وهما صغيرا السن .

(١) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٢ .

(٣) م ، ن : ج ٨ ، ص ٢٥٥ .

(٤) ابن رجب : عبد الرحمن بن احمد (ت ٧٩٥هـ / ١٣٥٧ م) الذيل على طبقات الحنابلة

وقف على تصحيحه محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢

م ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٥) م ، ن : ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٦) م ، ن : ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٧) م ، ن : ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٨) م ، ن : ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٥٥ .

(١٠) م ، ن : ج ٨ ، ص ٢٥٥ .

وقد أوردت لنا المصادر التاريخيه رواية عن قصة زواجه الثاني مروية عن أبي بكر الأنصاري نفسه ((قال خرجت من مكة وركبت البحر فأنكسر المركب وغرق الناس وهلكت أموالهم وسلمت أنا على قطعة من المركب فبقيت مدة في البحر لا أدري أين اذهب فوصلت إلى جزيرة فيها قوم فقعدت على بعض المساجد فسمعوني أقرأ فلم يبق في تلك الجزيرة أحد ألا جاء إلي وقال : علمني القرآن وحصل من أولئك القوم شيئاً كثيراً من المال ، قال : ثم أني رأيت في ذلك المسجد أوراقاً من مصحف فأخذتها أقرأ فيها وقالوا لي : تحسن تكتب ؟ فقلت نعم : فقالوا : علمنا الخط فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب فكنت أعلمهم فحصل لي أيضاً من ذلك شيء كثير فقالوا لي بعد ذلك : عندنا صبية يتيمة ولها شيء من الدنيا نريد ان تتزوج بها فامتنعن فقالوا : لا بد والزموني فأجبتهم الى ذلك فلما زفوها ألي مددت عيني أنظر إليها وجدت ذلك العقد بعينه معلقاً في علانقها فما كان لي حينئذ شغل ألا النظر إليه فقالوا : يا شيخ كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلا هذا العقد ولم تنظر إليها فقصصت عليهم قصة العقد^(١) فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير حتى

(١) إما قصة العقد : وقد رواها من سمعها من ابو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري البزاز يقول : ((كنت مجاوراً - بمكة حرسها الله تعالى - فأصابني يوماً من الأيام جوع شديد لم أجد شيئاً أدفع به عني الجوع فوجدت كيساً من ابريسم مشدوداً بشرابه من ابريسم أيضاً فأخذته وجئت به إلى بيتي فحللته فوجت فيه عقداً من لؤلؤ لم أر مثله فخرجت فإذا الشيخ ينادي عليه ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول : هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ فقلت : إنا محتاج وإنا جائع فأخذ هذا الذهب فأنقعه به وأورد عليه الكيس فقلت له : تعالى إلي فأخذته وجئت به إلى بيتي فأعطاني علامة الكيس وعلامة الشراب وعلامة اللؤلؤ وعدده والخيط الذي هو مشدود به فأخرجته ودفعته إليه فسلم إلي خمسمائة دينار فما أخذتها وقلت : يجب علي أن أعيده إليك ولا أخذ له جزاء فقال لي : لا بد أن تأخذ وألح علي كثيراً فلم أقبل ذلك منه فتركني ومضى)) ٠ أنظر ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة : ج ١ ، ص ١٩٦ - ص ١٩٧ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .

بلغ الى جميع أهل الجزيرة فقلت : مآبكم ؟ فقالوا : ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية وكان يقول: ما وجدت في الدنيا مسلماً ألا هذا الذي رد على هذا العقد وكان يدعو ويقول : اللهم أجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي وألأن قد حصلت فبقيس معها مدة ورزقت منها بولدين ثم أنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار ((^(١)). وقد انفردت المصادر بترجمة ابنة أبي طاهر عبد الباقي الذي رباه أبوه على حب العلم ولقاء المشايخ قال تلميذه ابو سعد السمعاني ((سمع عبد الواحد بن علونا وأبا الخطاب نصر بن احمد بن البسر القاري ومن دونهما سمعت منه))^(٢) توفي ابو طاهر في بغداد في حدود سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م^(٣).

إما ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري فقد وجه منذ الصغر توجيهها علميا وأديبا صحيحا وكان لوالده الأثر الأكبر في تعريفه بشيوخه وأساتذته الذين اخذ عنهم العلم منذ حداثة سنه وأصبح لذلك اثر كبير في نمو شخصيته العلمية وانقطاعه الى الدرس وتردده الى أصحاب العلم والعلماء والأدباء وترك ما كان أترابه يلهمون به من اللعب للتوفر على الحفظ والتوغل في طريق علوم زمانه وثقافته، إذ قال ((ما أعرف إنني ضيعت ساعة من عمري في لهو أو لعب))^(٤) وقال ابن رجب أيضا ((ما اعلم إنني ضيعت من عمري شيئا في لهو أو

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٧ ، ابن العماد الحنبلي :

شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠٩ - ص ١١٠ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٥ ، ص ٤٩٥ .

(٣) م ، ن : ج ٥ ، ص ٤٩٥ .

(٤) ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ٥٢٨ ، الدمياط : احمد بن أبيك

(٩٤٩هـ / ١٣٤٨م) ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، تحقيق قيسر ابو فرج ، دي -

فل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلات ، ج ١٩ ، ص ٢١ .

لعب^(١)) وكانت مدينة بغداد يومئذ شأنها في كل عهودها العربية الاسلاميه زاخرة بالمعاهد والعلماء ولم تفتقر فيها الحركة العلمية إطلاقاً فساعد ذلك محدثنا ابو بكر الانصاري على الاختلاف على شيوخه في وقت مبكر من حياته، إذ يذكر به والده لسماع الحديث حضوراً وهو ابن أربع سنين على عدد من شيوخ وعلماء بغداد منهم أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي ت ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م^(٢). وفي سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م عندما كان في الخامسة من عمره سمع الحديث من ابو الحسن علي بن عيسى الباقلاني وغيرهم^(٣) كما ذكرت لنا المصادر التاريخيه روايه عنه انه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين. ((حفظ القرآن وانا ابن سبع سنين))^(٤) .

كما ذكرت لنا المصادر فيما روى عنه تلامذته انه وقع في اسر الروم سنة ونصفاً وارادوا ان يكفروه فلم يقدرُوا على ذلك لحسن معتقده وعمق ايمانه قال ابن رجب نقلاً عن ابو سعد السمعاني ((سمعته يقول اسرتني الروم وبقيت في الاسر سنة ونصفاً وكان خمسة اشهر الغل في عنقي والسلاسل على يدي ورجلي وكانوا يقولون لي: قل المسيح ابن الله حتى نفعل ونضع في حقك فأمتنعت وما قلت قال: ووقت ان حبست كان ثم معلم يعلم الصبيان الخط بالروميه فتعلمت في الحبس الخط الرومي))^(٥). ومن هذا المنطلق انصرف

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٩

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ، ص ٩٣ .

(٤) الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٥ ، ص ٢٤٢ ، سير إعلام النبلاء ج ٢٠ ، ص ٢٦ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٥) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ - ص ١٩٤ .

ابو بكر الأنصاري الى العلم بهمة عالية ورغبة جامحة فصار رجلا موسوعيا شارك ونظر في كل فروع العلم فهو كما قال تلميذه ابن الجوزي ((وما من اعلم إلا وقد نظرت فيه وحصلت منه الكل أو البعض))^(١) وقال ابو سعد السمعاني ((مارأيت اجمع للفنون منه نظر في كل علم))^(٢).

وقال في موقع آخر ((اشهر من ان يذكر))^(٣) .

رحلاته وشيوخه:

بدأت عناية ابو بكر الانصاري بطلب العلم ولقاء العلماء والشيوخ والفهاء منذ كان في الرابعة من عمره يدفعه الى ذلك تشجيع والده عبدا لباقي وميوله الشخصية كما ذكرنا سابقا . فقد تتلمذ عدد كبير من علماء وشيوخ عصره من رجال ونساء على مختلف ميولهم ومشاربهم وانفرد بالرواية عنهم دون غيره من اقرانه ممن عاصره وعاش معه قال ابو سعد السمعاني ((حدث عن شيوخ له لم يحدث عنهم أحدا في عصره))^(٤) وقال ابن رجب ((تفرد بالرواية هؤلاء كلهم))^(٥) فقد سمع بن أبي إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي ت ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ومن أخيه أبي الحسن علي بن عمر البرمكي ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ومن القاضي أبي الطيب طاهر بن عبدالله الطبري ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ومن أبي طالب محمد بن علي العشاري ت ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ٥٢٨ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٥ ، ص ٤٩٥ .

(٣) م ، ن : ج ٥ ، ص ٤٩٥ .

(٤) السمعاني : الأنساب ، ج ٥ ، ص ٤٩٥ .

(٥) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

ومن أبي محمد الحسن بن علي الجوهري ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ومن أبي الحسين محمد بن نصر الثوري ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ومن أبي الحسين محمد بن احمد الأبنوسي ت ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م ، ومن أبي القاسم عمر بن الحسين الخفاف ومن أبي الحسن علي بن أبي طالب المكي ومن أبي الفضل هبة الله بن احمد بن المأمون وغيرهم خلق كثير^(١) كما رحل الى مكة وسمع بها من أبي معشر الطبري^(٢) . وبمصر سمع من ابو إسحاق الحبال وغيرهم^(٣) .
وكما اشرنا سابقا أن أبا بكر الأنصاري في إحدى سفراته الى مكة كان قد وقع في أسر الروم سنة ونصف عاد بعدها الى موطنه بغداد^(٤) . أما شيوخه في الفقه فقد تفقه على القاضي أبي بعلي محمد بن الحسين الفراء (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م)^(٥) .

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٤ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٢) م ، ن : ج ٢ ، ص ٢٥ ، م ، ن : ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٣) م ، ن : ج ٢٠ ، ص ٢٤ ص ٢٥ ، م ، ن : ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٩ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٩ ، الذهبي : العبر ، ج ٤ ، ص ٩٦ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

كما أجاز^(١) له عدد من علماء عصره وشيوخه من مختلف البلدان الإسلامية^(٢) منهم أبو القاسم علي بن الحسن بن علي التنوخي (ت ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م)^(٣) . وأبو احمد عبد الوهاب بن محمد الاهوازي (ت ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م)^(٤) . وأبو الفتح عبد الكريم بن محمد المحاملي (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م)^(٥) . وأبو الفتح عبد الواحد بن الحسين بن شيطا (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)^(٦) . وأبو القاسم حمدان بن سلمان الطحان (ت ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م)^(٧) . وقاضي مصر ابو عبدا لله محمد بن سلامة القضائي (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م)

(١) الإجازة : هي عبارة عن أذن الشيخ لتلميذه برؤية مسموعاته ومؤلفاته سواء التي سمعها من شيخه مباشرة أو التي لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه، أنظر السخاوي : محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي ، تحقيق عبدا لرحمن محمد عثمان ، ط ٢ ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م ، ج ٣ ، ص ٨٨ ، الصالح : صبحي ، علوم الحديث ومصطلحه ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ٩٤ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ١ ، ص ٤٨٦ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٣) م ، ن : ج ٤ ، ص ٣١٣ .

(٤) م ، ن : ج ٥ ، ص ٢١٠ .

(٥) م ، ن : ج ٣ ، ص ٥٠٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٦) م ، ن : ج ٤ ، ج ٤ ، ص ٥٢ .

(٧) م ، ن : ج ٤ ، ص ٥٠٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(^١) وغيرهم خلق كثير ونرى من الواجب علينا ونحن ندون سيرة ابو بكر الانصاري العلمية ان ننوه بأنه لم يقتصر على الشيوخ من الرجال بل تعداهم الى الشيوخ من النساء وهو أمر يدل على اثر المرأة العربية المسلمة في الحياة العلمية ومشاركتها أخيها الرجل في هذا المجال . فقد سمع من خديجة بنت محمد الشاهجانية الواعظة (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) (^٢) بغداد .

من خلال ما ذكره كان مسند العراق ابو بكر الانصاري كثير السفرات والرحلات طلباً للعلم والرزق معاً فقد كان يتنقل من مكان الى آخر ومن بلد الى آخر والتقى بعدد لا يحصى من العلماء والشيوخ والمحدثين والقضاة والفقهاء وغيرهم سمع منهم واخذ عنهم الشيء الكثير والمصادر التي ترجمت لسيرته الذاتية حافلة بذكر إعداد كبيرة من السير والشخصيات التي التقى بها وتعرف عليها واخذ منها وطلب من البعض الإجازة بجمع مسموعاتهم ومروياتهم ومؤلفاتهم وضمنهم مشيخة التي تقع في ثلاثة أجزاء (^٣) . وأخرى أخرجها له تلميذه ابو سعد السمعاني في جزء واحد (^٤) .

تلامذته والآخرون عنه : لا مرأ ان المرتبة العلمية الرفيعة التي وصل إليها ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري في الحديث إذ أصبح (مسند الدنيا) (^٥) . (ومسند العصر) (^٦) . (ومسند العراق) (^٧) وسعة باعة

(^١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٤ .

(^٢) م ، ن ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ .

(^٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ .

(^٤) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص ١٢٨١ .

(^٥) الذهبي : دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(^٦) الذهبي : العبر ، ج ٤ ، ص ٩٦ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(^٧) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ .

في حفظه وتولييه المناصب الدينية ولاسيما الشهادة عند قاضي القضاة أبي الحسن علي بن محمد الدامغاني (ت ٥١٣ هـ / ١١١٩ م) ^(١) .
كل هذه أمور جعلته قبله أنظار طلاب العلم ((كانت إليه الرحلة من الأقطار)) ^(٢) ((ورحل إليه المحدثون من البلاد)) ^(٣) فتدققوا عليه كثرة كاثرة ينهلون من نهله الصافي العذب ويتخلقون بأخلاقه من الثقة والأمانة والصيانة والدين الثخين إذ كان ((ثقة فهماً ثبثاً حجة متقناً في علوم كثيرة)) ^(٤) وقال ابن الجوزي في موضع آخر ((كان حسن الصورة حلو المنطق مليح المعاشرة)) ^(٥) وقال أيضاً ((كان متديناً حسن الكلام حلو المنطق مليح المحاورة)) ^(٦) وامتدح مكانته العلمية تلميذه ابو سعد السمعاني إذ قال ((كان يقرأ الخط الدقيق البعيد وكان سريع النسخ حسن القراءة للحديث)) ^(٧) وقال في موضع آخر ((سمعته يقول ثبت من كل علم تعلمته إلا الحديث وعلمه)) ^(٨) .
كما وان ابو بكر الانصاري ((انتهى به علو الإسناد في زمانه)) ^(٩)

-
- (١) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٥ ، ص ٢٤١ ، الدمياطي : المستفاد ، ج ١٩ ، ص ٢٦ .
(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .
(٤) م ، ن : ج ١٠ ، ص ٩٣ ، م ، ن : ج ٢٠ ، ص ٢٦ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ؛ الدمياطي : المستفاد ، ج ١٩ ، ص ٢١ .
(٦) م ، ن : ج ١٠ ، ص ٩٣ ؛ م ، ن : ج ١٩ ، ص ٢١ .
(٧) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٢٠ ، ص ٢٧ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
(٨) الذهبي : العبر ، ج ٤ ، ص ٩٤ ، سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ .
(٩) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ .

كما ذكرت عن المصادر التاريخية التي ترجمت لحياته انه حدث وهو ابن عشرين سنة في حياة الخطيب البغدادي أبي بكر احمد بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)^(١) ومن أعلام الثقافة الإسلامية من الذين انتفعوا به انتفاعاً علمياً كبيراً ولازموه وحضروا مجالسه واقتدوا بأفعاله والخلافة الحميدة ((حدث القاضي ابو بكر بالكثير من حديثه وسمع منه الأئمة والحفاظ وغيرهم واثوا عليه))^(٢) منهم ابو الفضل محمد بن ناصر السلامي (ت ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) وأبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) . وأبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) . وأبو طاهر احمد بن محمد السلفي (ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م) . وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) . وأبو القاسم احمد بن ترمش الخياط (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م) . وأبو احمد بن عبد الوهاب بن علي بن سكينه (ت ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م) . ويوسف بن المبارك بن كامل وأبو اليمان زيد بن الحسن الكندي . وأبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد وعبد العزيز بن معالي بن سنيثا وغيرهم كثير^(٣) وقد أطال الله في عمر محدثنا ومسندنا ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري الذي ناهز الثالثة والتسعين عاماً ((عمر حتى الحق الصغار بالكبار))^(٤) مما جعله مرغوباً

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٢) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٧٩ .

(٤) السمعاني : الأنساب ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .

في حديثة مطلوب الإجازة فقد منح الإجازة لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني^(١) ولمؤيد بن محمد بن الطوسي وغيرهم^(٢) . مكانته العلمية والإدارية :

سمات أبي بكر الأنصاري قد تطورت وتفتحت بشكل لافت للنظر منذ وقت مبكر كما أسلفنا الذكر ولعل خير من يصور مكانته العلمية واتجاهاته الفكرية هو أثاره التي خلفها ذات القيمة العلمية العالية واهتمام العلماء والباحثين لها في العصور التالية والتي سيرد الحديث عنها في مكان آخر . أحتل ابو بكر الانصاري في الحديث وعلومه مكانة عظيمة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري حتى عدة المؤرخون (مسند الدنيا) و (مسند العصر) و (مسند العراق) كما أسلفنا ذكر ذلك . ووصفه البعض (بالإمام)^(٣) وهذا دلالة على ما بلغه من مكانة عالية في علم الحديث ومعرفته وتفهمه لدقائقه وقد امتدح مكانته العلمية في علم الحديث وعلومه عدد كبير من العلماء والباحثين والمؤرخين فقد وصفه تلميذه ابو سعد السمعاني ((بأنه اشهر من ان يذكر))^(٤) ووصفه تلميذه ابن الجوزي قائلاً ((فهماً ثبثاً حجة متقناً في علوم كثيرة))^(٥) . وقال شمس الدين الذهبي بحقه ((صدوقاً ثبثاً في الرواية متحرياً فيها))^(٦) . وقال في موضع آخر من رواية عنه ((ثبت من كل علم

(١) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ .

(٢) م ، ن : ج ٢٠ ، ص ٢٥ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .

(٤) السمعاني : الأنساب ، ج ٥ ، ص ٤٩٥ .

(٥) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٥ ، ص ٢٤٣ .

(٦) م ، ن : ج ٥ ، ص ٢٤١ ، سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٧ ، ابن رجب : الذيل على

طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

تعلمته إلا الحديث وعلمه))^(١) وقال أيضا ((وما من علم في عالم الله إلا وقد نظرت فيه وحصلت منه كله أو بعضه))^(٢) كما وصفه الذهبي في موضع آخر بقوله ((انه كان اسند شيخ بقي على وجه الأرض))^(٣) ((وتفرد في الدنيا يعلو الإسناد))^(٤) .

وقد أوردت لنا المصادر بعض من آداب الإملاء والاستملاء التي كان يوصي بها تلاميذه في مجالسه منها ((يجب على المعلم ان لا يعنف وعلى المتعلم ان لا يأنف))^(٥) ومنها ((من خدم المحابر خدمته المناير))^(٦) . وقوله أيضا ((كن حذراً من الكريم إذا أهنته ومن اللئيم إذا أكرمته ومن العالم إذا أخرجته ومن الأحمق إذا مازحته ومن الفاجر إذا عاشرتة))^(٧) . وقوله ((الذباب إذا وقع على لبياض سوده وعلى السواد بيضه وعلى التراب برغثه وعلى الجرح قيحه))^(٨) ، وقد صور لنا تلميذه ابن الجوزي في المنتظم احد

(١) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة

، ج ١ ، ص ١٩٤ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(٢) الذهبي ميزان الاعتدال ، ج ٥ ، ص ٢٤١ .

(٣) م ، ن ، ج ٥ ، ص ٢٤١ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٧

، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٥) م ، ن : ج ١٠ ، ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٩ ، ابن

كثير : ابو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ٧٧٤ هـ ، البداية والنهاية في التاريخ

، مطبعة السعادة ، مصر ، بلا ، ج ١٢ ، ص ٢١٧ .

(٦) م ، ن : ج ١٠ ، ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٩ .

(٧) م ، ن : ج ١٠ ، ص ٩٣ ؛ الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٨ .

(٨) م ، ن : ج ١٠ ، ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٩ .

مجالسه حيث قال ((كان يصلي في جامع المنصور فيجئ في بعض الأيام فيقف وراء مجلسي وانا على منبر الوعظ فيسلم عليّ وأملي الحديث في جامع القصر وقرأت عليه الكثير))^(١) وكان قد خرجت له مجالس سنة ٥١٨ هـ / ١٢٤١ م فأملأها بجامع القصر من دار الخليفة ببغداد^(٢)

وقد أورد لنا تلميذه ابو سعد السمعاني في كتابه الأنساب حكاية حول تعاطي ابو بكر الانصاري المال والهدايا من تلاميذه مقابل تعلمهم علم الحديث أو العلوم الأخرى . قال ابو سعد السمعاني في ترجمته أبي الحسن سعد الخير بن محمد الانصاري البلنسي الفقيه (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) ((ولد له بنات وكان يسمعهن الحديث الى ان رزق ابناً فسماه جابراً وكان يسمعه يقرأ لي الحديث واتفق انه حمل الى القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري شيئاً يسيراً من العود بعد ان وجد الشيخ منه رائحته وقال ذا عود طيب فحمل منه شيئاً نزرأ ودفعه الى جارية الشيخ فأستحيت الجارية لقلته ان تدفع الى الشيخ فلما دخل على الشيخ قال : ياسيدنا وصل العود فقال الشيخ : وأي عود ؟ فقال دفعته الى الجارية فزحف الشيخ بالجارية وقال : دفع إليك فلان شيئاً ؟ قالت : بلى قال : فلم ما دفعته إلي؟ قالت : لأنه كان شيئاً يسيراً فأستحيت أن أضعه بين يدك وأحضرت ذلك القدر فقال الشيخ لسعد الخير : هذا هو ؟ قال : نعم فأخذ الشيخ ذلك ورماه وقال : لا حاجة لي فيه . ثم طلب سعد الخير أن يسمع لأبنه جابر جزء محمد بن عبد الله الانصاري فحلف الشيخ أن لا يحدثه بالجزء إلا أن يحمل إليه سعد الخير خمسة أمناء عوداً جيداً سرايا فأمتنع سعد

(١) م ، ن : ج ١٠ ، ص ٩٣ ؛ ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٥

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ١ ، ص ٣٩٤ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ .

الخير وألح على أن يكفر اليمين فما فعل ولا حمل هو ومات الشيخ ولم يحدث أبنه بالجزء))^(١) .

أما مكانته الفقهية فقد ذكرت لنا المصادر التاريخية أن تفقه في صباه على القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) وعلى الشريف ابو جعفر بن أبي موسى^(٢) . إذ قال الذهبي ((كان يعرف الفقه على مذهب احمد))^(٣) . وذكر تلاميذه أنه نظر في كل علم من العلوم قال ابن الجوزي نقلاً عن ابو سعد السمعاني ((ما رأيت أجمع للفنون منه نظر في كل علم))^(٤) . فضلاً عن كونه شهد عند قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني وأصبح قاضياً^(٥) ببغداد يدل على تمكن ابو بكر الانصاري ومن خلال نشاطه ورأيه في تحصيل العلوم من أن يكون على إطلاع واسع في الأصول والفقه .

أما مكانته الأدبية فقد أوردت لنا مصادرنا التاريخية بعض من نظمه للشعر منها ما قاله في بغداد .

(١) السمعاني : الأنساب، ج ١ ، ص ٣٩٤ .

(٢) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .

(٣) الذهبي : العبر ، ج ٤ ، ص ٩٦ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٦٩ .

(٥) م، ن: ج ١٠ ، ص ٩٤ ، الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٢ ، ص ٣٦٢ .

بغداد دار لأهل المال طيبة وللمفالييس دار الضنك والضيق
ظلمت حيران أمشي في أزقتها كأي مصحف في بيت زنديق^(١)
ومن مليح شعره أيضاً :
لي مدة لاب،،د أبلغها فإذا أنقضت وتصومت مت
ولو عاندتني الأسد ضاربة ماضرني ما لم يجيء الوقت^(٢)
ومن ذلك قوله :
أحفظ لسانك لا تبخ بثلاثة سن ومال ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبلى بثلاثة بمموه ومفكر ومكذب^(٣)
وظهرت براعة أبي بكر الأنصاري وعلمه في أحسن الوجوه إشراقاً وتألقاً في
علم الفرائض^(٤) ولقب بالفرضي^(٥) .

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٩٤، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨، ق ١
ص ١٧٩ م ، ن : ج ٨، ق ١، ص ١٧٨ ،
(٢) م، ن: ج ١٠، ص ٩٢، الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٢، ص ٣٦٢، ابن كثير :
البداية والنهاية ، ج ١٢، ص ٢١٧ .
(٣) م ، ن: ج ١٠، ص ٩٣ .
(٤) علم الفرائض : هو العلم الذي يختص بالمقدرات وعلم الموارث ويقال لمن يعلم هذا العلم
الفرضي والفارضي والفرائضي ، السمعي : الأنساب ، ج ٤، ص ٣٥٨، ص ٣٦٦ .
الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠، ص ٢٣، ابن رجب : الذيل على طبقات
الحنابلة، ج ١، ص ١٩٢
(٥) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠، ص ٢٣، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة
ج ١، ص ١٩٢ .

وقد امتدح مكانته في علم الفرائض عدد من المؤرخين والباحثين منهم تلميذه ابن الجوزي إذ قال ((حجة متقناً في علوم كثيرة منفرداً في علم الفرائض))^(١) وقال في موضع آخر ((انفرد بعلم الحساب والفرائض))^(٢) . ووصفه ابن الأثير بقوله ((كان عالماً بالمنطق والحساب والهيئة وغيرها من علوم الأوائل))^(٣) واثني عليه شمس الدين الذهبي قائلاً: ((برع في الحساب والفرائض))^(٤) وقال في موضع آخر ((صنف في علم الحساب والفرائض والهيئة والهندسة تصانيف وعلق تعاليق))^(٥) ومما لاشك فيه ان أبا بكر الأنصاري برع في علم الفرائض وأصبح إماماً وعالماً فيه من جراء قراءته عدد من الكتب والمصنفات الخاصة بعلم الفرائض والحساب والهندسة والجبر والمقابلة وحضوره عدد من العلماء المختصين بذلك العلم في عصره حتى برع في جميع ذلك وصف فيه مصنفاته^(٦) . وعلى الرغم انه درس ونظر في

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٩ ،

(٢) م ، ن : مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ٥٢٨ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٦٩ ، الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٧ ،

(٤) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٥ ، ص ٢٤٣ .

(٥) م ، ن : ج ٥ ، ص ٢٤٣ .

(٦) الدمياطي : المستفاد ، ج ١٩ ، ص ٢٠ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣

علوم الأوائل حتى ((تفرد في الحساب والفراسة))^(١) فإنه ذلك لم يؤثر في حسن معتقده وعمق إيمانه فقد رد على خطأ المنجمين اللذين أتاهم والداه للنظر في مولده والتنبؤ لمستقبله ((فهذا أنا في عشر المائة))^(٢) وقال في موضع آخر ((فهذا أنا زدت على ما قالوا أربعين))^(٣) وعلق شمس الدين الذهبي على ذلك بقوله ((وكان يقول ذلك رداً عليهم مع معرفته بالفن))^(٤) وقوله أيضاً ((وهذا يدل على حسن معتقده))^(٥) في حين وصفه تلميذه ابن عساكر ((وتكلم فيه بكلام مرد فج فقال كان يتهم بمذهب الأوائل ويذكر عنه رقة الدين))^(٦) ثم تاب وترك كل علم تعلمه إلا الحديث وعلمه^(٧) .
ومع براعته وتفردته ومشاركته في علوم كثيرة إلا أنه كان قليل البضاعة من العربية ونعني ذلك النحو فأني قليل البضاعة فيه^(٨) .
وكان أبو بكر الأنصاري موهبة أخرى هي العناية بتعلم مبادئ الخط عناية تامة وقد بدأت موهبته بالظهور بعد أن أسره الروم وتعلم منهم الخط الرومي^(٩) .

(١) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٥ ، ص ٢٤٣ .

(٢) ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ٥٢٨ .

(٣) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٥ ، ص ٢٤٣ .

(٤) م ، ن ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ .

(٥) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .

(٦) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٥ ، ص ٢٤١ .

(٧) م ، ن ، ج ٥ ، ص ٢٤٣ ، سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٧ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٩) الدمياطي : المستفاد ، ج ١٩ ، ص ٢٠ ، الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

كما وأنه كان ((سريع النسخ حسن القراءة للحديث))^(١) وأنه ((سمع الكثير وقرأ بنفسه وكتب بخطه))^(٢) .

أما فيما يخص عدالته وورعه وزهده فقد ذكرت لنا المصادر أنه كان من الشهود المعدلين في بغداد وقد قبلت شهادته عند قاضي القضاة أبي الحسن الدامغاني وأنه كان قاضياً كما أسلفنا ذكر ذلك . وأطلق عليه لقب (المعدل)^(٣) . وقد امتدح سبط ابن الجوزي عدالته وزهده بقوله ((وأجمعوا على صدقه وزهده وعدالته))^(٤) كما وأنه كان ((حسن الصورة حلو المنطق مليح المعاشرة))^(٥) وأنه ((كان متديناً حسن الكلام حلو المنطق مليح المحاورة))^(٦) .

وذكر هو عن نفسه أنه حفظ القرآن وهو أبن سبع سنوات^(٧) وهذا يدل على قوة حافظته وعمق إيمانه . كما أنه رفض الرضوخ لطلب الروم البيزنطيين عندما أرادوا أن يحولوه من دين الإيمان إلى دين الكفر ومن الهدى إلى الضلالة لحسن معتقده وقوة إيمانه كما ذكرنا سابقاً . وأنه لم يخل بالصلوات وكان كثير الصلاة في جامع المنصور^(٨) . وقد روى تلميذه ابن الجوزي عمق إيمانه

(١) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٥ ، ص ٢٤٣ .

(٢) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٧٩ ، ص ١٨٠ .

(٥) الدمياطي : المستفاد ، ج ١٩ ، ص ٢١ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٧٩ ،

(٧) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٨) م ، ن ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

وورعه وتقواه إذ قال ((قال يوماً صليت الجمعة بنهر معلى ^(١) ثم جلست أنظر الناس يخرجون من الجامع فما رأيت أحداً أشتي أن أكون مثله)) ^(٢) أما مكانته الإدارية فإنه لصدقه وأمانته وعمق إيمانه وعفته وورعه وتقواه وكل إليه الخلفاء العباسيين الأربعة القائمة بأمر الله (ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) والمقتدر بالله (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) والمستنصر بالله (ت ٥١٢ هـ / ١١١٨ م) والمسترشد بالله (ت ٤٢٩ هـ / ١١٣٤ م) مهمة النظر في وقف البيمارسان ^(٣) ، العضدي ببغداد ^(٤) . عن نيف وسبعين سنة ^(٥) ، لذا فقد عرف وأشتهر

^(١) نهر معلى : وهو احد انهار مدينة بغداد يقع بالجانب الشرقي منها ينسب إلى مولى الخليفة العباسي المهدي المعلى بن طريف وكان من كبار قواد الرشيد ثم أصبح محله كبيرة ببغداد إذ تقع فيها دار الخلافة العباسية ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٢٤ . ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .

^(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .

^(٣) البيمارستان العضدي : وهو الذي أنشأ عضد الدولة ابو شجاع فنا خسرو بن الحسن بن بزيه في الجانب الغربي من بغداد ورتب فيه الأطباء والخدم ونقل إليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيئاً كثيراً وأفتتح في صفر سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م ، انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .

^(٤) م . ن : ج ٢٠ . ص ٢٦ .

^(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣١٩ .

^(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٦٩ ، الذهبي : العبر ، ج ٤ ، ص ٩٦ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٢ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ، الزركلي : خير الدين ت ١٣٠٦ هـ ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط ٣ ، بلا م ، ج ٧ ، ص ٥٤ .

بقاضي المرستان ^(١) . كما قبلت شهادته عند قاضي القضاة أبي الحسن الدامغاني ببغداد كما ذكرنا سابقاً وأصبح من الشهود المعدلين ^(٢) . مؤلفاته وتخليجه :

ترك لنا ابو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري عدداً قليلاً من مؤلفاته وتخليجه نالت ثناء العلماء والباحثين وغيرهم واستحسانهم :

١- شرح كتاب إقليدس في أصول الهندسة والحساب ^(٣) . شرح فيه المقالة العاشرة وقد علق عليه السنيوركر لو نلينو بقوله ((هو شرح جميل حسن مثل فيه الأشكال بالعدد وعندي هذه النسخة بخط مؤلفه والحمد لله وحده)) ^(٤)

٢- مشيخته في ثلاثة أجزاء ^(٥) وقيل خمسة أجزاء ^(٦) .

(١) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ - ص ٢٥ .

(٢) م ، ن : ج ٢٠ ، ص ٢٣ .

(٣) حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي ت ١٠٦٧ هـ ، كشف

الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط ٣ ، المطبعة الإسلامية ، طهران ١٣٨٧ هـ /

١٩٦٧ م ، ج ١ ، ص ١٣٨ ، كحالة : عمر رضا ، معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ،

دمشق ، ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م ، ج ١٠ ، ص ١٢٣ .

(٤) لولينو : كرلو ، علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، مطبعة روما ،

١٩١١ م ، ص ٦٠ .

(٥) توجد منها نسخة مصورة في المكتبة الوطنية باستانبول في خزانة فيض الله أفندي برقم

(١٢٢) انظر : هـو حميد مجيد ، المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية باستانبول

خزانة فيض الله أفندي ، مجلة المورد ، م ٧ ، ع ٢ ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ٣٣١

(٦) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ ؛ الزركلي : الاعلام ، ج ٧ ، ص ٥٤ .

٣- مشيخة قاضي المرستان الصغرى لأب بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري خرجها له ابو سعد السمعاني ^(١)، في جزء واحد ^(٢) .

وفاته :

أجمعت المصادر على تاريخ وفاة مسند الدنيا والعصر والعراق القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري في يوم الأربعاء قبل الظهر ثاني شهر رجب سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠ م ^(٣) على أثر مرض لم يمهله سوى ثلاثة أيام في داره الواقعة بالنصرية ببغداد ^(٤)، وأوصى أن يكتب على قبره ((قل هو نبي أعظم أنتم عنه معرضون)) ^(٥) وأوصى أن يحفر قبره زيادة على ما جرت به العادة معللاً ذلك لأنه إذا حفر ما جرت به العادة لم يصلوا إلي ^(٦) وكان لا يفتر من قراءة القرآن الكريم قبل وفاته بثلاثة أيام وكان ذلك فاتحة خير له ^(٧) . وصلى عليه بجامع المنصور

(١) المغربي : محمد بن سليمان ت ١٠٩٤ هـ ، صلة الخلف بوصول السلف ، تحقيق محمد

صبحي ، دار المغرب الإسلامي ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٣٣٨ .

(٢) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٤ ، مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ٥٢٨ ،

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٧٩ ، ، ابن رجب : الذيل على

طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٤) الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .

(٥) سورة ص ، آية ٦٧ و ٦٨ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٩٤ ، الذهبي : سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ،

ص ٢٧ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٧) م ، ن ، ج ١٠ ، ص ٩٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٧٩ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

وحضر تشييع جنازته قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي
(ت ١١٤٨هـ / ١١٤٨م) وأرباب الدولة ووجوه الناس حتى دفن في مقبرة باب
حرب^(١) عند أبيه قريبا من بشر الحافي .

^(١) مقبرة باب حرب : وهي إحدى مقابر بغداد تقع في الجانب الغربي منها منسوبة إلى
حرب بن عبد الله البلخي ت ١٤٧هـ / ٧٦٤م وفيها قبر احمد بن حنبل وبشر بن
الحارث الحافي ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ - ص ٢٣٧
، وليمز : يعقوب ، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى ، ترجمة صالح احمد العلي
، مطبعة المجمع .

المبحث الثاني

رواياته في كتاب الأنساب للسمعاني :

اقتبس المؤرخ ابو سعد السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) من شيخه ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ثمانية وثلاثين نصا في كتابه الأنساب^(١) جاءت موزعة بين انساب الكتاب وتراجمه المختلفة وقد ذكره بصيغ مختلفة منها (ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري) (ابو بكر الانصاري) و (القاضي ابو بكر الانصاري) و بلفظ (اخبرنا ، روى لي عنه ، سمعت ، روى لنا عنه) منها على سبيل المثال لا الحصر : -

١- في نسب بن هاشم قال السمعاني (اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ببغداد عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم))^(٢) .

٢- في نسبة التاجر وهي لمن اشتغل بالتجارة^(٣) قال السمعاني في ترجمة ابو منصور بكر بن محمد التاجر النيسابوري ((سكن بغداد وكان ثقة حسن الاعتقاد صحيح المذهب كثير الدرس للقرآن محبا لأهل الخير معتقدا للفقراء

(١) السمعاني : الأنساب ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ٣٤ ، ٤٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٩ ، ٣٦٦ ، ٤٤١ ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ، ١٩٧ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٩٧ ، ٣٣٧ ، ٤٠٦ ، ٤٦٠ ، ج ٣ ، ص ١٠٢ ، ١٤٢ ، ٣٠٧ ، ٣٤١ ، ٥٤٩ ، ج ٤ ، ص ٢٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ١٢١ ، ١٩٨ ، ٢٦١ ، ٢٨٦ ، ٣١٣ ، ٣٥٢ ، ٤٣٣ ، ٥١٦ ، ج ٥ ، ص ٢١٠ ، ٢٥٤ ، ٤٦٨ ، ٤١٦ ، ٤٧٩ ، ٦٢٩ .

(٢) م . ن : ج ١ ، ص ٢٦ - ص ٢٧ .

(٣) م . ن : ج ١ ، ص ٤٤٠ .

بالبر والإرفاق ٠٠٠ روى عنه ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ وروى لي عنه ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ببغداد ٠٠٠ وكانت ولادته في سنة ست وثمانين وثلاثمائة ٠ مات من سنة خمس وستين وأربعمائة ((^(١)).

٣- في نسبة الجوهرى ، وهي لمن يبيع الجوهر^(٢) قال السمعاني في ترجمة ابو محمد الحسن بن علي بن الحسن الجوهرى ((من أهل بغداد ، شيخ ثقة صالح أكثر أمين أصله من شيراز وولد ببغداد ٠٠٠ سمع منه جماعة من القدماء مثل ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب وأبي سعيد عبد الواحد بن أبي القاسم القشيري وغيرهما روى لي عنه الكثير ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ولم يحدثنا عنه متصلاً بالسماع سواء ٠٠٠ وكانت ولادته في شعبان سنة ثلاث وستين ثلاثمائة، وتوفي في السابع من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة))^(٣)

٤- في نسبة الحربية وهي محلة معروفة بغربي بغداد^(٤) قال السمعاني ((سمعت أبا بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ببغداد يقول إذا جاوزت جامع المنصور فجميع المحال يقال لها الحربية مثل النصرية والثارسوك ودار البطيخ والعتابين وغيرها قال كلها من الحربية))^(٥) .

(١) م . ن : ج ١ ، ص ٤٤١ .

(٢) م . ن : ج ٢ ، ص ١٢٥ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ص ١٢٦ .

(٤) م . ن : ج ٢ ، ص ١٩٧ .

(٥) م . ن : ج ٢ ، ص ١٩٧ .

٥- في نسبة الزجاجي ، وهي الى عمل الزجاج وبيعة ^(١) قال السمعاني في كتابه الأنساب ((قال ابن ماكولا عبد الرحمن بن أبي بكر احمد بن علي بن عبدالله الزجاجي سمع أبا احمد الفرضي وابن بكران ومن بعدهما . سمعت منه قلت روى لنا عنه ابو القاسم بن السمرقندي وأبو بكر الانصاري وغيرهما وتوفي في حدود سنة سبعين وأربعمائة ببغداد ^(٢) .

٦- في نسبة السمنجاني ، وهي بليدة من طخارستان وراء بلخ بها شعاب كثيرة وثمار وأشجار وبها من العرب تميم ^(٣) قال السمعاني فيمن نسب إليها ((ابو الفتح نصر بن احمد بن نصر بن محمد بن مزاحم البلخي السمنجاني من أهل بلخ سكن بغداد الى حين وفاته ، وكان شيخا ثقة مشهورا سمع أبا علي الحسن بن احمد بن شاذان البزاز ، روى لنا عنه ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ببغداد ، وتوفي في جمادي الآخرة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة)) ^(٤)

٧- في نسبة السهروردي، وهي بلدة عند زنجان على حد أذربيجان من بلاد الجبل ^(٥) ، منها ابو شجاع فارس بن الحسين بن فارس بن الحسين بن غريب بن بشير الذهلي السهروردي قال ابو سعد السمعاني ((سكن بغداد وهو ابو شجاع بن فارس ، وفارس كان شيخا ثقة فاضلا صالحا صدوقا له معرفة باللغة

^(١) م ، ن : ج ٣ ، ص ١٤١ .

^(٢) م ، ن : ج ٣ ، ص ١٤١ ، ص ١٤٢ .

^(٣) م ، ن : ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

^(٤) م ، ن : ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

^(٥) السمعاني : الأنساب، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ص ٣٤٠ .

والأدب وكان يقول الشعر ويحفظ اللغة ٠٠ روى لنا عنه ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ٠٠٠ وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة سبع وأربعمئة^(١) .

٨- في نسبة الصقلي ، وهي نسبة الى صقلية وهي جزيرة من جزائر بحر المغرب قريبة من القيروان والمهدية^(٢) قال السمعاني في ترجمته ابو الحسن علي بن المفرج بن عبد الرحمن الصقلي ((القاضي بمكة أظنه ولي القضاء بها سمع أبا بكر محمد بن أبي سعيد الاسفراييني ٠٠٠ وأبا ذر عبد بن احمد الهروي المالكي الحافظ روى لي عنه ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ببغداد وكانت وفاته سنة نيف وسبعين وأربعمئة))^(٣) .

٩- في نسبة الطبري وهذه النسبة الى طبرستان وهي امل وولايتها قال السمعاني ((سمعت القاضي ابو بكر الانصاري ببغداد ، إنما هي تبرستان لان أهلها يحاربون بالتبر يعني الفاس فعرب وقيل طبرستان والنسبة إليها طبري^(٤))) ممن نسب إليها قال السمعاني ((ابو الطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عمر الطبري ، الفقيه الشافعي من أهل طبرستان ، استوطن بغداد ودرس بها العلم وأفتى وولي القضاء بريع الكرخ بعد موت أبي عبدالله الصيري ولم يزل قاضيا الى حين وفاته أو كان معمرا ذكيا متيقظا سليم الصدر حسن الخلق صحيح المذهب فصيح اللسان يقول الشعر على طريقة الفقهاء وله تصانيف في الفقه والأصول ٠٠٠ كانت ولادته في سنة ثمان وأربعين وثلاثمئة ٠ ومات

(١) م ، ن : ج ٣ ، ص ٣٤١ .

(٢) م . ن : ج ٣ ، ص ٥٤٩ .

(٣) م . ن : ج ٣ ، ص ٥٤٩ .

(٤) م ، ن : ج ٤ ، ص ٤٥ .

في شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة ودفن بمقبرة باب حرب ، روى لنا عنه الحديث ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ((^(١)) .

١٠- في نسبة الطحان وهي الى صاحب الرحى الذي يطحن الحب^(٢) قال السمعاني في ترجمته ابو القاسم حمدان بن سلمان بن حمدان الطحان ((من أهل بغداد ، وكان من أهل الصدق ٠٠٠ روى عنه ابو بكر الخطيب وأبو سعيد مسعود بن ناصر السجري ٠٠٠ روى عنه ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري بالإجازة فأن لشيخنا عنه إجازة ، وكانت ولادته في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ومات في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ببغداد))^(٣) .

١١- في نسبة العشاري قال السمعاني ((هذه النسبة لأبي طالب محمد بن علي بن الفتح الحربي المعروف بابن العشاري من أهل بغداد وهذا لقب جده لأنه كان طويلا فقليل له العشاري بذلك ، كان صالحا سديد السيرة كثيرا من الحديث ٠٠٠ روى لي عنه ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ولم يحدثنا عنه سواه ٠٠٠ مات يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادي الأولى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة))^(٤) .

١٢- في نسبة القضاعي وهي الى قبيلة قضاة وهو عمرو بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حجر بن سبأ ولقبه قضاة^(٥) ممن نسب

(١) السمعاني : الانساب ، ج ٤ ، ص ٤٧ .

(٢) م ، ن : ج ٤ ، ص ٥١ .

(٣) م ، ن : ج ٤ ، ص ٥٢ .

(٤) م ، ن : ج ٤ ، ص ١٩٨ .

(٥) م ، ن : ج ٤ ، ص ٥١٦ .

إليها قال السمعاني ((القاضي الإمام ابو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي قاضي مصر، سمع جماعة كثيرة وصنف كتاب الشهاب مسندا ويطرح الأسانيد ، روى لي عنه على سبيل الإجازة ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ببغداد، وتوفي في سنة أربع وخمسين وأربعمائة بمصر))^(١) .

١٣ - في نسبة النرسي وهي نسبة الى نهر من انهار الكوفة عليه عدة من القرى ^(٢) قال السمعاني في ترجمته ((ابو الحسين محمد بن نصر بن النرسي يروي عن جماعة كثيرة من أصحاب أبي القاسم البغوي ٠٠٠ روى عنه ابو بكر احمد بن علي الخطيب واثنى عليه ، وروى لي عنه ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري وكانت ولادته في سنة سبع وستين وثلاثمائة ومات في صفر سنة ست وخمسين واربعمئة)) ^(٣) .

(١) م ، ن : ج ٤ ، ص ٥١٦ .

(٢) السمعاني : الأنساب، ج ٥ ، ص ٤٧٩ .

(٣) م ، ن : ج ٥ ، ص ٤٧٩ .

الخاتمة

يتضح لنا من خلال ما مر ذكره أن أبا بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ولد في بغداد وفي بيت علم وأدب وله مكانته العلمية بين بيوتات أهل بغداد ، وكان لوالده الأثر الكبير في تعريفه بشيوخه وأساتذته الذين أخذ عنهم العلم منذ حداثة سنة وأصبح لذلك أثر كبير في نمو شخصيته العلمية وانقطاعه إلى الدرس وتردده إلى أصحاب العلم والعلماء والأدباء وترك ما كان أترابه يلهون به من اللعب وقد عده العلماء من الرجال التقاة كان أسند شيخ بقي على وجه الأرض وتفرد في الدنيا بعلو الإسناد وكان متديناً حسن الكلام حلو المنطق مليح المحاورة •

ونتيجة شهرته العلمية الواسعة فقد تتلمذ عليه عدد من الطلاب الذين كانت لهم مكانتهم العلمية فيما بعد في علوم الحديث واللغة والأدب فقد روى عنه كل من السلامي ، والسمعاني ، وابن عساكر ، والسلفي ، وابن الجوزي وغيرهم • ومن خلال احتفاء أهل بغداد • بجثمانه وصلاة قاضي القضاة الزينبي وأرباب الدولة ووجوه الناس عليه بجامع المنصور تبين لنا مكانته العلمية والاجتماعية بين سكان بغداد • ومن مؤلفاته شرح كتاب أقليدس في أصول الهندسة والحساب ومشيخته في ثلاثة وقيل في خمسة أجزاء ومشيخه قاضي المرستان الصغرى التي أخرجها أبو سعد السمعاني في جزء واحد •

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

المصادر والمراجع

❁ ابن الأثير: ابو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

١- الكامل في التاريخ ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان
١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م

❁ انلينو : كرلو ،

٢- علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، مطبعة روما ،
١٩١١ م

❁ ابن تغري بردي : ابو المحاسن يوسف الاتاكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)،

٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة بلا
ت.

❁ ابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ،

٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الدار الوطنية ، بغداد ١٩٩٠ م ،

٥- مناقب الإمام احمد بن حنبل ، تصحيح ونشر محمد أمين الخانجي ،
ط ١ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٤٩ هـ ،

❁ حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي (ت ١٠٦٧ هـ / ١٥٩٨ م) ،

٦- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، ط ٣ ، المطبعة الإسلامية ،
طهران ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م

❁ الدمياط : احمد بن أيبك (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

٧- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، تحقيق قيصر ابو فرج ، دي- فل ، دار

- الكتب العلمية ، بيروت ، بلا ت ، .
- ❁ الذهبي : ابو عبدا لله محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ،
- ٨- تذكرة الحفاظ ، دائرة المعارف الإسلامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند
١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م
- ٩- دول الإسلام ، تحقيق فهميم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م
- ١٠- سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي ،
ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٥٥ م ،
- ١١- العبر في خبر من غير ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ،
١٩٦٣ م.
- ١٢- ميزان الاعتدال ، ط١ ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ،
الهند ، ١٣٣١ هـ ،
- ❁ ابن رجب : عبد الرحمن بن احمد (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م) . ،
- ١٣- الذيل على طبقات الحنابلة وقف على تصحيحه محمد حامد الفقي ،
مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م ،
- ❁ الزركلي : خير الدين ت ١٣٠٦ هـ ،
- ١٤- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين ، ط٣ ، بلا م
- ❁ سبط ابن الجوزي : ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) ،
- ١٥- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف
العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ،
- ❁ السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) . ،

- ١٦- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي ، تحقيق عبدا لرحمن محمد عثمان ، ط٢ ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩ م
- ❁ السمعاني : ابو سعد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦ م) ،
- ١٧- الأنساب ، تقديم وتعليق عبدا لله عمر البارودي ، ط١ ، دار الجنان ، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ،
- ❁ الصالح : صبحي ،
- ١٨- علوم الحديث ومصطلحة ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩ م ،
- ❁ ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبد الحي بن احمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) ، .
- ١٩- شذرات الذهب في أخبار من الذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، .
- ❁ ابن الفوطي : عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) .
- ٢٠- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب : تحقيق مصطفى جواد ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٦٢ م ،
- ❁ الكتبي : محمد بن شاکر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م) ،
- ٢١- عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ،
- ❁ ابن كثير : ابو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
- ٢٢- البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة ، مصر ، بلا ،
- ❁ كحالة : عمر رضا ،
- ٢٣- معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م .

❁ ليمز : يعقوب

٢٤-، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى ، ترجمة صالح احمد العلي ، مطبعة المجمع العراقي، بغداد، ١٩٨٤ م .

❁ المغربي : محمد بن سليمان (ت ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢ م) .

٢٥- صلة الخلف بوصول السلف ، تحقيق محمد صبحي ، دار المغرب الإسلامي ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م

❁ هدو : حميد مجيد ،

٢٦- المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بأستانبول خزانة فيض الله أفندي ، مجلة المورد ، م٧ ، ع٢ ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ،

❁ ياقوت الحموي : ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٢٧- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م ،

**موارد ابن اعثم الكوفي في كتاب
(الفتوح) عن السيرة النبوية**

**ا. م. د. وفاء عدنان حميد
جامعة بغداد/ كلية الاداب
قسم التاريخ**

الخلاصة:

يعد ابن اعثم المتوفي سنة (٣١٤هـ) من اهم اعلام القرن الرابع الهجري ثاني اثنين في الكتابة عن الفتوح، فقد أقننى أثر شيوخ عصره من المصنفين الكبار على تنوع معارفهم و مؤلفاتهم، وتسنى له ان يزاحمهم في الصنعة، أمثال الطبري، والدينوري، وابن قتيبة وغيرهم تم تبني المنهج الوصفي لبعض الاحداث و نقلها و المنهج الاخر هو التحليل والتصنيف للحدث والتعليق عليه من قبل المؤرخين.

أنبثقت أهمية دراسة هذه الشخصية التي تناولت موضوع مهم و هو الفتوح، ولعل من أهم التجليات التي خلص اليها البحث في دراسة كتاب (الفتوح) ما تعكسه كلماته مثل (حدثني) ، (وقال) ، (واخبرنا) ، وعلى هذا الأساس بين قاعدة لمصادره وأسانيده أمثال ما كان يأخذ من الشعبي وغيره .

تناول الكتاب الفترة الممتدة من بداية الخلافة الى العصر العباسي و خلافة المقتدر حسب ما يذكر ياقوت في معجمه، كشفت الدراسة عن تناول ابن اعثم لمفرداته واستعمال ادواته على نحو امتاز بالدقة والشمولية ما يتيح للقول ان (كتاب الفتوح) يعتبر الاكثر تركيز عن الفتوح وتناول التفاصيل الدقيقة التي قد غابت من الطبري احياناً لاسيما كانوا من نفس العصر ، لذلك لا يزال يتصدر المصادر المهمة في معرض المعرفة.

Abstract:

The Ibn Al-Athem (d. (314 e) of the most important Historian of the fourth century AH second writer about Fotouh, has traced the impact of the elders of his age adults who are classified on the diversity of their knowledge and their compositions, the likes of al-Tabari, and Dinouri, Ibn Qutaiba and other descriptive approach has been adopted for some events and transport, and the other approach is the analysis and classification of the event and commentary by historians. It emerged the importance of this personal study that dealt with an important topic and is Fotouh, and perhaps the most important manifestations of the conclusions of the research in the study of the book (Fotouh) is reflected in his words, such as (told me), (and told us), and on this basis between the base of the sources He likes what he takes from the popular and others. Book the period from the beginning of the caliphate taking to the Abbasid period and succession Muqtadir as may be stated sapphire in his dictionary, study revealed eating Ibn Al-Athem to his vocabulary and use his tools in a manner accuracy and comprehensiveness that allows to say that (the book Fotouh) is considered the most concentration Fotouh and fine details that may be absent from Tabari sometimes especially were of the same age, so it still tops the important sources of knowledge in the gallery.

المقدمة

وردت لنا كتب المؤرخين، عبر التاريخ ونقلت معارفهم وانواع علومهم وتعددت الافكار والاتجاهات في الكشف عن منابع التأريخ والمؤرخون فمنهم من ياخذ الحدث ومنهم من ياخذ الواقعة ومنهم من يتناول المدينة ناهيك عن متناولي الحدث السياسي.

ولكن في الفترة القريبة من التأريخ قام المؤرخون بدراسة كتب المؤرخون في ميولها من خلال دراسة الموارد التي جاءت بها، لينجلي لنا ما اورده في مؤلفاته.

دراسات عديدة تمثلت في دراسة مثل هذه الموضوعات وهي الموارد التي استند عليها المؤرخ في كتابه وكيفية الاسناد ونوع مظهر في المتن من معلومات يستقي منها كدراسة الاستاذ جواد علي (بموارد الطبري) واکرم ضياء العمري بدراسة (موارد الخطيب البغدادي) وغيرهم كثير من هذه الدراسات المهمة.

ومما تقدم فان موضوع الدراسة (موارد ابن اعثم الكوفي في كتابه الفتوح عن السيرة النبوية) سيتناول تلك الموارد بشيء من التحليل.

بالنسبة لوفاته تتفق اغلب الروايات كان سنة (٣١٤هـ) وتاتي اهمية هذه الدراسة كون كتاب الفتوح يورد معلومات لم ترد حتى عند الطبري حيث انه عمل على ايراد ادق التفاصيل التي وردت عن عصر الخلافة وعصره وماتلاه الى تكملة عصر الخلافة، ومن ثم العصر الاموي والعباسي حتى هارون الرشيد او حسب روايات ياقوت الى عصر المقتدر العباسي.

- اما اشكالية الموضوع كانت في ابراز المنهج والموارد التي استسقى منها ابن اعثم موارد في كتاب الفتوح. و الغموض الذي يصادفنا في نقل

الرواية.

وفرضيتنا هنا ان ماورده ابن الاعثم باستخدام كلمة (قال) و(حدثني) و(واخبرنا) ، على الرغم من انه كان معاصرا لابن اعثم الكوفي هو الطبري ، وابن قتيبة والدينوري، وكانت مواردهم واضحة اذا لماذا هذا التخفي في الكتابة هل هو منهج تميز به ابن الاعثم، ام السياسة العباسية ام بسبب ميوله العلوية وموقف الدولة العباسية المعادي لهم، وايا كان السبب فانه كان يخفي سنده؟ وسوف اقدم في طيات هذا البحث دراسة المنهج المتبع وكيفية رواية ابن الاعثم.

واقتضت الدراسة ان تكون على ثلاثة مباحث كما وضح في خطة البحث، واقتضت الدراسة ان يكون المنهج في الكتابة على نوعين، منها المنهج الوصفي لبعض الاحداث المنقولة و المنهج الاخر وهو التحليل والتصنيف للحدث والتعليق عليه.

وفي النهاية استخدمت كتب التاريخ والطبقات والحديث والروايات مع بعض المقالات والدوريات وقد تمت الفائدة بما نستطيع ان نورده عن موارد ابن الاعثم، وقد تضمن البحث الفقرات الآتية:

المبحث الاول : السيرة الذاتية لابن اعثم الكوفي

- اسمه ونسبه وكنيته

- وفاته

- مؤلفاته

المبحث الثاني: عصر ابن الاعثم الكوفي (البيئة السياسية والاجتماعية

والفكرية) ومنهجه

- البيئة السياسية

- البيئة الاجتماعية
- البيئة الفكرية
- منهج ابن اعثم الكوفي في كتابه الفتوح
- اولاً: مصادره
- الروايات الشفوية
- ثانياً: اسانيده
- ثالثاً: التسلسل التاريخي عند ابن عبد الحكم
- المبحث الثالث: تنظيم كتاب الفتوح واسلوب عرضه
- اسم الكتاب
- وصف الكتاب
- موارده في احاديث السيرة النبوية
- الخلاصة
- قائمة المصادر والمراجع

المبحث الاول

السيرة الذاتية لابن اعثم الكوفي

اسمه ونسبه وكنيته

احمد ابن محمد بن علي بن أعثم الكوفي ^(١)، وينسب الى بني أزد ^(٢). وكنيته (ابو محمد) ^(٣).

ولم تسعنا المصادر التاريخية بمعلومات كافية عن بداية حياته ولكن وصل لنا، اسمه حسب ما ذكره المصادر، ونسبه وكنيته ووفاته في (٤١٣هـ/٩٢٦م) ^(٤).

كانت ديانته المسلمة، ويوجد اختلاف في مذهبه عند بعض المؤرخين ، حيث يذكره ياقوت في معجم الادباء مؤرخ علوي(شيعي) اما السهمي (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) ^(٥) فيذكره انه كان سني ^(٦)،

(١) ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، معجم الادباء، تحقيق:

احسان عباس، ط١ (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٣م)، ج١، ص٢٠٢.

(٢) العمري اكرم ضياء ، عصر الخلافة الراشدة محاولة نقد الرواية التاريخية وفق منهج

المحدثين، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٩م)، ج١، ص٢٣.

(٣) العمري، عصر الخلافة الراشدة ، ج١، ص٢٣.

(٤) الصفدي ، صلاح الدين بن خليل بن ابيك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات،

تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار احياء التراثن ٢٠٠م)، ج٦،

ص١٧١.

(٥) وسبب تعليه للمذهب السني يبرر روريته بقوله ان ابن الاعثم يبتديء كتابه بموضوع

سقيفة بني ساعدة وخلافة ابي بكر رضي الله عنه في رواية له عن ابن عدي.

(٦) البلاذري، احمد بن يحيى الكاتب بن داود (ت٢٧٩) انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار

ورياض الزركلي، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م) ج٤، ص١٣٢.

ويوصف بأنه اديب شاعرا وتوجد ابيات شعرية له في مدح الامام علي (عليه السلام) وفي نهايه شعره يسلم عليه.

مولده ووفاته

اجمع المؤرخون على تقدير وفاة ابن الاعثم الكوفي وكانت سنة (٣١٤هـ / ٩٢٦م)^(١).

اذ قورن هذا التاريخ بالفترة التي توقف فيها ابن الاعثم عن تدوين مصنفه الفتوح.

وهي فترة خلافة الخليفة المقتدر بالله العباسي (٣٢٠هـ / ٩٣٢م)^(٢)، ^(٣)، وهذا وبناءا عليه يوضح عدم صحة القول بوفاته في عام ٣١٤هـ / ٩٢٦م) واصح تاريخ هو (٣٢٠هـ / ٩٢٣م) او بعدها وهذا ماكداه ياقوت الحموي في قوله" له كتاب التاريخ الى اخر ايام المقتدر،....."^(٤). وكذلك ان المؤرخين يضمنوا في مصنفاتهم عن احداث سابقة لعهدهم او معاصرة لهم .

وكون ابن الاعثم كتب عن حياة المقتدر بالله فمن المفترض ان يكون موجودا خلال فترة حكمه حتى انتهاء خلافته في سنة (٣٢٠هـ / ٩٢٣م) اي ان تاريخ

(١) الزركلي، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الدمشقي (١٣٩٦هـ)، الاعلام، ط٥ (دار العلم للملايين ٢٠٠٢م)، ج١، ص٩٦؛ الجابي، بسام عبد الوهاب، معجم الاعلام، ط١ (دار الجفان والجابي للطباعة، ١٩٨٧م)، ج١، ص٥٧١.

(٢) المسعودي، ابوالحسن، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، التنبيه والأشراف، (مصر: ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م)، صص٣٢٦-٣٢٧.

(٣) ابن الاثير، ابو الحسن علي ابن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: ابو الفداء عبدالله القاضي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، ج٦، صص٤٣٨-٤٣٩.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ط١، (دار صادر، ١٩٩٣)، ج١، ص٤٢٩.

وفاة ابن الاعثم في هذا التاريخ او مابعده بقليل لانقطاع كتاباته الى هذا التاريخ.

اما مولده فيتعذر تحديده لعدم وجود مايعين على تحديده ولكن من المرجح ان ولادته كانت في القرن الثالث الهجري تقديرا.

مؤلفاته:

تحدثت المصادر الذين ذكروا ابن اعثم الكوفي وقد ورد فيها من كتب ابن اعثم الكوفي كتاب (الفتوح)^(١) وكتاب المؤلف^(٢) وكتاب التاريخ^(٣) وكتاب الشام^(٤)، ولكن تقتصر هذه المصادر عن اي معلومات تخص هذه المؤلفات وما محتوى سردها كتاريخ، باستثناء ما جاء به ياقوت الحموي عن كتابي الفتوح والتاريخ. اذ ذكر فيه " وكتاب الفتوح معروف، وذكر فيه الى ايام الرشيد وله كتاب التاريخ الى اخر المقتدر، ابتداء ايام المأمون ويوثق ان يكون دليلا على الاول، رايت الكتابين"^(٥).

اذ نجد كتاب الفتوح ينتهي بذكر خلع الخليفة العباسي المستعين بالله نفسه من الخلافة (٢٤٨-٢٥١هـ / ٨٦٢م-٨٦٥م)، حيث قال ابن اعثم " وصار الامر

(١) ياقوت، معجم الادباء، ج١، ص٤٢٩؛ المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الانوار (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ج١، صص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٤٢٩.

(٣) الصفي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠م)، ج٦، ص٢٥٦.

(٤) الطهراني، محمد محسن الشهير بـ (اغا بزرك الطهراني)، الذريعة الى تصانيف الشيعة (ايران: قم المقدسة، مؤسسة اسماعيليان للنشر)، ج٨، ص ١٢٠.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٢٩.

من بعده (اي المستنصر بالله) الى المستعين بالله ثم خلع نفسه بعد ثلاث وسنين وثمانية اشهر وعشرين يوما فهذا اخر الفتوح، والله اعلم واحكم^(١). وهذا خلاف ما ذكره ياقوت الحموي الذي رأى الكتاب وقال بأنه ينتهي الى ايام هارون الرشيد.

اما راي الباحثين وذهابهم الى مورد ابن اعثم الكوفي اخذوا منكاتبه التاريخ و اضافوا الى الفتوح المتداول وقد صرح ياقوت الحموي برؤيته له ، بانه تبدأمخلافة المأمون وتنتهي في خلافة المقتدر^(٢).

(١) ابن اعثم الكوفي، ابي محمد احمد(ت ٣١٤هـ)الفتوح،تحقيق: علي شيري، ط١ (بيروت:

دار الاضواء، ١٩٩١م)، ج٨، ص٣٥٤.

(٢) ابن اعثم ، الفتوح، ج١، ص٣٤.

المبحث الثاني

عصر ابن اعثم الكوفي (البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية) ومنهجه البيئة السياسية:

لاغرو في فرض فترة زمنية عاشها ابن اعثم الكوفي هي الفترة العباسية التي قد تكون من بعد منتصف القرن الثالث الهجري الى بدايات القرن الرابع الهجري ، على فرض وفاته ٣١٤ هـ وفي هذه الفترة عاصر الخلفاء العباسيين المنتصر محمد بن جعفر المتوكل^(١)، والمستعين احمد بن محمد المعتصم^(٢)، والمعتز محمد بن جعفر المتوكل^(٣)، والمهتدي محمد بن هارون الواثق^(٤)، والمعتمد احمد بن جعفر المتوكل^(٥)، والمكتفي^(٦)، والمقتدر^(٧)، والقاهر^(٨).

(١) المسعودي، ابوالحسن، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م)، التنبيه والأشراف، (مصر: ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م)، ص ٣١٤؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (٥٧١ هـ / ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيرازي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م)، ج ٢، ص ٢٨١.

(٢) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٣١٦؛ ابن حبان، ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد (٣٥٤ هـ / ٩٦٥م)
،الثقات، ط١ (حيدرأباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م)، ج ٢، ص ٣٣١.

(٣) البغدادي، محمد بن حبيب (— ٢٤٥ هـ)، كتاب المحبر ورقرة الاصل الخطية، ص ٤٤ المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٣١٨.

(٤) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٣١٨-٣١٩؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس وتراجم، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠١م / ١٩٨٠م) ج ٧، ص ١٢٨.

(٥) المسعودي، التنبيه والأشراف؛ الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ١٨٨.

(٦) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٣١٨.

(٧) الذهبي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء ، تحقيقك شعيب الارنؤط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ)، ج ١٥، ص ٤٣.

(٨) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٣٣٦.

ولاشك ان البيئة السياسية للقرن الثالث الهجري امتداد للتاريخ السياسي السابق لهذه الفترة وكان لشخصيات فارس اكثر من محاولة للسيطرة على دفة الحكم والسياسة للدولة العباسية من خلال احتلالهم المناصب العليا الادارية والعسكرية من وزارة ابي سلمة الخلال^(١)، وقيادة ابي مسلم الخراساني^(٢)، وماحصل في وزارة البرامكة، ووزارة بني سهل وكان على الاتجاه الشعبي^(٣).

ولكن هذه المحاولات لم تلق نجاحا وتبددت امام يافطة الخلفاء العباسيين وحزمهم غير ان محاولات اخرى استخدمت لمواجهة والخروج على نظام الدولة ، كبابك الخرمي الذي ظل شاهرا سلاحه عشرين سنة يبعث الفساد في الدولة، ولعل هذا من جملة الصراع العربي الفارسي المتمثل بالاميين والمامون ومانتج عنه. مما حدى بالمعتصم بالله، ان يبحث عن عنصر جديد يتميز بالقوة والجدة ليواجه به اعداء الدولة في تلك الفترة باستقدام عدو خارجي لضرب العدو الداخلي وهذا وجدته في رقيق الترك فكانت فترة التسلط التركي. وقد ضاقت بهم بغداد على نحو اضطر فيه المعتصم الى بناء مدينة سامراء كمركز لهم^(٤).

وهذا التحول خطير في تاريخ الدولة العباسية اذ تحققت به مرحلة ضمور هيبة الدولة العباسية.

(١) الزركلي، الاعلام، ج٢، صص ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٢) ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م) ج٦، ص ٢٧٧.

(٣) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، (بيروت: مؤسسة النعمان، ١٩٩٠)، ص ٣٦١.

(٤) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، (مؤسسة الاعلمي، د.ت)، ج٧، ص ٢٣٣.

فتمكن الاتراك من السيطرة على المفاصل المهمة فيها من الشؤون الادارية والعسكرية وخصوصا بعد تولي أشناس، مصر وجعل من حقوقه ان يولي من قبله الولاة ويدعي له في المنابر^(١).

والكلاب عن ذلك كثير ومطول بل واصبح دورهم اقوى واكبر وقد ذكرت تلك الاحداث بعجالة والغاية من ذلك لتوضيح ماكان يدور في العصر الذي عاش فيه ابن اعثم الكوفي لان الجانب السياسي هو الاساس في جميع الاحداث.

البيئة الاجتماعية:

تطرقنا للحالة الياسية وما نتيجتها الالالة الاجتماعيةالتي هي بالنتيجة المجتمع الذي يكون لامحالة منه.

نستطيع القول ساءت الحالة الاجتماعية في ضل الخلفاء العباسين الذين تطرقنا لهم سابقا بسبب الصراعات التي كانت وانتقال الخلافة وتنوع العنصر العسكري واستغلال النظم الاقتصادية كالاقطاع والخراج والنظم الادارية اشع استغلال بسبب تطور المواردالتي كانت رمز الشبهة ابهارا للطبقات الاجتماعية لكنه تتوسط بين الاموال الثقيلة والقياداتالذين اصبحوا يلونونبالمناصب الادارية كالوزارة والمناصب العسكرية هي العامل الرئيس في طبقة المجتمع.

اذ انتشار الطبقة بين الثري والفقير البائس جعلت من البيئة مشحونة ومن الطبيعي ان يستشريالفساد الاداري، ومن هذا يعزو بعض المعاصرين حدوث

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٢٣٣.

حركات سياسية اربكت الخلافة والدولة مثل حركة الزنج ^(١) ، وشغلت الدولة اربعة وعشرين سنة ^(٢) وبلغت ضحاياها قرابه المليون ونصف انسان ^(٣). وخلال هذه الاحداث كان ابن الاعثم الكوفي متواجد وعلى سبيل الفرض في الكوفة، كما فرضنا في بداية العصر.

واكيد ان ابن الاعثم كان متأثرا بهذه البيئة بسبب ماورده في الفتوح حتى نهاية عصر هارون الرشيد، وكان له كتاب اخر باسم (التاريخ) ^(٤) وهذا الى ايام المقتدر بالله ويوشك ان يكون دليلا على الاول.

نستشف من العرض السابق توجد رمزية ^(٥)، في كتابة ابن اعثم الكوفي عن تلك البيئة ناهيك عن الجدل الذي حصل عن ابن اعثم في اسمه ونسبه ودينه ومذهبه ولكن اصبح موضع يؤخذ منه في اغلب التفاصيل الدقيقة عن الفتوحات في زمن الدولة الاسلامية ، وما يذكره عن الخلفاء الراشدين وكثير من الموارد التي اتحفتنا بالمعلومات ومن الكتاب المعاصرين من ينعتة بالمشكوك في امره، ويأخذ منه في اغلب رواياته وكتابات كالمصري ^(٦)، كمثال على ذلك.

(١) الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، الاصول من الكافي، تحقيق: علي اكبر غفاري، ط ٣، (طهران: مطبعة حيدري - منشورات دار الكتب الاسلامية، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م)، ص ٢٤٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١١، ص ٣٢٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ١١، ص ٣٢٦.

(٤) العمري، محاولة نقد الرواية، ج ١، ص ٢٣.

(٥) المصري، جميل عبدالله محمد ، انتشار الاسلام الفتوحات الاسلامية زمن الراشدين، ط ١، المدينة المنورة : الجامعة الاسلامية، ١٤٠٩هـ)، ج ١، ص ٩٢.

(٦) المذكور سابقا ضمن المصادر

ومن هذه الفسحة العلمية يتحتم علينا الدقة في نقل المعلومة واستدراكها بسبب الجدل الذي سبب ارباك الرواية التاريخية عند ابن اعثم في بداية كتابه الفتوح.

البيئة الفكرية:

لاشك ان القرن الاول الهجري حافل في الفتوح الاسلامية ، والقرن الثاني نزعة الى ادامة الحياة في ارجاء الدولة وبذرة للحركة الفكرية والتدين، ونستدل من هذا القرن الثالث كان نهضة في المعرفة والنضج العلمي، تتسم بظهور العلماء والمصنفين في مختلف العلوم من لغة واداب^(١)، وتاريخ^(٢)، وكلام^(٣).

اذ كانت بغداد حاضرة الخلافة وسرة الدنيا^(٤)، قصدها العلماء والمفكرين لتباين لتباين المستوى العلمي وتحسين المستوى الاقتصادي احيانا ومن ثم البصرة والكوفة من اهم مراكز المعرفة كانت في العراق.

وكان الخلفاء يرفعون راية المعرفة وتابعهم الوزراء والامراء والاثرياء على رعاية العلماء في مجالسهم وتوظيفهم في رعاية ابنائهم ، ولعل المأمون من اكثر الخلفاء من بني العباس اهتماما بالحركة العلمية والنهضة الكلامية وقد احتضن بالاضافة الى علماء السلميين، علماء اليهود والنصارى والمجوس^(٥).

(١) الحسيني، اسحاق موسى، ابن قتيبة، ترجمة: هاشم ياغي، ط١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٠م)، ص ٩١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ١١، ص ٣٢٦.

(٣) الاصبهاني، عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق (ت ٤٧٠هـ)، المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من احوال الرجال للمعرفة، تحقيق: عامر حسن صبري، (البحرين: وزارة الشؤون الاسلامية)، ص ٢٥.

(٤) الزواوي، محمد السعيد ابو يعلى (ت ١٣٧٣هـ)، تاريخ الزواوة، تعليق: سهيل الخالدي، ط١ (ط١ منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٥)، ج ١، ص ٧٠.

(٥) الزواوي، ، تاريخ الزواوية، ج ١، ص ٧٠.

وكانت في تلك الفترة محنة خلق القرن ومارافقها من اضطهاد للناس ومحنة للفقهاء، الا ان تسلفت سلسلة الفقهاء والعلماء والمؤرخون الى زمن الجاحظ(٢٥٥هـ)، وابن قتيبة (٢٧٦هـ)، والبلاذري (٢٧٩هـ)، والدينوري (٢٨٢هـ)، الى ان وصلنا الى الطبري (٣١٠هـ)، ومن ثم وصل الى ابن اعثم الكوفي (٣١٤هـ)، فكان هؤلاء رواد التاريخ زمن ابن اعثم الكوفي ومن عظمة اسماءهم وما خلفوه من نتائج علمية وو نستنتج مدى التنافس الذي كان حاصل في تلك الفترة من خلال الكتابات ونقل الروايات ، وعلى الرغم من ان القرن الثالث كان يحمل تناقضات في الكتابة وباقي العلوم ووجود الجدل في العلوم الاخرى ، ومن خلال ذلك نجد ابن ابن اعثم تفرد في كتابه الفتوح بشكل وافي وعند البحث في كتاب الفتوح نجد بدايته كانت مع السقيفة بني ساعد، زمن الخليفة ابي بكر الصديق ، وهذه المسحة العلمية التي كانت زمن ابن الاعثم والتي توجه لها كثير من العلماء والمؤرخون واصحاب والمؤرخون واصحاب الكتابات التي الى الان تعتبر من اهل الوثيقة^(١)، كانت ارضية لابن الاعثم في كتاباته واجتهاده في التاريخ وتناوله.

ومن هذا الاستعراض للبيئة التي عاش فيها ان الاعثم الكوفي نستطيع ان ننطلق فيما بعد الى كتابه الفتوح وماورد فيه الذي هو صميم الموضوع ن لكن اتقدم كان مسحة سياسية واجتماعية وفكرية ليتسنى لنا معرفة الظروف المحيطة بالكتاب او المؤلف لكتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي.

(١) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، ط٢) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ص ٤٠.

وكنيت ارجب الى التطرق من خلال ذكر حياته الا انه كان شاعرا^(١) لكن نطاق البحث والدراسة مختصرة على موارد في السيرة من خلال كتاب الفتوح.

منهج ابن اعثم الكوفي في كتابه الفتوح

اولا: مصادره.

عندما اطلعت على كتاب الفتوح لابن اعثم والتركيز في الروايات التي اوردها وكيفية معالجته لها تاريخيا ، وجدت ان المحقق علي شيري عندما يذكر شيء عن ابن اعثم يقول ب(قال) اي الناطق المحقق علي شيري بلسان ابن اعثم وفيما بعد تتبعت المصادر في كتاب الفتوح فذكر الخلافة مع العهد الامويومن خلال التركيز على موضوع البحث وهو السيرة فوجدت الاحاديث التي كانت في طيات كلام المحقق نقلا عن ابن اعثم . ونستطيع تصنيف مصادره كالاتي للتوضيح:

- الروايات الشفوية :

لاغرو في نقل المحدثين في حال نقلهم الرواية التي تكون بواسطة السماع ان يشيروا اليها (سمعت) او (حدثني)، اما اذا كان النقل بواسطة القراءة نشير اليها بتعبير (اخبرنا)، وهذا ماورد عند ابن اعثم الكوفي . وعلى سبيل المثال عند كتابته عن الخلافة الاموية ، وكيف استخدم تعبير (حدثني)،تمثل ذلك في قوله : (حدثني ابراهيم ابن عبدالله بن العلاء القرشي

(١) ابو الفداء ، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، البداية والنهاية ، ط١، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ٣٤.

المدني حدث عن ابيه عن الزهري كما حدث عنه ابنه ابو عبد الملك احمد ابن ابراهيم^(١).

ويذكر ايضا في قولهاهل العلم كما حدثني به غير واحد ممن جمع هذه العلوم ان عبيد الله بن الحر كان رجلا من سادات اهل الكوفة وبها ولد وبها نشأ وهو عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد بن مالك بن كعب بن عوف كان مقيما في الكوفة في خلافة عثمان بن عفان^(٢).

ثانيا: اسانيده:

يظهر ابن اعثم الكوفي من خلال كتاباته في مؤلفاته متأثرا بمنهج اليعقوبي من خلال استخدامه الكتابة المرسلة في رواياته في مصنفه الفتوح الا ان ذلك لم يكن بشكل مطلق فقد لوحظ على بعض رواياته اثر الاطار الاسلامي وذلك حال الكثيرين من الاخباريين الذين لم يكن باستطاعتهم تجاهل الاسناد مع انهم استعملوه بحرية وبيعض التساهل .

والارجح في ترك ابن اعثم اسانيد رواياته كونها نقلت من مصنفات معلومة المؤلف وذلك في مستقر السند ولا جدوى في تكرارها ومكتفيا ببداية رواياته بلفظ (قال).

(١) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٦، ص ١٦١؛ الاصفهاني، محمد بن عبد الله بن احمد الاصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، (قم : منشورات مطبعة قم، ١٤٢٨هـ)، ج٥، ص ١٧٨.

(٢) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٦، ص ١٦١.

وفي كتابه عندما كان يستشهد بحديث للنبي (ص)، يقول ورد عن النبي صل الله عليه واله وسلم، وهنا موضع ثقة في نقل الخبر من حق ماكان قبله مثلاً، (اتاني جبريل فخبّرني وقال....الخ)^(١).
لم يكن هو النبي(ص) ولكن ينقله بصيغة الناقل عن من نقل عن النبي(صل الله عليه وال وسلم)^(٢).

وهذا الاستطراء بسيط كان عن الاسانيد التي حمل عنها رواياته ابن اعثم ليوضح لنا لماذا لم نذكر كيف ورد والحديث وكيف نقوم باسناده ودراسته.

ثالثاً: التسلسل التاريخي عند ابن اعثم الكوفي:

ليس من شك في اهتمام ابن اعثم بالتسلسل التاريخي بتقديمه تاريخ متصل لاحداث الفترات التاريخية في مصنفه الفتوح. ولم يخرج عن منهجه وابتعد عن الطريقة الحولية في تنظيم موضوعاته وهي طريقة مطولة احيانا ونتعدى حقب زمنية متعددة ، لتوالي احداث تلك الحادثة في السنة ووقوعها،
واتبع ابن اعثم طريقة التاريخ الموضوعي وقوامها الشخصيات او المدن او الاحداث في تنظيم موضوعاته عن الخلافة الاموية^(٣)، مثلاً خروج معاوية من الشام يريد العراق^(٤).

(١) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ٣٥٠.

(٢) الكاتب، نجم الدين ، مطارحات فلسفية، تحقيق: الشيخ محمد حسن ال ياسين،(بيروت: دار صادر ، ١٩٨٤م)، ص ٣٠.

(٣) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ١٥٣.

(٤) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ١٨٢.

وقد تناول ابن الاعثم الاسلوب القصصي في عرض مادته، مظهرًا براعة فائقة في عرضه للأحداث استخدم الاسلوب الأدبي امام القاريء مع ذكر الوقائع والفعاليات والأحداث.

فهو بناءً على ذلك احد الاخباريين الذين لديهم القدرة على تنظيم الاخبار وسردها بأسلوب قصصي مترابط ومتسلسل مسندًا كل قول الى صاحبه في الحادثة.

وقد استخدم ابن اعثم عبارات مختلفة للدلالة عن بداية الحدث مثلًا كقوله: ابتداء اخبار الحسين ابن علي عليهما السلام^(١)، كما استخدم بعض العبارات للدلالة على خاتمة الحدث والتي تعتمد على طبيعة الموضوع وتداعياته، حيث عبر عن انقضاء حديثه عن الحسين بقوله: "ثم مقتل الحسين ابن علي عليهما السلام^(٢)، وقال عند فراغة من عين الورد^(٣)، وما كان بها من حروب^(٤) .

ثم استعرض تعابيره في الاستخدام للبداية والنهاية، نستطيع ان نثمن هذه الدقة فب النهاية والبداية قياسًا على ماكان في عصره

(١) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، صص ١٠٩-١٨٣-١٦٢-٢٧٩-ج٦، صص ٤٧-٨٧-١٣٩-١٦١-١٧٥-١٨٤-٢٥٣-ج٧، صص ١١٤-٢٥٣-ج٨، صص ١١٠-١٤٦-١٥٣.

(٢) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص ٢٥١.

(٣) اليعقوبي، احمد بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٢، ص ٢٥٧.

(٤) ابن اعثم، الفتوح، ج٦، ص ١٧٧.

المبحث الثالث

تنظيم كتاب الفتوح واساليب عرضه

اسم الكتاب:-

يُنَفَّق من قبل المؤرخون ، على أسم الكتاب الذي ينسب الى ابن اعثم الكوفي (بكتاب الفتوح) ، وقد اشتهر بإقترانه بلفظ "كتاب" على سبيل الاضافة ، فهو في ما يذكر الاستاذ علي شيري محقق الكتاب ، هذا ما ورد في النسخة المطبوعة من الترجمة الفارسية لأحمد بن محمد المستوفي^(١)، وكان الجدل في حاشية الجزء الاول من كتاب الفتوح عن اسم المؤلف ، وهل هو كان أحمد أو محمد أو لوط ، وكان ذكره جاء من النسخة الأصلية من الترجمة ، والذي يسهم في موضوعنا ، هو أصل أن ابن اعثم كان قد بدأ في كتابه في سقيفة في ساعدة^(٢)

أو تطرق الى موضوعات اخرى كانت تخص السيرة النبوية ؟ بعد أن أستدرجت في قراءة الاجزاء بدءاً من الجزء الاول ، والى الجزء الثامن ، وجدت أنه عندما بدأ بسقيفة بني ساعدة ، يوحى قبلاً كانت له بدايات في الكلام^(٣)، ولكن أضحت ساقطة في الكتاب على انها غير موجودة ، وهذا يدل على أن ابن اعثم تناول كثير من السيرة لكن لم تحصل عليها ، لذلك سوف نتطرق الى فهارس الأحاديث ونأخذ الأحاديث التي تخص السيرة النبوية ، وإن كان القليل منها ، لكن ما يستوفي الدراسة التي نحن بصددتها.

(١) ابن اعثم الكوفي ، ابي محمد احمد (ت ٣١٤هـ)، كتاب الفتوح ، تح: علي مشيري ، ط ١ ، (بدون : دار الاضواء ، ١٩٩١) ، ج ١ ، ص ٥ ، في الحاشية .

(٢) المصدر نفسه ، (في المقدمة).

(٣) المصري ، انتشار الاسلام ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

وصف الكتاب

عندما نصف أي كتاب ، نحتاج الى الاطلاع على ما جاء وكيف قُسم ، في اجزائه ، لكن كتاب الفتوح الذي ينسب الى ابن اعثم الكوفي بإتفاق المؤرخين ، يتكون من (ثمانية أجزاء) ، بالنسبة للطبعة الاولى في عام (١٩٩١) ، والتي طبعت في دار الأضواء ، بعد ما حققها الاستاذ علي شيري ، وكان هامش النسخة يدل على العمل بها بإتقان وتقصي للمعلومة ، ويذهب على أن بداية الكتاب نبدأ في سقيفة بنى ساعدة وأخبارها وتنتقل بأيام الخلفاء والفتوح الى هارون الرشيد ، وحسب ما ذكرت سابقاً انها نسخة المستوفي التي أخذ عنها (شيري) وكانت باللغة الايرانية ، ويقسم الكتاب اعد ثمانية أجزاء وهي:

الجزء الاول :

يبدأ الجزء الاول من (ذكر ابتداء سقيفة بنى ساعدة وما كان من المهاجرين والانصار) . وهذا من من صفحة ستة وينتهي في صفحة مئتان ستة وستون في (ذكر توجه عمرو بن العاص نحو الفوية وفتحها) وتناول فيها حروب الردة ، وتوجه القادة ، والمسالك التي سلكها المسلمون بعد وفاة النبي (صل الله عليه واله وسلم)، وتطرق اليها بالتفاصيل وكان مميزاً لها من الغث والسمين في الحديث والتفسير ونقل الرواية .

الجزء الثاني :

يبدأ هذا الجزء من صفحة مئتان وتسعة وستون في (ذكر فتح البربر وما كان من اخبارهم) وينتهي في (ذكر ذواق الأهل الشام من حرب اصحاب علي رضي الله عنه) كما يقول في التقسيم . في صفحة خمسمائة وستة وستون . وفيه ذكر الحروب التي دارت بين الامام علي (عليه السلام) ومعوية وحروب

صفين ، وخروج معاوية ، وقضية الراهب ، العين وغيرها فمن المواضيع المهمة في (حفر التاريخ) .

الجزء الثالث :

يبدأ الكتاب من صفحة رقم خمسة وعنوان الصفحة (ذكر وقعة الماء وهي اول وقعة صفين) وينتهي بواقعة وذكر صنعة الهرير ، وذكر رفع المصاحف ، وأمتناع القوم من القتال ، ومن ثم الى أن يصل (ذكر ما كان بعد ذلك بينهم في المكانية) وكان هذا في صفحة مائة وواحد وتسعون .

الجزء الرابع :

كان صفحة مائة وسبعة وتسعون وفيها (ذكر الحكمين) الى (ذكر الكتاب والعهد الى يزيد) في صفحة ثلثمائة وسبعة وأربعون .

الجزء الخامس :

تناول فيه في صفحة تسعة كانه (ذكر كلام نريد بن معاوية) الى صفحة مائة وتسعة وستون كان (ثم رجعا الى اخبار الشام) وهذا الجزء يتناول احداث كثيرة مرت فيها الدولة الأموية ونوعيات الانشقاق في الرؤي بين المجتمع الكوفي والسلطة .

الجزء السادس :

محتوى هذا الجزء كان (ابتداء اخبار الأزارمة) في صفحة مائة وسبعة وسبعون ، ويتناول أخبار الامويين في التفصيل في الشام والعراق وباقي الجبهات التي تعرضت لها الدولة الاموية ، وينتهي في صفحة ثلثمائة واربعة وستون في (ذكر ولاية بشر بن مروان العراقيين) .

الجزء السابع :

بدأ هذا الجزء في صفحة خمسة ، (في ذكر كلام عبد الملك بن مروان

على المنبر ، وإجابة الحجاج إياه ، وتوليه الحجاج العراقيين جميعاً) ويتدرج بالمفردات ما بين الحجاج والأزارقة وخراسان والمهلب وشيبب الى أن ينهي الجزء في صفحة مئتان وثلاثة عشر في (ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز) .

الجزء الثامن :

يبدأ هذا الجزء في (خلافة مروان بن عبد الملك) ويتناول فيه الفتن في البصرة والكوفة وخراسان ويذكر فيه حبس الكميث رحمة الله عليه ، وأخباره ويتناول آل البيت منهم خبر زيد بن علي ومقتله وينهي بذكر (خبر يحيى بن زيد بن علي بعد ذلك وهرب من يوسف بن عمر الى جوزجان ومقتله بها رضي الله عنه) في صفحة مئتان وخمسة وتسعون .

ما كان في الاستعراض الكامل لأجزاء ، كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي في كيف بدأ الجزء وبماذا أنتهى والبداية والنهاية الى الجزء هي التي تحدد الوقائع التي مرت من تاريخ البداية الى تاريخ النهاية ، والذي -اضطرنا - لإيقاع هذا الاسلوب ؛ بسبب عدم وجود مواد لابن أعثم والدليل في النسخة التي أقمنا عليها دراسة التي حققها الاستاذ علي والتي طبعت في بيروت بدار الاضواء ، كانت كل الصفحات والاجزاء تبدأ بنقل الاحداث بكلمة (قال) وهنا عدم الافصاح عن الأشخاص الذين أخذ عنهم ، ناهيك على أنه توجد فيه معلومات تاريخية وردت لم يتطرق له من كان في عصره أو بعده أو قبله امثال الطبري . تعتبر نسخة ابن اعثم في كتابه الفتوح من النواذر التي وفقت عليها أخبار مصادر التاريخ في تلك الفترة ، حيث انها فترة الكتابة التي كانت في القرن الثالث ومات بداية الرابع الهجري ، وهذان القرنان الثالث والرابع الهجري ، كان روح تطور الكتابة والمؤرخين حيث كان الاهتمام بالتدوين شيء خاص من تنافس نقل الاحداث ، ونجد منهم (ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ) ، (الدينوري ٢٨٢

هـ) (والطبري ت ٣١٠ هـ) ومن ثم (ابن اعثم ت ٣١٤ هـ) ، والآن هذه المصادر من أهم المصادر التي يستند عليها التاريخ الاسلامي في فترة التدوين ، لذلك تعطي إهميته بالغة لما تناوله ابن اعثم وكونه ورد في كتابه ما لم يرد عند الطبري احياناً وباقي المؤلفين .

-موارده في احاديث السيرة-

نظراً ، لما ورد في أجزاء كتاب ابن اعثم الكوفي ، (كتاب الفتوح) ، من احاديثه كثيرة ، وقد تم احصاؤها عن طريق فهرس الحديث وكان العدد (ثلاثة او أربعة وستون حديث) ، في أبواب كثيرة ، وردت لكن كون الدراسة مختصة بالموارد في السيرة النبوية ، سوف اتناول أهم هذه الاحاديث ، والتي فيها شرعية السيرة النبوية .

يوجد بعض الاحاديث تناقلها ابو بكر ، وعمر بن الخطاب والباقيين على انها عن الرسول (صل الله عليه وسلم) . وهنا سوف نتناولها دعماً وتحقيقاً . في الجزء الاول ، في الصفحة مئتان وسبعة وعشرون ، ورد حديث قاله عمر بن الخطاب الى جيش المسلمين في بلاد الروم وأنهم حصلوا من الغنائم الذهب والديباج^(١) ، وقد لبسوه ، فنهاهم عنه وكان الحديث (ان الذهب والحري حرام على ذكور أمتي)^(٢) .

-وتوجد- أخبار على أن الرسول الكريم محمد (صل الله عليه وسلم) لم يحبذ الذهب وظهر حديث له (ان رسول الله (صل الله عليه وسلم) كان يكره الذهب)^(٣) . ورد ذكره في فتوح ابن أعثم .

(١) ابن اعثم ، الفتوح ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٢) ابن اعثم الكوفي، الفتوح ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٣) ابن اعثم ، الفتوح ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

وفي مواضع أخرى ، حثت السيرة النبوية ، لا تشد في عزيمة من كان مبغضاً ، أو شديد الخصومة ، وخدوت الشريعة في الخصام في كل مواضعه ، وشدت من أومن كان له الهمة في اصلاح ذات البين ، من قبل من كان له دين له معاني الدين الاسلامي وقد ورد ذلك (ان صلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصيام)^(١) أما مناسبة الحديث الذي ورد : { إن الله تعالى يفتح علينا ويظهرنا على جميع الاديان } ، عندما أرسى المسلمون مواكبهم في جزيرة سقلية وكانت مراسلات بينهم وبين الملك ، وكانت منازل كلام كيف أستجاب هرقل فيما بعد وقرّ للإسلام والرسول (٩) .

توضيح عاير للحديث الذي ورد عن السيرة .

وفي باب-ذكر اختلاف المسلمين بعد قتل عمر بن الخطاب وعقد الخلافة لعثمان بن عفان-ورد لنا حديث يستحق التنويه عنه-بعد ما كان-الجدال بين الزبير ، وعبد الرحمن ، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب A { الكلم تعلمون أننا أهل بيت النبوة وسبب نجاة الأمة من المشقة والبلاء }^(٢) . اورده الإمام عن الرسول وباهل به من كان يتلو خطاباً معه ويتازله بذكرهم انهم آل بيت النبوه .

-وفي ذكر-حرب الجمل وتقدم عائشة فيمن معها من الناس ، حتى اذا بلغته الى ماء الحوآب وذلك وقت السحر نبحت الكلاب ، فسمعت عائشة رجلاً من اهل عسكرها يقول ما هذا فقال ما الجواب .

(١) ابن اعثم الكوفي، الفتوح ، ج ٤ ، ص ٢٨٠.

(٢) ابن اعثم الكوفي، الفتوح ، ج ٢ ، ص ٣٦٣.

هذا قالت عائشة ردوني ! فقل لماذا قالت سمعت رسول الله (ﷺ) وهو يقول : { كأني بأمرأة من نسائي تنبح عليها كلاب الحوآب ، فأنقي الله أن تكوني أنت يا حميراء }^(١).

وفي مناسبة الفتوح في زمن أبي بكر ، أرسل رسالة للجند يحثهم فيها على عدم الفساد في الأراضي المفتوحة فذكر لنا الحديث الذي كانت مناسبة المتقدمة ونعتهم بحزب الشيطان إذا تصرفوا شيئاً خارج حدود الإسلام وكان الحديث (والله مالي مما أفاد الله عليكم من هذه الغنائم مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم)^(٢)، وتواتر الحديث يفهم وكيف المسلمين لا يردوا عليهم الغنائم ، وكيفية خروج الخمس وأبد الحديث عبادة.

وصدر الحديث في تنظيم مراعاة الغنائم للمسلمين وغلية تولي عناية الغنائم وتقسيمها وكيفيه ايرادها الى بيت المال -وحيثيات المسلمين في عدم الولوج في تلك القضايا التي لها باع شرعي ثقل .

وجاء حديث آخر يتصريح من أبن أعثم وهو { الولد للفرش وللعاھر الحجر }^(٣) . ومناسبة صدور الحديث هذا مجادلة ابن ابن زياد في حيال رده على النبي مذكر النبي هذا الحديث وعليه أئخذ معاويه ابن زياد أخيه ^(٤) .

وهذه الأحاديث التي وردت عن الرسول (ﷺ) في كتاب ابن اعثم وقد ذكرها من خلال الشرع أو الرد التاريخي ، وذكرناها لبيان دقة ابتن اعثم في نقل

(١) ابن اعثم ، الفتوح ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ .

(٢) ابن اعثم ، الفتوح ، ج ٣ ، ص ٤٥٧ .

(٣) ابن اعثم ، الفتوح ، ج ٥ ، ص ١٤٩ .

(٤) الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، تاريخ الرسل الملوك ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٦ . { القاهرة : دار امعارف ، ١٩٧٢) ج ٦ ، ص ٣٩١ .

معلومات وعدم ذمته في مواضع أخرى ، لكن عن الأمم الاغلب ، مؤرخ ثقة ، وقد أخذ منه الكثير وأستند عليه ، حسب ما ظنه البعض في تسلسل الاحداث التاريخي والتركيز الى الاحداث المتنافسة زوعدن الفيض فيها .

وقد صرح ابن اعثم ، بنقله عن الشعبي (ت ١٠٤ هـ/ ٧٢٢ م) ، . وهو من اهل الكوفة اماما حافظاً ، وقد ولي قضاء الكوفة في خلافة عمر بن العزيز وله كتاب المغازي) ، وأعتمد عليه ابن اعثم ومن الأخبار وبين الذين عنهم في روايته عن فترة الخلافة الاموية المدائني^(١) (١٣٥-٢٢٥ هـ/ ٧٥٢-٨٣٩ م) ، وهو صاحب المكانة العالية بين الاخباريين وتجلّى ذلك في اقوال العلماء فيه واجلالهم له .

وكما أسلفنا عن كلمة (حدثي) ، وهو تعبير يدل على المشاقهة . وليس الأخذ كتاب ، وثمة أسماء أخرى اخذ عنها ابن اعثم الكوفي رواياته ، مثل قال خزيمة الاسدي^(٢) ، وذكر عن عيسى بن دأب^(٣) .

تستطيع أن تستشف من عصر ابن اعثم الذي أجبره على الكتابة بهذه الصورة ومورده كانت بصور متعددة^(٤) ، وما ورد عن السيرة كانه بمثابة الحديث لا أكثر . وعصره كان يتسم بأمرين هما :

التراجع السياسي والأرتقاء الثقافي .

^(١) الاخباري الكبير ، ابو الحسن علي بن محمد عبد الله بن ابي سيق المدائني ، صاحب المكافاة العالية بين الاخبار بين . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ . معجم .

^(٢) ابن اعثم ، الفتوح ، ج ٥ ، ص ٢٢٢ .

^(٣) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج ٧ ، ص ١٧١ .

^(٤) اليعقوبي ، احمد بن اسحاق (ت ٢٩٢ هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، ط ١ ، { قم : مطبعة منشورات التراث ، ١٤٣١ هـ } .

-هنا-أتم البحث او أتمت الدراسة نوعاً ما ، عما أورده ابن اعثم من السيرة ،
وغيرها .

-الخلاصة-

تناولت الدراسة في عنوانها (موارد ابن اعثم الكوفي في كتابه الفتوح عن
السيرة النبوية) .

اذ يعد ابن اعثم بين اعلام القرن الرابع الهجري، ثاني اثنين في التأليف،
فقد أقتفى-في مواضيع اصيلة- أثر شيوخ عصره من المصنفين الكبار على
تنوع معارفهم و مؤلفاتهم، وتسنى له ان يزاحمهم في الصنعة، امثال الطبري،
والدينوري، وابن قتيبة وغيرهم.

ومن هنا أنبثقت أهمية دراسة هذه الشخصية التي شغلت العامة والخاصة
في الغرب والمشرق، ولعل من أهم ما خلص اليه البحث في دراسة كتاب
(الفتوح) والذي يعد من أهم كتب ابن اعثم مكانة فقدتوص البحث الى ما يأتي :
١. بينا كيف ابدى ابن اعثم الكوفي اهتماماً واضحاً بتقديم تاريخ تتصل
والاحداث الفترات التاريخية في مصنفه الفتوح ، لا سيما بعض
الاستشهادات عن الفترة الاموية ولكن التركيز كانه على الاحاديث التي
وردت في كتاب الفتوح عن السيرة النبوية (موضوع الدراسة) . ولم يخرج
عن منهجه هذا الا فيما تدر ، وأتبعه عن الطريقة الحوانيه في تنظيم
موضوعاته .

٢. تم عرض البيئة التي عاش بها ابن اعثم وأستخلصها السياسية منها
والفكرية والاجتماعية وكيف استمر بالكتابه ابن اعثم في كتابه رغم ما
حدث آنذاك من احداث .

٣. توصلنا الى نتيجة عدو ورود الاسانيه الواضحة والمصادر الظاهرة مثل ما

كان في الطبري يأخذ عادةً من عمرو ابن عبيد ، ولكن من كلماته مثل (حدثني) ، (وقال) ، (واخبرنا) ، وعلى هذا الأساس بينا قاعدة لمصادره وأسانيده أمثال ما كان يأخذ من الشعبي وغيره .

٤. على الرغم من تركيز الدراسة على عصر الرسالة والسيرة للرسول (صل الله عليه واله وسلم) لكن كان بداية كتاب الفتوح يبدأ من خلافة ابو بكر الصديق، ويتناول فترة الخلافة ، والعصر العباسي الى المقتدر حسب ما يذكر ياقوت في معجمه ، لكن لم تشغفنا الاحاديث من الفهرسة وثم الأخذ ينظر الاعتبار كل حديث ومناسبتة ولو شي بسيط .

وفي نهاية الدراسة أقول ما تم تقديمه قليل بحق موضوع يعتبر ثقة نوعاً ما عند المؤرخين ، وما تناولت منه كان الشيء القليل .

إذ كشفت الدراسة - إجمالاً - عن تناول ابن اعثم لمفرداته واستعمال ادواته على نحو امتاز بالدقة والشمولية ما يتيح للقول ان (كتاب الفتوح) يعتبر الاكثر تركيز عن الفتوح والتفاصيل الدقيقة التي قد غابت من الطبري احياناً لاسيما كانوا في نفس العصر، لذلك لا يزال يتصدر المصادر المهمة في معرض المعرفة .

قائمة المصادر الاصلية

١. **ابن الاثير**، ابن الاثير، ابو الحسن علي ابن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني(ت ٦٣٠هـ)،الكامل في التاريخ ، تحقيق: ابو الفداء عبدالله القاضي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).

٢. **الاصبهاني**، الاصبهاني، عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق(ت ٤٧٠هـ)، المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من احوال الرجال للمعرفة، تحقيق: عامر حسن صبري، (البحرين: وزارة الشؤون

الاسلامية).

٣. **الاصفهانى**، محمد بن عبد الله بن احمد اصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، (قم : منشورات مطبعة قم، ١٤٢٨هـ).
٤. **ابن أعثم الكوفي**، ابي محمد احمد (ت ٣١٤هـ) 'الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط١ (بيروت: دار الاضواء، ١٩٩١م).
٥. **ابن حبان**، ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، الثقات، ط١ (حيدرآباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
٦. **البلاذري**، احمد بن يحيى الكاتب بن داود (ت ٢٧٩هـ) انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م).
٧. **البغدادى**، البغدادى، محمد بن حبيب (- ٢٤٥هـ)، كتاب المحبر ورقة الاصل الخطية، (القاهرة، د.ت).
٨. **الدينوري**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (- ٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، ط٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م).
٩. **الذهبي**، أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء ، تحقيقك شعيب الارنؤط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ).
١٠. **الزواوي**، محمد السعيد ابو يعلى (ت ١٣٧٣هـ)، تاريخ الزواوة، تعليق: سهيل الخالدي، ط١ (منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٥).
١١. **الصفدي**، الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠م).

١٢. **الطبري**، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، تاريخ الرسل الملوك ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٦ . { القاهرة : دار امعارف ، ١٩٧٢ }
١٣. **الطهراني**، الطهراني، محمد محسن الشهير بـ (اغا بزرك الطهراني)، الذريعة الى تصانيف الشيعة (ايران: قم المقدسة، مؤسسة اسماعيليان للنشر).
١٤. **ابن عساكر**، أبو القاسم علي بن الحسن (٥٧١هـ / ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيرازي، (بيروت: دار الفكر ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
١٥. **ابو الفداء** ، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، البداية والنهاية ، ط١، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م).
١٦. **ابن كثير**، ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م)
١٧. **الكليني**، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، الاصول من الكافي، تحقيق: علي اكبر غفاري، ط٣، (طهران: مطبعة حيدري- منشورات دار الكتب الاسلامية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م)
١٨. **المسعودي**، المسعودي، ابوالحسن، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م)، التنبيه والأشراف، (مصر: ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م).
١٩. **ياقوت**، شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ)، ياقوت الحموي، معجم الادباء ، ط١، (دار صادر ، ١٩٩٣).

٢٠. **ياقوت** شهاب الدين عبدالله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩ م).
٢١. **اليقوبي**، احمد بن اسحاق (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي ، ط ١ ، { قم : مطبعة منشورات التراث ، ١٤٣١ هـ } .

قائمة المراجع

٢٢. **الحسيني**، الحسيني، اسحاق موسى، ابن قتيبة، ترجمة: هاشم ياغي، ط١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٠م).
٢٣. **الجابي**، بسام عبد الوهاب، معجم الاعلام، ط١ (دار الجفان والجابي للطباعة، ١٩٨٧م).
٢٤. **الزركلي**، الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس وتراجم، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠١م / ١٩٨٠م).
٢٥. **العسكري**، العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، (بيروت: مؤسسة النعمان، ١٩٩٠).
٢٦. **المصري**، جميل عبدالله محمد ، انتشار الاسلام الفتوحات الاسلامية زمن الراشدين، ط١، (المدينة المنورة : الجامعة الاسلامية، ١٤٠٩هـ).
٢٧. **العصري**، اكرم ضياء ، عصر الخلافة الراشدة محاولة نقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٩م).
٢٨. **الكاتب**، نجم الدين ، مطارحات فلسفية، تحقيق: الشيخ محمد حسن ال ياسين، (بيروت: دار صادر ، ١٩٨٤م).

الدور الاقتصادي والسياسي للقاضي سعد

الدين بن غراب

(.....-٨٠٨هـ /-١٤٠٥م)

أ.م. د. عفاف عبد الجبار عبد الحميد

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

قسم التاريخ

ملخص :

القاضي سعد الدين بن غراب هو احدى الشخصيات المهمة التي كان لها دور ملحوظ من الناحية السياسية والإدارية والاقتصادية في دولة المماليك الجراكسة في عهد السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤هـ - ٨٠١هـ / ١٣٨٢م - ١٣٩٨ م)، وابنه السلطان الناصر فرج (٨٠١هـ - ٨١٥هـ / ١٣٩٨م - ١٤١٢م).

فهو أحد أولاد الكتبة الأقباط الذي استطاع بفضل ذكائه وطموحه وكفاءته العالية من تولي المناصب المرموقة في الدولة، فولاه السلطان الظاهر برقوق في صفر سنة (٧٩٨هـ / ١٣٩٥ م) وظيفة نظر الديوان المفرد، ومهمة متوليها توزيع نفقة المماليك والجامكيات والكسوة والعليق، ولشدة براعته وإتقانه لعمله فقد أضاف اليه السلطان الظاهر وظيفتي نظر الخاص ، والجيش بعد فترة وجيزة من توليه وظيفة نظر الديوان المفرد، كما وبلغت مكانة سعد الدين وثقة السلطان به ، بأن جعله احد الأوصياء على ابنه الناصر فرج سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨ م).

ازداد اعتماد السلطان الناصر فرج على القاضي سعد الدين بن غراب فولاه وظيفة الاستدارية إضافة لما بيده من وظائف، ثم ولي بعدها وظيفة كاتب السر التي لم يبق فيها لمدة طويلة، وبالع السلطان في إكرامه للقاضي سعد الدين فاعدق عليه الهدايا والخلع والألقاب في مناسبات عدة.

ونلاحظ دور سعد الدين بن غراب على نحو واضح من خلال حرص السلطان الناصر على اللجوء اليه واستشارته اذا ما واجهته احدى المشاكل السياسية أو الاقتصادية التي يصعب عليه حلها ، لاسيما ما يتعلق منها بتوزيع النفقة على المماليك ، فيضطر سعد الدين في بعض الأحيان لمعالجة هذه

المشاكل بالإنفاق من ماله الخاص، أو الاقتراض من الأشخاص المقربين منه في أحيان أخرى ، لسد نفقات الدولة .

إضافة إلى أعماله السياسية والاقتصادية فإن له العديد من أعمال البر التي قام بها بهدف الأجر والثواب ، ومشاركة أبناء بلده في محنهم ، لاسيما في وباء عام (٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م) ، التي أكسبته محبة عامة الناس، وبنائه للخانقاه ، والمدرسة اللتين حملتا اسمه ، لغرض نشر العلم والمعرفة .

المقدمة :

زخرت كتب التاريخ العربي الإسلامي بالعديد من الشخصيات المهمة التي برعت وتألفت في شتى المجالات فكان منهم المؤرخون والأدباء والعلماء. وكان لجهودهم دور كبير في وضع اللبنة الأساسية لتاريخ امتنا المشرق. ولا يخفى ما لإصحاب القلم والفكر من دور ملحوظ في مساندة الخلفاء والسلاطين بالنصح والإرشاد فاعتمدوا عليهم في إدارة وتسيير شؤون الدولة المختلفة، ومن هنا جاءت أهمية هذه الشخصيات فأصبحت محط اهتمام المؤرخين والباحثين الذين تناولوها بالدراسة والبحث وسلطوا الضوء على جوانب حياتهم المختلفة.

ويعد القاضي سعد الدين بن غراب أحد هذه الشخصيات التي كان لها دور ملحوظ من الناحية الاقتصادية ، والسياسية في دولة المماليك الجراكسة. دفعه طموحه في الوصول للمناصب المرموقة بعدم الاكتفاء بما تولاه في عهد السلطان الظاهر برقوق، وإنما عمل بجد من أجل الوصول إلى ما هو أفضل، فتمكن من تحقيق ذلك في عهد السلطان الناصر فرج ، بنصائحه التي كان يقدمها للسلطان، وإدارته لنفقات الدولة لا سيما النفقات الخاصة بالمماليك السلطانية التي حرص السلطان المماليك على دفعها في وقتها لما يسببه

تأخيرها من فتن واضطرابات في الدولة ،فأصبح من الشخصيات المهمة آنذاك التي يشار لها بالبنان .

قسم البحث إلى مقدمة وخاتمة فضلا عن العديد من المباحث التي تناولت اسمه، ونسبه، وصفاته، والعصر الذي عاش فيه، ونشأته، والوظائف التي تولها في عهد السلطان الظاهر برقوق فضلا عن الوظائف التي تولها في عهد السلطان الناصر فرج ،وأخيرا مرضه ،ووفاته ،وإنجازاته.

اسمه ونسبه وكنيته:

هو إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب بن علم الدين بن شمس الدين الإسكندري المولد المصري الدار، والوفاة^(١)، القبطي الأصل^(٢)، فقد كان جده غراب من الكتبة الأقباط المقيمين في الإسكندرية^(٣)، وتولى فيها وظائف عدة ثم أعلن إسلامه، فكان أول من أسلم من آبائه^(٤)، فتم تعيينه ناظراً لديوان الإسكندرية^(٥)، واستمر بوظيفته حتى اتهم بموالاته للفرنج وإخباره لهم عن عورات المسلمين عند هجومهم على الإسكندرية^(٦) عام (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، فقام نائب الإسكندرية صلاح الدين خليل بن عرام^(٧) بتوسيطه^(٨)، وعلقه قطعتين على باب رشيد^(٩)، لإغلاقه باب الديوان أمام المقاتلين المسلمين الذين كان واجبهم مقاتلة الفرنج ومنعهم من دخول الإسكندرية واحتلالها، وبذلك تمكن الفرنج من التسلل إلى داخل البلد بعد ان وجدوها خالية من الجند. يقول ابن حجر: ((فلو فتح باب الديوان الذي على البلد لقاتلت المسلمون الفرنج من أعلى سورها ووجدوا ما يقوتهم بالأكل من نقل الشام^(١٠))).

ولتفسير تصرف غراب بإغلاقه باب الديوان انقسم المؤرخون إلى قسمين، وجد القسم الأول انه أراد بتصرفه هذا منع التجار من نقل بضائعهم من الديوان إلى داخل المدينة حرصا منه كي لا تضعف الحقوق التي للديوان

عليها^(١١). أما القسم الثاني فقد اجزموا بأنه كان على اتفاق مسبق مع الفرنج، ومع صاحب قبرص^(١٢) الذي سبق وزار الإسكندرية متخفياً بهيئة التجار، وأقام عند غراب فترة وجيزة لمراقبة أحوال المدينة والاطلاع عليها^(١٣). والرواية الثانية أرجح وأقرب للتصديق فقد كان عليه فتح باب الديوان للسماح للجند بالدفاع عن المدينة وسد كافة الثغرات التي من الممكن أن يتسلل العدو منها بدلاً من الخوف على حقوق الديوان التي هي بدون شك ستضيع في كلا الحالتين. أما ابنه عبد الرزاق فقد ترقى في الوظائف^(١٤) حتى ولي وظيفة نظر الإسكندرية^(١٥) غير أن المنية عاجلته، وتوفي في نحو الثمانين^(١٦) تاركاً ولدين صغيرين هما أمجد أو ماجد كما يسمى محمداً^(١٧)، ويلقب بفخر الدين^(١٨) وهو الأكبر، وإبراهيم الذي يكنى بسعد الدين^(١٩)، وبأبن غراب نسبة إلى جده، والثانية أشهر من الأولى، وبها عرف بين الناس^(٢٠).

صفاته:

وصفت المصادر القاضي سعد الدين بن غراب بأنه كان من أحسن الناس شكلاً وأحلاماً منظراً^(٢١)، شديد الزهو والعجب بنفسه، كريم جواداً، يحب الانفراد بالرئاسة، مع تدين وتعفف عن القاذورات^(٢٢). ووصف أيضاً بأنه كان وهاباً مفضلاً، رئيساً^(٢٣)، نالته السعادة في أيام مباشرته لوظائف الدولة^(٢٤)، وكان ميالاً إلى فعل الخير والتصدق على الناس^(٢٥)، فكان يكرم كل من يقصده منذ ولي الوظائف الرفيعة في الدولة وحتى وفاته. يقول السخاوي: ((لم يدخل عليه مملوك من المماليك السلطانية كبيراً كان أم صغيراً إلا وسقاه السكر المذاب ثم يأخذ في قضاء حاجته))^(٢٦). وهذا دليل على فضله وسخائه وجوده لمن يقصده في أي حاجة من حوائج الدنيا وعلى حسن أخلاقه وطيب أصله.

وكان على معرفة تامة بأخلاق أهل الدولة^(٢٧)، عارفاً باللغة التركية متقناً لها^(٢٨)، إلا أنه اتسم بالدهاء والمكر. يقول المقريزي: ((إلا أنه كان غداراً لا يتوانى عن طلب عدوه، ولا يرضى من نكبته بدون إتلاف النفس، فكم ناطح كبشا وتل عرشاً وعالج جبلاً شامخة واقتلع دولاً من أصولها الراسخة))^(٢٩).

عصره :

تعد الحقبة التاريخية الممتدة بين نهاية القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي وبداية القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي هي الحقبة التي عاش فيها القاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب، وعاصر خلالها عدداً من سلاطين المماليك ممن تولوا حكم البلاد المصرية، وكان لكل واحد منهم سياسته ونهجه الخاص الذي انفرد به عن غيره من السلاطين.

ففي الحقبة التي كان فيها سعد الدين بن غراب لا يزال فتياً كان السلطان الظاهر برقوق^(٣٠) (٧٨٤هـ - ٨٠١هـ / ١٣٨٢م - ١٣٩٨م) يتولى حكم البلاد المصرية، وتعد هذه الفترة من الفترات التاريخية المهمة فقد كانت بداية لمرحلة جديدة من مراحل تاريخ البلاد المصرية تتمثل بانتهاء حكم دولة المماليك البحرية وبداية حكم دولة المماليك الجراكسة التي تعد امتداداً لما سبقها سياسياً ، وإدارياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً.

اتسم السلطان الظاهر برقوق بقدراته الكبيرة في إدارة البلاد فتمتعت البلاد المصرية أبان حكمه بفترة من الاستقرار السياسي، والاقتصادي ، والاجتماعي، والعسكري، فوضع حداً لمحاولات المماليك في التدخل بشؤون الدولة المختلفة، ومع هذا فقد واجهته بعض الصعاب والتحديات، ولاسيما في بداية حكمه تمثلت بحركة الاضطراب التي قادها كل من منطاش^(٣١)، ويليغا الناصري^(٣٢) اللذان

نجحاً في عزله من الحكم، وسجنه في مدينة الكرك^(٣٣) عام^(٣٤) (١٣٨٩هـ/١٣٨٩م).

وعلى الرغم من عزل السلطان الظاهر برقوق إلا أن الصراع بين منطاش ويليغا لم ينته، وازدادت الأوضاع سوءاً، فأضطر نائب الكرك لإطلاق سراح السلطان الظاهر برقوق للتخلص من هذه الأزمة^(٣٥)، فتجمع حوله أهالي البلاد الشامية، وتمكن بمساعدتهم من هزيمة منطاش في المعركة المعروفة بشقحب^(٣٦) عام (١٣٨٩هـ/١٣٨٩م)، وبذلك تمكن من العودة ثانية لحكم البلاد المصرية^(٣٧)، ولكن هذا لا يعني نهاية الفتن والاضطرابات، فقد شهدت البلاد بين آونة وأخرى قيام الحركات المناوئة للسلطان الظاهر كان من أبرزها الثورة التي قادها نوروز^(٣٨) في البلاد الشامية^(٣٩). هذا فضلاً عن الأخطار الخارجية التي واجهت البلاد في هذه الحقبة التاريخية والمتمثلة بخطر المغول بزعامة تيمورلنك^(٤٠).

قام السلطان الظاهر برقوق قبل وفاته بتسمية ابنه فرج^(٤١) ولياً للعهد، ولقب بالناصر، ونظراً لصغر سنه فقد وضع إلى جانبه مجلس وصاية يتولى إدارة شؤون البلاد حتى يصبح السلطان قادراً على إدارة البلاد بمفرده، وذلك عام^(٤٢) (٨٠١هـ/١٣٩٨م).

استمر مجلس الوصاية إدارة البلاد حتى ربيع الأول من عام^(٤٣) (٨٠٢هـ / ١٣٩٩م)، إذ طلب السلطان الناصر من الأمير الكبير^(٤٤) ايتمش^(٤٥) الموافقة على ترشيده أي أن يباشر أعماله وصلاحياته بنفسه دون وصاية من الأمير الكبير أو الاتابك^(٤٦) الكبير^(٤٧)، فاجتمع القضاة وعلنوا الموافقة على ترشيده السلطان رسمياً، وتولى السلطان الناصر فرج إدارة البلاد بمفرده^(٤٨)، فأعترض الأمير تتم^(٤٩) ثم انضم إليه الأمير ايتمش الذي سبق وأعلن موافقته على ترشيده السلطان، وعلنوا ثورتهم في بلاد الشام، ولكن السلطان الناصر

تمكن من إخماد الثورة والقضاء عليها^(٥٠). وما كادت هذه الثورة أن تنتهي حتى واجهت بلاد الشام خطراً جديداً ألا وهو خطر المغول بقيادة تيمورلنك الذي ألحق الدمار والخراب بالبلاد الشامية، فقام السلطان الناصر فرج بالتصدي له وطرده المغول من جميع البلاد الشامية^(٥١).

وبعد فترة وجيزة تجدد الصراع الداخلي بين أمراء المماليك، وتجددت محاولاتهم للتمرد على السلطان المملوكي فأعلن كل من نوروز الحافظي وشيخ المحمودي^(٥٢) الثورة عليه في بلاد الشام، وبعد أن ضاق السلطان الناصر فرج ذرعاً بثورات المماليك المستمرة، وفشله في القضاء عليها، قرر الاستماع لنصيحة عدد من كبار رجال الدولة وعلى رأسهم سعد الدين بن غراب في الاختفاء عن أنظار الناس لفترة وجيزة^(٥٣).

فكان على أمراء المماليك اختيار سلطان جديد للبلاد المصرية ، فوقع اختيارهم على عبد العزيز^(٥٤) أخو السلطان الناصر ، ونظراً لصغر سنه فقد تم تعيين الأمير بيبرس^(٥٥) أتابكاً له ليتولى إدارة البلاد نيابة عن السلطان الجديد^(٥٦).

وفي خضم هذه الأحداث الجديدة خاف الأمير يشبك الشعباني^(٥٧) على مكانته، وامتيازاته التي كان يتمتع بها أيام السلطان الناصر فرج^(٥٨) فبدأ بالقضاء على منائوي السلطان الناصر وكشفهم، وفي الوقت نفسه بدأ بالترتيب مع سعد الدين بن غراب على عودة السلطان الناصر من جديد لحكم البلاد المصرية^(٥٩)، فعاد في الخامس من جمادى الآخرة عام (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)^(٦٠)، وبعد فترة وجيزة من عودته إلى الحكم عادت من جديد محاولات الأمراء المماليك للتمرد على السلطان بزعامة كل من نوروز وشيخ المحمودي في البلاد الشامية^(٦١)، التي كانت نتيجتها مقتل السلطان الناصر عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م أثناء محاولته القضاء على هذا التمرد^(٦٢).

نستخلص من ذلك أن الأوضاع السياسية في عهد السلطان الظاهر بربقوق لم تكن مستقرة بشكل تام، إلا أن خبرته التي اكتسبها من خلال خدمته لعدد من السلاطين، فضلاً عما تميز به من الشدة والحزم مكنته من التعامل مع هذه الأوضاع، والقضاء على الفتن والاضطرابات التي واجهته.

أما الأوضاع السياسية في عهد السلطان الناصر فرج فقد كانت أكثر اضطراباً، أضف إلى ذلك ما رافقها من تدهور الأوضاع الاقتصادية، وانخفاض قيمة الدينار المملوكي. وهذا يعود إلى عوامل عدة أهمها صغر سن السلطان، وافتقاره للخبرة السياسية، وعدم قدرته على معالجة مشاكله بحكمة، فاصبح العوبة بيد أمراء الممالك يحركونه كيفما يشاؤون، مما أوقعه بأخطاء كبيرة كلفته في النهاية حياته.

نشأته وابتداء أمره :

عاش سعد الدين بن غراب بعد وفاة والده تحت كنف أخيه الأكبر فخر الدين ماجد، وأخذ من كتابة العرائض عملاً له^(٦٣)، وبقي على هذا الحال حتى شاءت الظروف أن يتعرف على محمود بن علي^(٦٤) ناظر دار الضرب^(٦٥) والمتجر في الإسكندرية^(٦٦)، فالتحق سعد الدين بخدمته، وبدأ التدريب على الكتابة، التي أتقنها بسرعة كبيرة وجودة عالية، وسرعان ما أصبح من أقرب المقربين للأمير محمود بن علي لنباهته وحسن سيرته، فولاه النظر في خاص أمواله. فتمكن بذلك من الاطلاع على جميع أموره وخفاياه^(٦٧).

ولكفاءة الأمير محمود بن علي في عمله ازداد اعتماد السلطان الظاهر عليه، وعينه استادراً^(٦٨) له في الثالث من جمادي الأولى عام ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م، ثم أضاف له مهمة مراقبة الوزير^(٦٩)، وناظر الخاص^(٧٠) اللذان أكد عليهما بعدم مخالفة رأي محمود الاستادار في جميع ما يرى فيه مصلحة

للبلاد^(٧١)، هذا فضلاً عن أعماله السابقة التي أبقاها عليها، وبسبب عمله الجديد انتقل محمود بن علي إلى القاهرة مصطحباً معه أفضل أعوانه وكتابه، وكان من بينهم سعد الدين بن غراب^(٧٢) الذي استطاع خلال فترة وجيزة من تعلم اللغة التركية وإجادتها، فمكّنه ذلك من التقرب إلى المماليك السلطانية، وكسب ودهم وثقتهم^(٧٣).

وبعد أن نصح ابن غراب وبلغ مبلغ الرجال تاقت نفسه إلى الرئاسة، فكتّم ذلك خشية من أستاذه محمود الاستادار^(٧٤)، واستمر بالعمل في خدمته حتى غضب عليه محمود الاستادار لإمر بدا له منه في ماله فخاف منه ابن غراب^(٧٥)، ولجأ إلى والي القاهرة^(٧٦) ابن الطبلاوي^(٧٧)، الذي كان من اقرب الأشخاص للسلطان الظاهر^(٧٨). يقول المقرئزي : ((فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال سمت نفسه إلى الرئاسة، ورأى انه يبدأ بمحمود ولي نعمته فيزيله أولاً ، وكان ابن الطبلاوي قد كثر اختصاصه بالسلطان فصار إليه وساعده على محمود، ودله على عوراته...^(٧٩))).

وبتخطيط منهما وصلت للسلطان الظاهر الأنباء عن الأموال الطائلة التي يخفيها محمود الاستادار، في نفس الوقت الذي بدأ به محمود الاستادار بالخمول، وتكثر شكواه للسلطان من قلة الأموال الموجودة في خزينة الدولة^(٨٠)، وذلك في أواخر عام (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م) ، مما أدى إلى استياء ونقمة السلطان الظاهر عليه لادعائه زوراً بعدم امتلاكه الأموال.

وقد وجد السلطان الظاهر الفرصة المناسبة للانتقام من محمود الاستادار^(٨١) ، ومصادرة أمواله لسد جزء من نفقات الدولة بعد أن تكررت الشكاوي عليه من بعض الموظفين ، والمباشرين عند السلطان الظاهر فصدرت أوامر السلطان للاستادار بدفع مبلغ خمسمائة ألف دينار^(٨٢)، وبعد تدخل عدداً من المقربين بينهما خفض المبلغ إلى مائة وخمسين ألف دينار ،

وهدهد السلطان بالعقوبة ومصادرة جميع أمواله إذا لم يدفع المبلغ، وعندما فشل في تسديد المبلغ أمر السلطان بمصادرة جميع أمواله^(٨٣)، وازدادت أوضاعه سوءاً عندما عزل السلطان من نظر دار الضرب، والمتجر بالإسكندرية، والاستادارية، وولاهما لابن الطبلابي^(٨٤)، وذلك في صفر عام (٧٩٨هـ/١٣٩٥م). وبذلك تكلفت جهود ومحاولات ابن الطبلابي وابن غراب بالنجاح وتمكنوا من التخلص من محمود الاستادار.

ومن هنا بدأ سعد الدين بن غراب بالظهور بعد أن أصبح من أكبر أعوان ابن الطبلابي الذي ساعده في مقابلة السلطان الظاهر من أجل إخباره بالمزيد عن الأموال الطائلة الموجودة عند أستاذه محمود الاستادار^(٨٥)، فكان ذلك سبباً في اعتقال أستاذه، وزوجته، وابنه^(٨٦)، وحتى هو نفسه لم يسلم من الاعتقال ليدلي بالمزيد عن الأموال الموجودة عند أستاذه محمود الاستادار^(٨٧)، وبذلك ازداد قرباً من السلطان وتمتع بمنزلة رفيعة عنده، وولاه مهمة الكشف عن أموال محمود الاستادار لكونه أقرب الأشخاص إليه، وأكثرهم معرفة بأدق أموره^(٨٨). يفصح لنا هذا أن ابن غراب قد استغل فرصة حاجة السلطان المتزايدة للأموال لتردي الوضع الاقتصادي، فتقرب إليه عن طريق كشفه لمكان الأموال التي يخبئها أستاذه محمود، كما ويفصح عن معرفته بأفضل السبل وأقصرها للوصول إلى السلطان والتقرب منه.

ثم ولاه السلطان الظاهر في (الحادي عشر من صفر من عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م) وظيفة النظر في الديوان المفرد^(٨٩)، وهي من الوظائف العظيمة التي تقع على ناظرها مهمة مراقبة الأراضي، والقرى، والحمايات^(٩٠)، والمستأجرات، فضلاً عن متابعته للعمال والكشاف الذين يعملون في هذا الديوان، وعليه أيضاً توفير الجوامك^(٩١) الخاصة بالممالك السلطانية، وعليق خيولهم، ودفع مستحقات الأدر الشريفة^(٩٢) والبيوتات^(٩٣)، وأستمر سعد الدين بوظيفته هذه

حتى ذي القعدة من العام نفسه^(٩٤)، وهي أول وظيفة يتولاها، وله من العمر عشرون سنة أو نحوها^(٩٥)، ثم ازداد تقرباً من ابن الطبلاوي وأغدق عليه الأموال، وطلب منه التوسط له عند السلطان ليوليه وظيفة نظر الخاص، فتولاها في التاسع عشر من ذي القعدة من العام نفسه^(٩٦).

ولابد من الإشارة هنا إلى الاختلاف الموجود في الروايات التي وصلتنا حول هذه المسألة، فبعضها يذكر أن سعد الدين تمكن من أن يلي وظيفة نظر الخاص بفضل ابن الطبلاوي^(٩٧)، في حين أرجعت روايات أخرى الفضل لمحمود الاستادار في تولي سعد الدين بن غراب وظيفة نظر الخاص، وتذكر أنه توسط له عند السلطان الظاهر ليوليه تلك الوظيفة^(٩٨). والرواية الأولى اصح من الثانية وأقرب إلى التصديق لأن سعد الدين ابن غراب تولى وظيفة نظر الخاص في ذي القعدة من عام (٧٩٨هـ / ١٣٩٥م) في الوقت الذي كانت فيه العلاقة بين محمود الاستادار والسلطان قد ساءت، وصودرت أمواله في ربيع الأول من عام (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م)، فكيف يتوسط له، وهو يتعرض للعقوبة من قبل السلطان، والعلاقة بينهما أشبه بالمقطوعة، هذا فضلاً عما اتفقت عليه المصادر من أن محمود الاستادار حقد على سعد الدين بعد أن علم برغبته في تولي أحد المناصب فكيف يقوم هو بنفسه بالتوسط له عند السلطان الظاهر ليتولى وظيفة نظر الخاص.

أحواله ووظائفه في عهد السلطان الظاهر برقوق:

كان للجهود الكبيرة التي بذلها سعد الدين بن غراب في الكشف عن أموال محمود الاستادار أن كافأه السلطان الظاهر برقوق بتعيينه ناظراً للديوان المفرد، ولكنه لم يكتف بهذه الوظيفة وتطلع إلى ما هو اسمى فتكالت مساعيه بالنجاح عندما اسند اليه السلطان وظيفة نظر الخاص، وتعد من الوظائف المهمة في

عهد المماليك حيث يتمتع صاحبها بمكانة مرموقة عند السلطان ،وفي المجتمع المملوكي على حد سواء، فكان هذا بداية الخطوة التي نالها سعد الدين وهو في مقتبل عمره ،وهذا ما يؤكد أبو المحاسن بقوله: ((وعمره إذ ذاك دون العشرين^(٩٩))).

وكما تخلص ابن غراب من أستاذه محمود الاستادار بدأ بالتخطيط للتخلص من ابن الطبلاوي الذي يعد من اقرب الأشخاص في الدولة للسلطان الظاهر برقوق، فمهد لذلك عن طريق تعيين الأشخاص المقربين منه في الوظائف الهامة^(١٠٠)، ثم قام بالاستعانة بيلغا المجنون^(١٠١)، وحرضه على ابن الطبلاوي ،فكان من نتائج ذلك عزل السلطان لابن الطبلاوي من الحديث في نظر الإسكندرية في (جمادي الأولى من عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) وولاه لابن غراب^(١٠٢) الذي ارسل أخاه فخر الدين ماجد بدلاً منه للنظر فيها^(١٠٣). وفي الثامن من شعبان من عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م صدرت الأوامر بالقبض على ابن الطبلاوي، أثناء حضوره لختم أقامه سعد الدين في داره بمناسبة مولود ولد له، وكان هذا باتفاق و ترتيب من سعد الدين مع السلطان^(١٠٤) ، كما وصدرت الأوامر بالكشف عن أموال ابن الطبلاوي ومصادرتة^(١٠٥)، وبذلك تخلص سعد الدين من منافسه ابن الطبلاوي واصبح هو اهم شخص في دولة المماليك الجراكسة بعد السلطان.

وبعد استقرار الأوضاع لصالح ابن غراب في الدولة بتخلسه من منافسيه اعتذر للسلطان الظاهر برقوق عن العمل في وظيفتي نظر الديوان المفرد والكارم^(١٠٧)، وطلب منه الاكتفاء بوظيفة نظر الخاص^(١٠٣) لكثرة أعباء ومسؤوليات هذه الوظيفة ،فوافق السلطان على طلبه، وتحت ضغط الأوضاع السياسية والاقتصادية ولاءه السلطان وظيفة ناظر الجيش^(١٠٨) بدلاً من ابن الدمايني^(١٠٩) إلى جانب وظيفة نظر الخاص لحين إيجاد الشخص

المناسب^(١١٠)، في التاسع من ذي القعدة سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م. فأظهر من الأمانة والتعفف عن أموال الناس ما يلفت اليه الأنظار. ووصفه المقريري قائلاً: ((فعف عن تناول الرسوم وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمراً كبيراً^(١١١)))، ولمنزله الكبيرة عند السلطان الظاهر فقد عينه من ضمن الأوصياء على ابنه فرج^(١١٢)، وهذا يوضح المكانة السامية التي شغلها سعد الدين في الدولة ومدى ثقة، واعتماد السلطان عليه في تصريف شؤون الدولة.

ومن الملاحظ أن ابن غراب في الفترة الأخيرة من حكم السلطان الظاهر قد غير من سياسته تجاه سائر رجال الدولة واتبع سياسة جديدة أظهرت حسن خلقه وأكسبته مودة رجال الدولة، فقد وقف إلى جانب الوزير صاحب بدر الدين محمد بن الطوخي^(١١٣) وأنزله في داره ليخلصه من الضرب والتعذيب لسخط السلطان عليه، بعد أن تعهد بدفع مبلغ سبعمائة ألف درهم^(١١٤).

ووقف كذلك فيما بعد إلى جانب يلغا المجنون الذي تعرض للاضطهاد والتتكيل من قبل خصومه بعد وفاة السلطان الظاهر برقوق، فأبقاه في داره بدلاً من السجن^(١١٥). وقد جاءت سياسته هذه بعد أن ثبت قدمه في الدولة، وتخلص من جميع منافسيه، وأصبحت كلمته مسموعة لدى السلطان والمماليك السلطانية على حد سواء.

وظائفه وأعماله في عهد السلطان الناصر فرج:

استمر سعد الدين بن غراب بالعمل في وظيفتي نظر الجيش ، والخاص بعد تولي السلطان الناصر فرج (٨٠١هـ - ٨١٥هـ / ١٣٩٨م . ١٤١٢م) الحكم عام (٨٠١هـ / ١٣٩٨م)، وقد تأثر سعد الدين شأنه شأن باقي رجالات الدولة بتقلبات الحياة السياسية التي اتسم بها عصر سلاطين

الممالك، فتقلب حياتها بين الهدوء والاستقرار تارة والعقوبة والسجن ومصادرة الأموال تارة أخرى.

تميزت الحقبة التي تولى فيها السلطان الناصر فرج الحكم بكثرة الثورات، اضطر لشدتها في بعض الأحيان على الخروج بنفسه للقضاء عليها، ومن هذه الثورات الثورة التي قادها الأمير ايتمش وأراد بها الانفصال بالبلاد الشامية^(١١٦)، فخرج اليه السلطان بنفسه ورافقه في حملته هذه كبار رجال الدولة كالأمير الكبير يشبك وسعد الدين بن غراب، الذي أمره السلطان الناصر أن يقوم بتجهيز جميع الإقامات، وما يلزم الجند من المؤنة والعلف^(١١٧)، وبعد إخماد الثورة عاد السلطان إلى القاهرة، فخرجت العامة كعادتها لاستقباله^(١١٨). وهذه من الأمور التي إعتادها المصريون إذ كانوا يخرجون لاستقبال سلاطينهم عند عودتهم إلى القاهرة، لاسيما وإن عادوا منتصرين، فيخرجون بأعداد كبيرة تعبيراً عن فرحهم بنصر سلاطينهم وتأييدها لهم.

بعد فترة وجيزة استدعى سعد الدين ابن غراب أخاه فخر الدين من الإسكندرية وكان يلي نظرها، فولاه الوزارة وأقام في قلعة الجبل^(١١٩)، وبذلك تمكنا من السيطرة على شؤون الدولة المختلفة، واستمرا بالعمل معاً، حتى تولى يلغا السالمي^(١٢٠) الاستادارية، فبدأ سعد الدين منافسته وحاول التخلص منه عن طريق التقرب من الأمير يشبك، وتحريضه على يلغا السالمي، وتحقق له ما كان يصبو اليه عندما صدرت الأوامر بالقبض على يلغا السالمي وعزله من الاستادارية^(١٢١).

ازداد اعتماد السلطان الناصر على سعد الدين بن غراب ، فولاه في (الربيع عشر من رجب من عام ٨٠٣ هـ / ١٣٩٩ م) الاستادارية إضافة لما بيده من وظائف^(١٢٢)، فوافق سعد الدين على ذلك ولكن بشروط عدة منها أن لا يغير زي الكتاب، وأن يسلم اليه يلغا السالمي ليحاسبه عن الأموال التي أخذها

من الناس^(١٢٣)، وبهذه المناسبة خلع عليه السلطان جبة من حرير بوجهين أحدهما أحمر والآخر أخضر بطراز ذهب عريض، وفي شوال من العام نفسه خلع عليه جبة مطرزة لاستمراره على ما بيده من وظائف^(١٢٤)، فزادت مكانته وأهميته في الدولة وصار له ديوان كدواوين الأمراء، ودقت الطبول على بابه، وخطبه الناس، وكتبوه بالأمير، وسار في ذلك سيرة ملوكية من كثرة العطاء، وزيادة الأسطة، والامتاع في الأموال، والازدياد من الممالك، والاستكثار من الخيول، والحواشي حتى لم يكن أحد يضاهيه في شيء من أحواله^(١٢٥). وبعد سنوات من توليه هذه الوظائف ظهر التعب عليه فقرر التنازل عن وظيفة نظر الخاص لأخيه فخر الدين في^(١٢٦) (ربيع الأول من عام ٨٠٤هـ / ١٤٠١ م).

ولم تتوقف طموحات سعد الدين عند هذا الحد فبدأ بالتخطيط لتوليه وظيفة كتابة السر^(١٢٧)، وتحقيق له ما أراد عندما عزل السلطان كاتب السر فتح الدين فتح الله^(١٢٨) من منصبه، وعينه بدلا منه، كما سلمه السلطان فتح الدين ليحاسبه، فقام بإهانته ومصادرة أمواله^(١٢٩). وبتولي سعد الدين وظيفة كتابة السر زادت مكانته وأهميته في الدولة، وبالعالم الأمراء في إكرامهم له. يقول أبو المحاسن: ((وبهذه المناسبة خلع عليه خلعة كتابة السر الشريف كخلعة الأمراء بطراز ذهب ولم يسبقه إلى هذا أحد^(١٣٠)))، هذا فضلا عن الخلع التي كان يخلعها عليه السلطان في كل عام^(١٣١) تعبيرا عن اعتزازه وتقديره له، واستمراره في وظائفه، وهذا يدل على سمو منزلته وعلو قدره ليس فقط لدى السلطان وإنما لدى الأمراء أيضا. وبعد فترة وجيزة من توليه وظيفة كتابة السر نجده يترفع عنها ويوليها لاحد كتابه^(١٣٢).

كما اكتسب القاضي سعد الدين مكانة مرموقة بين أبناء جلدته جاءت من خلال مشاركته لهم الشدائد والمحن التي كانت تمر بهم، فقد كانت له وقعة رائعة في الغلاء، والبرد الذي اجتاح البلاد المصرية^(١٣٣) في (جمادى الآخر

من عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م)، الذي بدا بالظهور بعد هبوب رياح جنوبية شديدة البرد كثيرة الرطوبة، فشا على إثرها السعال، والحمى في القاهرة، وتزامن ذلك مع توقف النيل عن الزيادة، فوصل عدد من يموت من شدة الجوع، والبرد في كل يوم فوق الألف شخص، فقام سعد الدين ابن غراب بمشاركة أمراء المماليك في مواراة جثث من مات من المرض والجوع، حتى بلغ عدد ما وري من الجثث في اليوم الواحد حوالي المائتي جثة^(١٣٤)، ثم انفرد ابن غراب بهذه المهمة لوحده، فبلغ عدد ما وراه من الجثث حتى نهاية شوال من العام نفسه ما يقارب على الاثني عشر ألف وسبعمائة جثة^(١٣٥). وكان لوقفته هذه دور ملحوظ في زيادة شعبيته، ومكانته لدى أبناء جلدته، وزادت محبتهم له، وتناسوا سوء سيرته، وبشاعة أفعاله وأعماله مع أستاذه محمود الاستادار^(١٣٦).

ولم تخلو أيام مباشرته لهذه الوظائف المتعددة من التعرض للضغوط المختلفة، وسوء المعاملة سواء من قبل السلطان أو من قبل المماليك السلطانية، لاسيما عندما يتعلق الأمر بتوزيع النفقة على المماليك التي كان يرافقها مشاكل كثيرة تتمثل بعدم كفاية ما موجود من مبالغ في خزينة الدولة مع ما يفترض توزيعه من أموال، لذا نجد سعد الدين يضطر في بعض الأحيان إلى سد هذا النقص من ماله الخاص، كما كان التأخير في توزيع النفقة على المماليك يعرضه للإهانة، والتجاوز عليه من قبل المماليك التي كانت تصل إلى الضرب أحيانا، وكان يضطر في بعض الأحيان إلى اللجوء لأمراء المماليك ليحتمي بهم من أذى المماليك، وفي أحيان أخرى يضطر لترك الخدمة، والجلوس في بيته حتى تهدأ الأحوال، فعلى سبيل المثال في شوال من عام (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) صدرت الأوامر لناظر الخاص بتوزيع النفقة على المماليك المنتصرين على يشبك الشعباني، ولعدم كفاية الأموال في الخزانة التزم سعد الدين بحمل مبلغ مائة ألف دينار، وبدأ بالاقتراض من التجار، فأعطى

لكل مملوك ألف درهم^(١٣٧)، فثار عليه المماليك، وامسكوه، وضربوه مما اضطره للهرب، ولجأ إلى الزمام^(١٣٨) ثم توجه إلى مصر، ومعه النفقة، وهنا نجد سعد الدين يبدأ بالتخبط في تصرفاته فهو لم يوزع النفقة على المماليك بل هرب خارج القاهرة بعد أن عدى الجيزة ثم سار حتى وصل إلى تروجة^(١٣٩)، فأخرج مثلاً^(١٤٠) يأمر فيه السلطان باستحصال الأموال من مشايخ تروجة، وأن يخرج جماعة منهم لمساعدة سعد الدين للتوجه إلى الإسكندرية وإخراج يشبك من السجن، فقام شيخ تروجة بإرسال أحد رجاله إلى السلطان للتأكد مما ورد في المثال، فأمره السلطان بعدم دفع الأموال لسعد الدين، وأن يقبض عليه. ثم قام سعد الدين بجمع عددٍ من الرجال للخروج بهم إلى الإسكندرية^(١٤١)، ولكنه فجأة غير طريقه، ورجع إلى القاهرة فوصلها في الحادي والعشرين من ذي الحجة من عام (٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م)، ولجأ إلى الأمير سودون طاز^(١٤٢) طالباً منه التوسط له عند السلطان ليعفو عنه، فعفا عنه السلطان، وخلق عليه جبة مطرزة من الحرير، وأعادته إلى جميع وظائفه وأضاف له وظيفة النظر في الذخيرة، ودواليب خاص الخاص^(١٤٣)، وقام سعد الدين بإكمال توزيع النفقة على المماليك، ولكنهم ثاروا عليه ورجموه فلجأ إلى بيت نوروز الحافظي فتركوه^(١٤٤)، ثم عاد إلى داره، ولم يتمكن من إكمال النفقة حتى قام بإرضاء أكابر المماليك وأعيانهم^(١٤٥). لغرض توفير الحماية له من تجاوزات المماليك، ولا نعلم ما الغاية التي أراد تحقيقها من وراء حركته هذه بخروجه من القاهرة غير رغبته في إطلاق سراح الأمير يشبك الذي كان من الأشخاص المقربين منه.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شعبان من عام (٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) قامت مجموعة من المماليك بالتعرض لسعد الدين عندما كان يهم بالخروج من القلعة بالدبابيس، وضربوه، وأوقعوا عمامته من رأسه، ولكنه تمكن من الهروب منهم، وانقطع عن الخدمة عدة أيام بسبب ذلك^(١٤٦).

والى جانب هذا فقد تعرض سعد الدين بن غراب واخوه فخر الدين للسجن، ومصادرة أموالهما لأكثر من مرة. وتعد هذه سمة واضحة من سمات الحياة السياسية في عهد دولة المماليك ، فقد عرف عن السلاطين المماليك سرعة تقلب أمزجتهم على موظفيهم غير آخذين بنظر الاعتبار كفاءة هؤلاء الموظفين وتفانيهم في عملهم.

ففي ربيع الآخر من عام ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م صدرت الأوامر بالقبض على سعد الدين واخيه فخر الدين ورجالهم ومصادرة أموالهم فقام شاد الشراب خاناة^(١٤٧) بأنزالهما في داره، وأتاهما الناس بكل ضيافة فاخرة، وبقيا عنده حتى عفا عنهما السلطان في الثامن والعشرين من ربيع الآخر من العام نفسه، وأرجعهما إلى وظائفهما، وخلع عليهما^(١٤٨)، وهذا يوضح مدى محبة الناس لسعد الدين ورضاهم عنه.

وفي الثالث عشر من رمضان من عام ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م غضب السلطان على القاضي سعد الدين، وصدرت أوامره بالقبض عليه، وعلى أخيه فخر الدين ماجد، وعدد من مساعديهما، وحبسوا في الزردخاناة^(١٤٩) بالقلعة، وبقوا فيها حتى الخامس والعشرين من ذي القعدة حيث أمر السلطان بإطلاق سراحهم بعد أن التزم سعد الدين بدفع مبلغ ألف ألف درهم^(١٥٠).

وللعلاقة الوثيقة التي ربطت القاضي سعد الدين بن غراب بالأمير يشبك الشعباني ، نجده يقف إلى جانبه في جميع الظروف مخاطرا بحياته ووظائفه وحتى أمواله ، ففي جمادي الأولى عام ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م أعلن سعد الدين عن تأييده وانضمامه ليشبك في ثورته على السلطان الناصر فرج، ومحاولته الانفصال ببلاد الشام، وأمهه ومن معه بالأموال الطائلة، وحرصهم على قتال السلطان الناصر، وعندما وجد أن الثورة لن يكتب لها النجاح طلب من الأمير اينال باي^(١٥١) التوسط له عند السلطان ليعفو عنه لقاء مبلغ من المال^(١٥٢)،

فعاد في التاسع من ذي الحجة وسلمت وظائف نظر الخاص والوزارة إلى أخيه فخر الدين، وعين سعد الدين مشيراً للسلطان ولبس الملابس العسكرية^(١٥٣). وكان للمعاملة السيئة التي اتبعها السلطان الناصر مع أمرائه ومماليكه، وقلة حزمه معهم فانقلبوا عليه وعارضوه وابتعدوا عنه^(١٥٤) فوجد سعد الدين الفرصة مناسبة للتقرب من السلطان والتأثير عليه ، فحسن له فكرة الفرار من القصر والاختباء في داره بشرط ان لا يعلم احد بذلك^(١٥٥)، فوافق السلطان الناصر على ذلك. يقول ابن الصيرفي: ((نزل عند القاضي سعد الدين بن غراب، ولم يزل عنده في لهو وطرب واكل وشرب وبسط وانشراح إلى يوم ظهوره^(١٥٦))).

ولسعد الدين بن غراب دور ملحوظ في تنصيب عبد العزيز بن برقوق سلطاناً لمصر ولقبه بالملك المنصور، وقام بإدارة أمور الدولة كما أراد لمدة سبعين يوماً^(١٥٧) إلى أن أحس بتغير في موقف الأمراء، فرتب للسلطان الناصر رجوعه إلى قصره مع عدد من الأمراء المقربين وعلى رأسهم الأمير يشبك الذي أخبره باختباء السلطان عنده، فعاد في ربيع الآخر من العام نفسه بعد أن استقرت الأحوال لصالح السلطان الناصر وقضى على خصومه ومعارضيه من المماليك^(١٥٨). ويروي المقرئ قائلًا: ((فألقى مقاليد الدولة إلى ابن غراب وفوض إليه ما وراء سريره ونظمه في خاصته، وجعله من أكابر الأمراء وناط به جميع الأمور ، فاصبح مولى نعمة كل من السلطان والأمراء، يمن عليهم بأنه ابقى لهم مهجتهم، وأعاد اليهم سائر ما كانوا قد سلبوه من ملكهم، وأمدهم بماله وقت حاجتهم وفاقتهم إليه^(١٥٩))). وبذلك يكون لسعد الدين بن غراب الفضل في تخليص السلطان والأمراء المؤيدين له ممن يعارضهم من أمراء المماليك.

وكافأه السلطان الناصر لوقوفه إلى جانبه ،وحسن إدارته للدولة في غيابه فخلع عليه برأس مشورة^(١٦٠)، وأنعم عليه بأمره مائة وتقدمة ألف^(١٦١)، وليس كهيئة الأمراء، وهي الكلوة^(١٦٢)، والقباء وشد السيف في وسطه، وتحول من داره التي على بركة الفيل إلى دار بعض الأمراء بحدرة البقر فغضب عليه القضاة بسبب ذلك^(١٦٣) لتركه زي الكتاب، وارتدائه زي الأمراء.

مرضه ووفاته :

قام السلطان الناصر فرج بن برقوق بمكافأة القاضي سعد الدين بن غراب لإخلاصه ،ووقوفه إلى جانبه في صراعه مع المماليك فخلع عليه بأمره مائة وتقدمة ألف في الديار المصرية ،وهي من الوظائف العسكرية أكثر مما هي وظيفة كتابية ،وذلك في (ربيع الآخر من عام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م). وكان هذا غاية ما تمناه ، وسعى إلى تحقيقه بل إنه تحقق له مالم يحصل لغيره ممن عملوا في خدمة الدولة المملوكية.

في صبيحة اليوم التالي وبحكم منصبه الجديد ارتدى سعد الدين بن غراب زي الأمراء للالتحاق بالخدمة السلطانية تاركا لبس الكتاب. يقول أبو المحاسن: ((حدثني بعض خواص سعد الدين قال: لما نزل من الخدمة بزي الأمراء سألني بأن قال: يا فلان هذه الصفة أحسن أم تلك الصفة فقلت: لا والله تلك الصفة أحسن وأجمل وأليق بك، فلم يرد الجواب^(١٦٤)))، وكان يجلس تحت الأمير الكبير مع الأمراء المقدمين^(١٦٥).

وبعد عودة سعد الدين إلى داره لم يلتحق بعدها بالخدمة السلطانية ثانية^(١٦٦) إذ أصيب بمرض القولنج الصفراوي^(١٦٧)، فنال في مرضه من السعادة مالم يسمع بمثله لأحد من أبناء جنسه، فكان الأمير يشبك الشعباني ومن دونه مرتبه من الأمراء يترددون عليه، وأكثرهم اذا دخل عليه وقف قائما

على قدميه حتى ينصرف^(١٦٨). يقول السخاوي: ((وتزيا بزي الجندي وضرب على بابيه الطبول ونعم جدا حتى انه عندما مرض كان الأمراء الكبار يعودونه قياما على أرجلهم^(١٦٩))).

وظل يصارع المرض مدة طويلة، حتى وافاه الأجل (ليلة الخميس في التاسع عشر من رمضان من عام ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) عن عمر يناهز الثلاثين عاماً^(١٧٠).

وكانت جنازته احدى الأمور العجيبة بمصر لكثرة من شهداها من الأمراء، والأعيان، وسائر أرباب الوظائف، واستأجر الناس السقائف والحوانيت لمشاهدتها^(١٧١)، ونزل السلطان من قلعة الجبل للصلاة عليه في مصلى المؤمنين بالرميلة ودفن خارج باب المحروق في القاهرة^(١٧٢).

ولم يترك من المال شيئاً، بل مات وعليه من الديون ما لا يدخل تحت الحصر^(١٧٣)، فقد كان ينفق من ماله الخاص لسد نفقات الدولة^(١٧٤)، وبعد مصادرتة من قبل السلطان الناصر فرج لجأ للاستدانة من معارفه من اجل سد نفقات الدولة ،وكان يدفعه في ذلك طموحه لإثبات جدارته في تلك المناصب التي كلف بإدارتها.

اختلفت آراء المؤرخين حول القاضي سعد الدين ما بين ذم ومدح، فهناك من انتقده كالمؤرخ بدر الدين العيني الذي قال عنه نقلاً عن ابن الصيرفي انه :((كان صاحب مكر ،وحيلة ،ودهاء ،وكان يلعب بأرباب المملكة ،وكان يستعين على ذلك كله ببذل الأموال الجزيلة من الأموال التي حصلها في أيام الملك الظاهر واستيلائه على الخزائن الظاهرية...^(١٧٥))).

واتهمه المقريزي بالفساد ،وأنه كان سببا في خراب إقليم مصر ،وفقدان النقود لقيمتها فبعد أن كان الدرهم يساوي قيراطا أو بعض قيراط^(١٧٦) من الدينار أصبح كل خمسة أو ستة دراهم تساوي قيراط من الدينار، وحدث هذا منذ أن

ولي سعد الدين نظر الخاص ،فاخذ يزيد في سعر الذهب لكثرة ما صار بيده منه في أواخر حكم السلطان الظاهر برقوق^(١٧٧) .يحدثنا المقرئزي قائلاً: ((فإنه ما زال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل دينار إلى مائتي درهم وخمسين درهما من الفلوس، بعدما كان بنحو خمسة وعشرين درهما ، ففسدت بذلك معاملة الإقليم وقلت أمواله وغلت أسعار المبيعات، وساءت أحوال الناس، إلى ان زالت البهجة وانطوى بساط الرقة، وكاد الإقليم يدمر...^(١٧٨))).

وهناك من امتدحه وانصفه كالسخاوي الذي قال فيه: ((وكان وافر الحرمة بلغ في المملكة ما لم يبلغه أحد فانه لم يمت حتى صار أمير بتقدمة ألف ، وتقل في الولايات كنظر الخاص والجيش والاستادارية وكتابة السر وغيرها، ولقد تلاعب بالدولة ظهرا لبطن وخدم عنده الأضداد وعظم قدره حتى شاع أنه لابد أن يلي السلطنة ^(١٧٩))).

على أن اختلاف آراء المؤرخين حول القاضي سعد الدين بن غراب ما بين مدح ،وذم لم يؤثر على موقف الأغلبية الساحقة من أهالي مصر، الذي تمتع لديهم بالقبول والإحسان بدليل خروج هذه الأعداد الهائلة منهم في جنازته تكريما له .

إنجازاته :

كان للقاضي سعد الدين العديد من أعمال البر التي قصد بها الأجر، والثواب أبرزها الخانقاه^(١٨٠) التي بناها خارج القاهرة على انقاض خانقاه قديمة عام ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ، وتقع على الخليج الكبير من بره الشرقي إلى جوار جامع بشتاك^(١٨١) من جهته الغربية^(١٨٢).

وقد ضمت هذه الخانقاه مدرسة عرفت بالمدرسة الغرابية^(١٨٣) ،أو مدرسة ابن غراب ، وهذا ما يؤكد السخاوي عند حديثه عن موسى بن أحمد بن

موسى^(١٨٤)، فيقول: ((وولي تدريس الفقه بمدرسة ابن غراب^(١٨٥)))، ولكنه بمرور الزمن طغى اسم المدرسة على الخانقاه فأصبحت تعرف بها . واحتوت المدرسة على خزانة للكتب^(١٨٦)، كما حوت على مشيخة للصوفية^(١٨٧)، ودرست في هذه المدرسة العديد من العلوم كعلوم اللغة، والفقه، وتولى التدريس فيها العديد من العلماء، والفقهاء، والمشايخ أمثال محمد بن احمد بن معالي الشمس الحبتي^(١٨٨)، وغيرهم كثير^(١٨٩).

الخلاصة :

بعد هذا العرض الموجز للدور الاقتصادي والسياسي للقاضي سعد الدين بن غراب (... - ٨٠٨هـ / ... - ١٤٠٥ م) ، تم التوصل إلى النتائج التالية:-

- ١- يرجع القاضي سعد الدين بن غراب في اصله إلى احدى الأسر القبطية الحديثة العهد بالإسلام في الإسكندرية ، فقد كان جده غراب أول من اسلم من آبائه .
- ٢- اتبع سلاطين المماليك سياسة التسامح الديني مع جميع أبناء المجتمع المصري ، وكان الإخلاص والكفاءة العالية شرطاً أساسياً لتولي وظائف الدولة المختلفة دون أي اعتبار آخر ، وهذا ما نجده مع عائلة سعد الدين بن غراب التي تمكن أفرادها من الحصول على افضل المناصب الإدارية على الرغم من أصولهم القبطية.
- ٣- عاصر القاضي سعد الدين بن غراب كل من السلطان الظاهر برقوق وابنه السلطان الناصر فرج ، وتعد فترة حكمهم من الفترات التي لم تخلو من الفتن والاضطرابات السياسية سواء على الصعيد الداخلي أو على

الصعيد الخارجي ، التي القت بظلالها على الأوضاع التي سادت البلاد آنذاك .

٤- كان لنباهته العالية وحسن خلقه دور كبير في المكانة السامية التي وصل إليها سعد الدين بن غراب مما أكسبه حب أمراء المماليك وعامة الناس على حد سواء .

٥- لقد ازدادت مكانته رفعة وسموا في عهد السلطان الناصر فرج، الذي اعتمد عليه اعتمادا كبيرا لحسن رايه وتدبيره، فجمع له العديد من الوظائف ، ولجأ إليه السلطان الناصر فرج لحل العديد من المشاكل التي كانت تواجهه، منها نصيحته للسلطان بالاختباء عنده لبعض الوقت لحل مشاكله مع أمراء المماليك، وبالفعل كان لرأيه هذا ومشورته اعظم الأثر في حل مشاكل السلطان الناصر لفترة قصيرة، وتخلصه من معارضيه ورجوعه للسلطة أقوى من السابق.

٦- لقد تحمل من الأعباء ما يفوق طاقته وقدرته على التحمل لاسيما فيما يتعلق بالجوانب المادية ،فكان يضطر لإكمال العجز الحاصل في الدولة من الناحية المالية من ماله الخاص، حتى انه كان في بعض الأحيان يضطر للاقتراض من الأشخاص المقربين منه لتكفيه نفقات الدولة ،رغبة منه للحصول على المناصب العالية ،ولإثبات جدارته ،وكفاءته في مناصبه التي كان يتولاها.

٧- على الرغم من جهوده الكبيرة في خدمة الدولة المملوكية وجدارته العالية التي اثبتتها في الوظائف التي تولاها ، إلا انه بالرغم من ذلك تعرض لأكثر من مرة للمصادرة والسجن من قبل السلطان الناصر فرج، لإجباره على دفع المزيد من الأموال التي كان السلطان بحاجة إليها،

هذا إلى جانب تعرضه لأذى واعتداء المماليك السلطانية الذي وصل إلى الضرب والإهانة في بعض الأحيان .

٨- مدّ القاضي سعد الدين بن غراب يد العون لكل من كان يحتاج إلى المساعدة، ويعود إليه الفضل في تخليص عدد من رجال الدولة من التعرض للإهانة و الضرب ،هذا فضلا عن مشاركته لأبناء بلده في المحن التي تعرضوا لها لاسيما في غلاء عام (٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م) ، حتى إنه انفرد لوحده فيما بعد بتقديم المساعدة والعون لكل من يحتاج إلى المساعدة.

٩- وهو أول من ترك زي الكتاب من أصحاب القلم ،وتزيا بزي أمراء المماليك .

١٠- لم تتفق آراء ومواقف المؤرخين تجاه القاضي سعد الدين بن غراب، فهناك من انتقده لسوء تصرفه في بداية حياته ،ولا سيما وشايبته بأستاذه محمود الاستادار، وهنالك من امتدحه لحسن سيرته وتواضعه ومواقفه الإيجابية في الوباء والغلاء الذي حل بالبلاد المصرية، التي زادت من محبته بين الناس وتناسوا ما قام به من أفعال سيئة في بداية حياته.

١١- له العديد من الأعمال التي قصد بها الأجر والثواب كالخانقاه والمدرسة التي أقامها في القاهرة ، ودرست فيها مختلف أنواع العلوم من قبل مدرسين ،وشيوخ أكفاء .

الهوامش :

- ١- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)،
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، بيروت، د/ت ، ج١،
ص ٦٥ .
- ٢- أبو المحاسن، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠م)، المنهل
الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، القاهرة،
١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج١، ص١٠٤ .
- ٣- ابن حجر، احمد بن علي، (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)، أنباء الغمر بأبناء
العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ج٢، ص٣٢٨ .
- ٤- السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١، ص٩٥ .
- ٥- نظر الإسكندرية: الناظر ،وهو من كبار الموظفين، ومهمته التحدث في
أمور الإسكندرية وأحوالها وكل ما يتعلق بها. للمزيد ينظر : الفلقشندي ،
احمد بن علي ،(ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة
الإنشاء ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، ط٢ ، بيروت ،
١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ج٥، ص٤٦٥ .
- ٦- المقرئزي، احمد بن علي، (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول
الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٥، ص٣٧٤ .
- ٧- صلاح الدين بن خليل بن عرام : تولى العديد من الوظائف منها الوزارة
ونظر الإسكندرية ،مات مقتولا عام ٧٨٣ هـ / ١٣٨١م. للمزيد ينظر: ابن
حجر، أنباء، ج١، ص٢٢٣ .
- ٨- التوسيط: لغة تعني قطع الشيء نصفين. للمزيد ينظر: الرازي ،محمد بن أبو
بكر ،(ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، مختار الصحاح ، دار الرسالة،

الكويت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٧٢٠؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ،لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د/ت، ج٧، ص٤٣٠؛ وهي ضرب المحكوم عليه بواسطة السيف بقوة تحت السرة، فيقسم الجسم نصفين من وسطه. للمزيد ينظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام ، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م، ص ٤٠٢.

٩- المقرئزي، السلوك، ج٥، ص ٣٧٤.

١٠- المقرئزي، السلوك، ج٥، ص ١١٢.

١١- المقرئزي، السلوك، ج٥، ص ١١٢.

١٢- هو الملك بطرس الأول بن هيو الرابع ،اعتلى عرش قبرص سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م ،وهو أول ملك أوربي بعد لويس التاسع ملك فرنسا يتحمس للاستيلاء على بيت المقدس عن طريق حرب مقدسة ،توفي سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م. للمزيد ينظر: الحنبلي، عبد الحي، (ت ١٨٠١ هـ/ ١٦٧١م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ط١، دمشق، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص ٢١٧ .

١٣- ابن حجر، أنباء، ج١، ص ٢٢٣.

١٤- المقرئزي ، السلوك، ج٥، ص ٣٧٤ .

١٥- أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص ١٠٤.

١٦- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص ٣٢٨.

١٧- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص ٣٢٨.

١٨- فخر الدين ماجد: بن عبد الرزاق، ولي الوزارة في أيام عظمة أخيه، ثم نكب بعد موته وصودرت أمواله واستمر محبوسا حتى وفاته عام ٨١١هـ/ ١٤٠٨م. للمزيد ينظر : أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف ، (ت

٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق محمد فهمي شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ/١٨٨١م) ، ج٢ ، ص٥٦٩.

- ١٩- المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٣٧٤.
- ٢٠- السخاوي، الضوء، ج٢، ص٦٥.
- ٢١- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٢٨؛ أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١١٢؛ السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٥.
- ٢٢- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٣٠.
- ٢٣- أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١١٢.
- ٢٤- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٣٠.
- ٢٥- السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٥.
- ٢٦- السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٦.
- ٢٧- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٣٠.
- ٢٨- السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٥.
- ٢٩- المقرئزي، احمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الخطط المقرئزية، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ج٤، ص٢٩١.

٣٠- الظاهر برقوق: أبو سعيد بن انص العثماني، سمي بذلك لجحوظ في عينيه، وهو أول من ابتدأ حكم دولة المماليك الجراكسة، تولى حكم البلاد المصرية في المرة الاولى للفترة (٧٨٤هـ - ٧٩١هـ/١٣٨٢م - ١٣٨٩م) ثم عزل وعاد لحكمها مرة ثانية للفترة (٧٩٢هـ - ٨٠١هـ / ١٣٨٩م - ١٣٩٨م) . للمزيد ينظر: العيني، بدر الدين (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق إيمان شكري، ط١، القاهرة،

- ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م ، ص٤٩٤؛ الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع
بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، د/ت، ج١، ص١٦٢.
- ٣١- منطاش : وهو احد أمراء المماليك الذين ثاروا على الظاهر برقوق،
وبعد فشل ثورته لجأ إلى العربان، قتل على يد اتباع نائب حلب وارسل
رأسه إلى القاهرة عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء،
ج١، ص٤٥١.
- ٣٢- يلبغا الناصري: بن عبد الله الناصري اليلبغاوي، مات مقتولا في قلعة
حلب عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م. للمزيد ينظر: ابن طولون، محمد، (ت
٨٥٣هـ/١٤٤٩م)، أعلام الوري بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام
الكبرى، تحقيق محمد احمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م ،
ص٥٥؛ أبو المحاسن، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)،
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين،
ط١، بيروت، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م، ج١٢، ص٩٨.
- ٣٣- الكرك: قلعة حصينة جدا في طرفي الشام من ناحية البلقاء في جبالها
بين آيلة والقلزم. للمزيد ينظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، (ت
٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت ١٤٢٩ هـ/
٢٠٠٨م)، ج٧، ص١٣١.
- ٣٤- القلقشندي، احمد بن علي ، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، مآثر الأناقة في
معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار، احمد فراج، الكويت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
، ج٢، ص١٨٩؛ السيوطي، عبد الرحمن، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن
المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،
بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ج٢، ص٦٨؛ طرخان، إبراهيم علي ، مصر
في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص٦٢.

- ٣٥- القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩٤؛ طرخان، مصر، ص٢٦٢.
- ٣٦- ابن حجر، أحمد بن علي، (٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م، ج٢، ص٨٢؛ أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٣؛ حسن، علي إبراهيم، مصر في العصور الوسطى، القاهرة، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤ م، ص٢٣٦.
- ٣٧- بعد سجن السلطان الظاهر في الكرك انتخب أمراء المماليك المنصور حاجي سلطانا للبلاد المصرية، فقام السلطان الظاهر برقوق بعزله، وعاد ثانية إلى السلطنة التي استمر بها حتى وفاته عام ٨٠١هـ / ١٣٩٨ م. للمزيد ينظر: القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩٥.
- ٣٨- نوروز: ولي إمارة دمشق عام ٨٠٨هـ / ١٤٠٥ م، وعزل عنها في نفس السنة ثم تولاهما ثانية عام ٨١٥هـ / ١٤١٢ م، قتل على يد السلطان المؤيد شيخ عام ٨١٧هـ / ١٤١٤ م. للمزيد ينظر: ابن طولون، أعلام الوري، ص٥٨.
- ٣٩- اتفق نوروز مع عدد من الأمراء على قتل السلطان الظاهر برقوق، فوصلت هذه الأنباء إلى السلطان وتمكن من القبض عليه وسجنه في الإسكندرية. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٨.
- ٤٠- القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩٠.
- ٤١- فرج بن برقوق: ولي السلطنة مرتين فقد ترك السلطنة واختفى عام ٨٠٨هـ / ١٤٠٥ م، ثم عاد ثانية في العام نفسه، واستمر بالسلطنة حتى قتل عام ٨١٥هـ / ١٤١٢ م. للمزيد ينظر: الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص١١٢.
- ٤٢- القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩٠.

- ٤٣ -ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، صححه أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، عمان، د/ت، ص٢١١٧.
- ٤٤ -الأمير الكبير: رتبة عسكرية في الجيش المملوكي من مقدمي الألوف تؤهل صاحبها تولي نيابة السلطنة أو اتابكية العسكر .للمزيد ينظر: دهمان ،محمد احمد ،معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ،ط١، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م ،ص٢٢ .
- ٤٥ -ايتمش: بن عبد الله البجاسي نائب الشام، توفي عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م في المعركة التي حدثت بينه ،وبين السلطان الناصر فرج. للمزيد ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل، (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٩، ص٢٧٠.
- ٤٦ -الاتابك: وهو مقدم العساكر والقائد العام للجيش المملوكي. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص١٨.
- ٤٧ -ابن خلدون، تاريخ، ص٢١١٧؛ ابن الصيرفي، علي بن داود، (ت٩٠٠هـ /١٤٩٤م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٢، ص٣٣.
- ٤٨ -طلب السلطان الناصر من ايتمش ان يترك باب السلسلة التي يسكن فيها الاتابك ويعود للسكن في داره، فوافق على ذلك. للمزيد ينظر: ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، (ص٣٤ - ص٣٥)؛ ابن إياس، محمد بن أحمد، (ت٩٣٠هـ/١٥١٠م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد

مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ج١، ق٢، ص٥٥٧.

٤٩ - تتم: الظاهري، اظهر العصيان بعد وفاة السلطان الظاهر برقوق وطالب بالسلطنة، فتمكن الناصر فرج من القبض عليه وقتله عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء الغمر، ج٢، ص١١٩.

٥٠ - القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩١؛ ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٩١؛ ضومط، أنطوان خليل، الدولة المملوكية التاريخ والسياسي والاقتصادي والعسكري، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص٣٣٢ - ص٣٣٤.

٥١ - ابن خلدون، تاريخ، (ص٢١١٨ - ص٢١٢٤)؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، (ص٨٠ - ص٩٤)؛ شلبي، احمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٢، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ج٥، ص٢٥١.

٥٢ - شيخ المحمودي: شرف الدين الخاصكي، تولي نيابة طرابلس ثم دمشق، وفي عام ٨١٥هـ/١٤١٢م ولى سلطنة البلاد المصرية، وبقي بها حتى وفاته عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م. للمزيد ينظر: ابن طولون، أعلام، ص٥٧٣.

٥٣ - القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩٤.

٥٤ - عبد العزيز بن برقوق: الملك المنصور، ولي السلطنة بعد اختفاء أخيه الناصر فرج، استمرت سلطنته شهرين وثلث الشهر، وبعد عودة أخيه إلى الحكم أرسله إلى الإسكندرية واستقر بها. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج٤، ص٢١٧.

٥٥ - بيبيرس: بن عبد الله الظاهري، احد ممالك الظاهر برقوق، اعلن عصيانه للسلطان الناصر فرج فقبض عليه ،وسجن بالإسكندرية، حتى قتل عام ٨١١هـ/١٤٠٨م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، المنهل، ج٢، ص٤٨١.

- ٥٦ -ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢١٣.
- ٥٧ -يشبك الشعباني: أحد ممالك السلطان الظاهر برقوق واتابك ابنه الناصر فرج، قتل على يد نوروز عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج١٠، ص٢٧٩.
- ٥٨ -ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢١٤.
- ٥٩ -أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، (ص٧ - ص١١).
- ٦٠ -المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٤٨؛ النبروي، رأفت محمد، السكة الإسلامية في مصر، ط١، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٤٩.
- ٦١ -ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص١٢؛ حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٢٣٦.
- ٦٢ -التقى السلطان الناصر مع شيخ المحمودي في معركة اللجون فأنهزم الناصر واحتتمى بقلعة دمشق فحاصره شيخ حتى تمكن من القبض عليه، وقتله في السابع عشر من صفر من عام ٨١٥هـ/١٤١٢م. للمزيد ينظر: القلقشندي، مآثر الأنافة، ج٢، ص٢٠٥؛ الملطي، عبد الباسط بن خليل، (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٢١.
- ٦٣ -السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٦٥.
- ٦٤ -محمود بن علي: بن اصفر، جمال الدين الاستادار، توفي بسبب التعذيب في خزانة شمائل عام ٧٩٩هـ/١٣٩٤م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل الشافي، ج٢، ص٧٢٧.
- ٦٥ -نظر دار الضرب: وتعد من الوظائف الدينية، وهنالك داران للضرب في مصر الأولى في القاهرة، والثانية في الإسكندرية. للمزيد ينظر: ابن

مماتي، اسعد، (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال، القاهرة، ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م، ص ٣٣١؛ ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، (ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه بولس راويس، باريس، ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م، ص ٥١.

- ٦٦ -المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٣٧٤.
- ٦٧ -أبو المحاسن، المنهل، ج ١، ص ١١٢.
- ٦٨ -الاستادار: ومهمته التحدث في بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناة والحاشية والغلمان، ويقوم بالتصرف في كل ما يلزم بيت السلطان من نفقات وكساوي وما يجري مجرى ذلك للمماليك وغيرهم. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢١.
- ٦٩ -الوزير: وتعد من اجل الوظائف، ويأتي صاحبها بعد السلطان مرتبة، ومهمته التحدث في المال. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج ٤، ص ٢٨.
- ٧٠ -ناظر الخاص: ومن صلاحياته النظر في خاص أموال السلطان، ونقل المباشرين، وله العديد من الموظفين والكتاب كمستوفي الخاص وناظر خزانة الخاص. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج ٤، ص ٣٠.
- ٧١ -المقريزي، الخطط، ج ٤، ص ٢٨.
- ٧٢ -المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٣٧٤.
- ٧٣ -ابن حجر، أنباء، ج ٢، ص ٣٢٨.
- ٧٤ -السخاوي، الضوء، ج ١، ص ٦٦.
- ٧٥ -المقريزي، الخطط، ج ٤، ص ٢٨٩.

٧٦ -والي القاهرة: ومهمته النظر في أمور القاهرة وضواحيها، ويتولى هذه

الوظيفة من يكون بأمره طبلخانة. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص٢٣.

٧٧ -ابن الطبلاوي: علي بن عبد الله بن محمد، ينتسب إلى قرية طبلاوة في

الوجه البحري، صادر السلطان الناصر أمواله ونفاه إلى الكرك، مات مقتولا عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج٥، ص٢٥٢.

٧٨ -ابن حجر، أنباء، ج١، ص٣٩٧.

٧٩ -المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٧٥.

٨٠ -السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٦.

٨١ -ابن حجر، أنباء، ج١، ص٤٨٩.

٨٢ -ابن قاضي شهبه، تقي الدين احمد، (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م)، تاريخ ابن

قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش، دمشق، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٧م، ج٣، ص٥٥٣، ص٥٧٤.

٨٣ -اصدر السلطان الظاهر أوامره لابن الطبلاوي بمعاينة محمود الاستادار

وضربه بالمقارع اذا لم يدفع المبلغ كاملا، فتدخل ابن الطبلاوي بينهما حتى خفض المبلغ إلى مائة وخمسين الف دينار. للمزيد ينظر: المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٧٤؛ ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج٣، ص٥٤٢.

٨٤ -وولي كذلك وظيفة مشير الخاص وناظر كسوة الحرمين الشريفين

والأوقاف ، فضلا عما بيده من وظائف كالحجوبية والتحدث في الولاية. للمزيد ينظر: ابن قاضي شهبه، تاريخ ابن قاضي شهبه، ج٣، ص٥٥٣، ص٥٧٤.

٨٥ -أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٥٤.

٨٦ -صدرت الأوامر باعتقال زوجة محمود الاستادار وابنه ناصر الدين الذي كان يلي نيابة الإسكندرية وسجنوا لأكثر من مرة للاعتراف عن الأموال الموجودة عند محمود الاستادار. للمزيد ينظر: ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج٣، ص٤٢٢.

٨٧ -المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٨٨.

٨٨ -عثر عند محمود الاستادار من الأموال ما يفوق الوصف، فوجد له مبلغ ألف الف درهم فضة فحملت إلى السلطان، ثم وجد له مبلغ ستة آلاف دينار وأربعة وعشرون ألف وخمسمائة درهم، ثم عثر له على خمسين ألف دينار. للمزيد ينظر: المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٨٢.

٨٩ -الديوان المفرد: وهو من الدواوين التي أنشأها الفاطميون، ثم قام السلطان الظاهر بإعادة ترتيبه، وافرد له بعض البلاد، وعين له المباشرين، ومنه تصرف نفقة المماليك، والجامكيات، والكسوة، والعليق، وغيرها، ويتولى إدارته الاستادار. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٥٢٤؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة، ص١٠٧.

٩٠ -الحمايات: وهي مكوس يفرضها السلطان أو الامير على بعض الاراضي والمتاجر والمراكب والارزاق، ويقوم الامير بحماية الشخص الذي يدفع هذا المكس. للمزيد ينظر: عاشور، العصر المماليكي، ص٤٠٩.

٩١ -الجوامك: وهو الراتب المربوط لشهر أو أكثر. للمزيد ينظر: عاشور، العصر المماليكي، ص٤٠٤.

٩٢ -الأدر الشريفة: وهي الاماكن الخاصة بسكن الخوندات، أي الحريم السلطاني. للمزيد ينظر: ابن شاهين الظاهري، زبدة، ص١٢١؛ عاشور، العصر المماليكي، ص٣٨٨.

٩٣ -ابن شاهين الظاهري، زبدة، ص١٠٧.

- ٩٤ -المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٣٨٨؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٧٤.
- ٩٥ -أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١٠٤.
- ٩٦ -المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٣٨٨؛ ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٤٨٣، ص٤٧٧.
- ٩٧ -المقرئزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٩.
- ٩٨ -أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، ص١١٣.
- ٩٩ -أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١٠٤.
- ١٠٠ -كتيعين ابن الربيعي في قضاء الإسكندرية بدلا من ابن الدماميني الذي عزل لسوء سيرته . للمزيد ينظر: المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٤١٢.
- ١٠١ -يلبغا المجنون: بن عبد الله الناصري اليلبغاوي، مات قتيلا بقلعة حلب عام ٧٩٣ هـ/١٣٩٠م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٩٨.
- ١٠٢ -المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٤١٢؛ ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٢١.
- ١٠٣ -المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٤١٢.
- ١٠٤ -المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٤١٣.
- ١٠٥ -سلم ابن الطبلابي إلى يلبغا الاستادار لمحاسبته ،وليخبره عن أمواله المخبأة، فأخرج من بيته اثنين وعشرين حملا ما بين سمور ،وغيره من أنواع الفرو، وثياب صوف ،ومائة وستون ألف دينار، ثم اخذ من داره أيضا مبلغ خمسة وثمانون ألف درهم ،ثم سجن في خزانة شمائل .للمزيد ينظر: ابن إياس، ج١، ق٢، (ص٤٩٧- ص٤٩٩).
- ١٠٦ -نظر الكارم: وهي من الوظائف الرفيعة تلحق في بعض الأحيان بالوزارة ، وفي أحيان أخرى تلحق بنظر الخاص، وفي بعض الأحيان تتفرد عنها

،ومهمة ناظرها التحدث على واصل التجار الكارمية من اليمن من أصناف البهار وأنواع المتجر. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص٣٣.

١٠٧ -المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤١٦.

١٠٨ -ناظر الجيش: ووظيفته النظر في أحوال الجيش، وتوقيع التجريدات، والتحدث في الإقطاعات في مصر والشام والكشف عنها ،ومشاورة السلطان عليها ،وله العديد من الاتباع. للمزيد ينظر: السبكي، عبد الوهاب، (ت ٧٧١ هـ/١٣٦٩ م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، ط١، القاهرة، ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م، ص٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١.

١٠٩ -ابن الدماميني: شرف الدين محمد بن محمد المالكي توفي عام ٨٠٣ هـ/١٤٠٠ م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٢٧٦.

١١٠ -المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤٢٨؛ ابن حجر، أنباء، ج٢، ص١٥.

١١١ -المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٩.

١١٢ -أبو المحاسن، النجوم، ج٢، ص٨٣.

١١٣ -بدر الدين محمد بن الطوخي: محمد بن محمد الوزير وزير الديار المصرية، توفي بطالا سنة ٨٠٧ هـ/١٤٠٤ م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل الشافي، ج٢، ص٦٧٩.

١١٤ -المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤٣٥.

١١٥ -المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤٥٢.

١١٦ -ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٤٨.

١١٧ - أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص١٦٨.

١١٨ -المقريزي، السلوك، ج٦، (ص٢٤ - ص٢٩).

- ١١٩ - السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٧٧؛ ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٤٣٧.
- ١٢٠ - يلغا السالمي: سيف الدين بن عبد الله الظاهري برقوق كان كثير الظلم، مات خنقا بالإسكندرية عام ٨١١ هـ/١٤٠٨م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل الشافي، ج٢، ص٧٩٤.
- ١٢١ - ابن حجر، أنباء، ج٢، ص١٤٤.
- ١٢٢ - المقرئ، السلوك، ج٦، ص٧٥.
- ١٢٣ - وتمت محاسبة يلغا وعوقب ثم أفرج عنه. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء، ج٢، ص١٤٤.
- ١٢٤ - المقرئ، السلوك، ج٦، ص٥٧، ص٦٣.
- ١٢٥ - المقرئ، الخطط، ج٤، ص٢٨٩.
- ١٢٦ - المقرئ، السلوك، ج٦، ص٧٤.
- ١٢٧ - كاتب السر: ومهمته قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها واخذ خط السلطان عليها وإرسالها. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠.
- ١٢٨ - فتح الدين فتح الله: بن مستعصم بن نفيس القاضي، ولد بتبريز، استمر بوظيفته حتى قبض عليه السلطان المؤيد شيخ عام ٨١٦ هـ/١٤١٣م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل، ج٢، ص٥١٩.
- ١٢٩ - السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٨٣.
- ١٣٠ - أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٤.
- ١٣١ - أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، ص٤؛ ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢١١، ص٢١٩.

١٣٢ -عين الفخر بن المزوق بوظيفة كاتب السر. للمزيد ينظر: ابن حجر، أبناء، ج٣، ص٣٢٩؛ عز الدين، محمد كمال الدين، التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، ط١، دار اقرأ، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٣٢٠.

١٣٣ -المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٠٣.

١٣٤ -المقريزي، احمد بن علي، (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط٣، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٤٢؛ حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٢٣٥.

١٣٥ -المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٠٣.

١٣٦ -السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٦.

١٣٧ -ابن حجر، أبناء، ج٢، (ص١٤٦ - ص١٤٧).

١٣٨ -الزمام: وهو الذي يتحدث على باب ستارة السلطان، وعادة ما يكون أمير طبلخانة. للمزيد ينظر، القلقشندي، صبح، ج٤، ص٢٢، ج٥، ص٤٥٩.

١٣٩ -تروجة: قرية بمصر من كور البحيرة من أعمال الإسكندرية. للمزيد ينظر: الحموي، معجم، ج٢، ص٤٤١.

١٤٠ -المثال: وجمعه مثلات، وهو ما يكتب من الأوراق الرسمية إيدانا بإعطاء احد المماليك إقطاعا من الإقطاعات الخالية . للمزيد ينظر: عاشور، العصر المماليكي، ص٤٤٦.

١٤١ -المقريزي، السلوك، ج٦، ص٦٧.

- ١٤٢ -سودون طاز: بن عبد الله احد ممالك السلطان الظاهر، توفي عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٤م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، المنهل الصافي، ج٦، ص١٣٢.
- ١٤٣ -المقريزي، السلوك، ج٦، ص٦٧.
- ١٤٤ -أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٢١٩.
- ١٤٥ -ابن حجر، أنباء، ج٢، ص١٠٨.
- ١٤٦ -ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص١٦٤.
- ١٤٧ -الشراب خانات: أي بيت الشراب ، وفيها مختلف أنواع الأشربة ومنها الأدوية التي يحتاجها السلطان . للمزيد ينظر، القلقشندي، صبح، ج٤، ص٩.
- ١٤٨ -المقريزي، السلوك، ج٦، (ص١٥ - ص١٦).
- ١٤٩ -الزردخانة: وتعرف بالسلاح خانة أي بيت السلاح الذي توجد فيه الدروع الزرد وأنواع السلاح. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص١١.
- ١٥٠ -ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص١٦٤.
- ١٥١ -اينال باي: بن قجماس احد ممالك السلطان الظاهر برقوق، ولي وظائف عدة، قتل على يد شيخ المحمودي عام ٨٠٩ هـ/١٤٠٦م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، المنهل، ج٢، ص٢١٧.
- ١٥٢ -ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢٠٥.
- ١٥٣ -ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٢٩٧.
- ١٥٤ -المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٤١.
- ١٥٥ -أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، ص٢٥٨.
- ١٥٦ -ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢١٤.
- ١٥٧ -ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٢٢.

١٥٨ -المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٤٨؛ كان سعد الدين وبالتعاون مع يشبك يطلعون السلطان بالأخبار يوماً بيوم، لاسيما الأخبار التي تزيد من غضبه وحقده على الأشخاص المقربين منه كبيبرس واينال باي وغيرهم ممن خالف هواه هوى الأمير يشبك. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣١٩.

١٥٩ -المقريزي، الخطوط، ج٤، ص٢٩٠.

١٦٠ -رأس مشورة، ومهمته إحضار الخليفة وقاضي القضاة والوزير والأمراء ومقدمي الألوفاً واتباعهم، لاستشارتهم في أي أمر كلفه السلطان به. للمزيد ينظر: ابن شاهين الظاهري، زبدة، ص١٠٦.

١٦١ -إمرة مائة مقدمة ألف: وهي من أعلى مراتب الأمراء في عصر المماليك، وهي خاصة بأرباب السيوف، ويكون في خدمة صاحبها مائة مملوك، وفي أوقات الحرب يكون مقدماً على ألف جندي من أجناد الحلقة. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص١٤؛ عاشور، العصر المماليكي، ص٣٩٣.

١٦٢ -الكلوته: أو الكلفته، وهي طاقية تؤلف هيكل العمامة، وتلبس من قبل رجال الطبقة الرفيعة. للمزيد ينظر: دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة اكرم فاضل، بغداد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٣١٢.

١٦٣ -المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٥٠؛ ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٢٩؛ ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٧٥٥.

١٦٤ -أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١١١.

١٦٥ -ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٧٥٥.

١٦٦ -أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، ص١١٢.

- ١٦٧ -القولنج الصفراوي: بفتح اللام، هو مرض معوي مؤلم. للمزيد ينظر:
الفيومي، احمد بن محمد، (ت٧٧٠هـ/١٣٥٠م)، المصباح المنير في
غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، د/ت، ج٢،
ص٥١٨؛ مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع
اللغة العربية، دار الدعوة، د/ت، ج٢، ص٧٦٧.
- ١٦٨ -المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٩١.
- ١٦٩ -السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٦.
- ١٧٠ -أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١١١.
- ١٧١ -ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢٢١.
- ١٧٢ -المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٩١؛ ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢٢١.
- ١٧٣ -ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٣٠.
- ١٧٤ -ابن حجر، أنباء، ح٢، ص١٤٦.
- ١٧٥ -ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢٠٥.
- ١٧٦ -القيراط: وهو جزء من أجزاء الدينار، ويعادل نصف عشره في اكثر
البلاد، أما أهل الشام فيجعلونه جزءاً من أربعة وعشرون. للمزيد ينظر:
الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، (٦٦٠هـ / ١٢٦١م)، النهاية في
غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ،
المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م، ج٤، ص٤٢؛ ويعادل نصف
دانق. للمزيد ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ج٢، ص٤٩٨.
- ١٧٧ -المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٧٢.
- ١٧٨ -المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٩١.
- ١٧٩ -السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٧.

- ١٨٠ -الخانقاه: وهو البيت الذي ينقطع فيه الصوفية للعبادة والذكر. للمزيد ينظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د/ت، ج٢٥، ص٢٧٠؛ عاشور، العصر المالكي، ص٤١١.
- ١٨١ - جامع بشتاك : ويقع خارج القاهرة بخط قبو الكرمانى على بركة الفيل، بناه الامير بشتاك ،وانتهى منه سنة ٧٣٦هـ /١٣٣٥م.للمزيد ينظر:المقريزي، الخطط، ج٤، ص١١٠.
- ١٨٢ -المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٩.
- ١٨٣ -السخاوي، عبد الرحمن، (ت٩٠٢هـ /١٤٦٩م)، الذيل على رفع الإصر، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح، مراجعة علي البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م، ص٤٩٣.
- ١٨٤ -موسى بن أحمد بن موسى: بن عبد الله بن سليمان الشرف السبكي توفى سنة ٨٤٠هـ /١٤٣٦م. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج١٠، ص١٧٦.
- ١٨٥ -السخاوي، الضوء، ج١٠، ص١٧٧.
- ١٨٦ -السخاوي، الضوء، ج٩، ص١٧٨.
- ١٨٧ -السخاوي، الضوء، ج٥، ص٢٠٣.
- ١٨٨ -محمد بن احمد بن معالي الشمس الحبتي: ولد سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م بدمشق، توفي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٠م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل الشافي، ج٢، ص٥٩٥.
- ١٨٩ أمثال إبراهيم بن علي بن سليمان، ومحمد بن علي البالسي، وابن الزاهد محمد بن محمد بن عمر القاهري الذي كان مسؤولاً عن خزانة الكتب، للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج١، ص١٧؛ ج٩، ص١٧٨؛ الذيل، ص٢٨٢.

قائمة المصادر و المراجع

أولاً:- قائمة المصادر

- ابن إياس ، محمد بن أحمد، ()، (٩٣٠هـ / ١٥١٠م)
- ١- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- . الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٦٠هـ/١٢٦١م)
- ٢ -النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق ، طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م .
- . ابن حجر، احمد بن علي، (٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م)
- ٣-أنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤ م .
- ٤-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان ، ط٢ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ،الهند ،حيدر آباد ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- . الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨ م)
- ٥-معجم البلدان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م .
- . الحنبلي ، عبد الحي ، (ت ١٨٠١هـ/١٦٧١ م)
- ٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط ١ ، دمشق ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥ م .
- . ابن خلدون ، عبد الرحمن ، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥ م)
- ٧-تاريخ ابن خلدون ، صححه أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، الأردن ، عمان ، د/ت .
- الرازي ، محمد بن أبو بكر ،(٦٦٦هـ/١٢٦٧م)

- ٨- مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- السبكي ، عبد الوهاب ، (ت ٧٧١ هـ/١٣٦٩ م)
- ٩- معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار وآخرون ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨م
- . السخاوي ، عبد الرحمن ، (ت ٩٠٢ هـ /١٤٦٩م)
- ١٠- الذيل على رفع الإصر ، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح ،مراجعة علي البجاوي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م .
- ١١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، بيروت، د/ت.
- . السيوطي ، عبد الرحمن ، (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م)
- ١٢- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤م.
- . ابن شاهين الظاهري ، غرس الدين خليل ،(ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م)
- ١٣- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، صححه بولس راويس، باريس، ١٣١٢ هـ/١٨٩٤م .
- الصفدي، صلاح الدين خليل،(ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
- ١٤-الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث ،بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
- . ابن الصيرفي ، علي بن داود ،(ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م)
- ١٥- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- . ابن طولون ، محمد ، (ت ٨٥٣ هـ/١٤٤٩ م)

- ١٦- أعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق محمد احمد دهمان ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- . العيني ، بدر الدين (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)
- ١٧- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق إيمان شكري، ط١، القاهرة، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٤ م
- . الفيومي ، احمد بن محمد ، (ت ٧٧٠ هـ / ١٣٥٠ م)
- ١٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د/ت .
- ابن قاضي شهبة ،تقي الدين احمد ،(ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٨ م)
- ١٩-تاريخ ابن قاضي شهبة ،تحقيق عدنان درويش، دمشق ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٧ م .
- . القلقشندي ، احمد بن علي ،(ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
- ٢٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط٢، بيروت ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٢١- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار، احمد فراج، الكويت، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- . أبو المحاسن، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)
- ٢٢- الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق محمد فهم شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م .
- ٢٣- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٢٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

- المقريزي ، احمد بن علي ، (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)
- ٢٥- إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط٣، القاهرة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- ٢٦- الخطط المقريزية ، وضع حواشيه خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٢٧- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- الملطي ، عبد الباسط بن خليل، (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)
- ٢٨- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، ط١، القاهرة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م
- ابن مماتي ، اسعد ، (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)
- ٢٩- قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال ، القاهرة ، ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م .
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)
- ٣٠- لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د/ت.
- ثانيا :- قائمة المراجع
- حسن، علي إبراهيم
- ٣١- مصر في العصور الوسطى ، القاهرة، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م.
- دهمان ، محمد احمد
- ٣٢- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م
- دوزي ، رينهارت
- ٣٣- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة اكرم فاضل ،بغداد ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

. الزبيدي ، محمد مرتضى

٣٤- تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د/ت .

- شلبي ، أحمد

٣٥ - موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط٢ ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م ..

. الشوكاني ، محمد بن علي

٣٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة ، د/ت .
- ضومط ، أنطوان خليل

٣٧- الدولة المملوكية التاريخ والسياسي لاقتصادي والعسكري ، ط٢ ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .

. طرخان ، إبراهيم علي

٣٨- مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩م .
. عاشور ، سعيد عبد الفتاح .

٣٩- العصر المماليكي في مصر والشام ، ط١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م .

. عز الدين ، محمد كمال الدين

٤٠- التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني ، ط١ ، دار اقرأ ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

. مصطفى ، إبراهيم ، وآخرون

٤١- المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، د/ت .
. النبراوي ، رأفت محمد

٤٢- السكة الإسلامية في مصر ، ط١ ، القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

Economic and Political Role of the Judge SAADULDEEN

BN GHRAB (...– 808 A.H/ ... – 1405 A.D)

the Judge SAADULDEEN BN GHRAB is the most important personalities that have a significant role of Political , Administrative and economic Side in Mamluk Circassians in the era of AL–SULTAN AL–DAHIR BARQOOQ (784A.H– 801 A.H / 1382A.D–1398A.D) and his son AL–SULTAN al–NASIR FARAJ (801A.D–815A.D/ 1398A.D–1412A.D) .

He is one of AL–AQBAT writers sons who wrote by his Intelligence, ambition and high efficiency to take a good offices in the State. AL–SULTAN AL–DAHIR BARQOOQ followed him in Sufer (798A.H–1395A.D) as an official of single Diwan to distribute the expenses of Mamluks, Gamkiat, cladding and blackberries. For his diligence and skill in his job, Sultan Al–Dahir added to him two jobs of a special official and the army after a brief period of taking the office of the Single Diwan official and SAADULDEN obtained a trust of AL–SULTAN which led to make him one of the guardians of his son AL–NASIR FARAJ (801A.H/ 1398A.D).

AL-SULTAN AL-NASIR much adopted of the judge SAADULDEEN BN GHRAB. Therefore, he gave him Stadiums job, adding to his jobs. He took the office of clerk who did not stay for a long time. AL-SULTAN exaggerated in honor him and granted him gifts and titles in many occasions.

The role of SAADULDEEN BN GHRAB is clear during the Sultan's keenness to resort and consult him if he faced a political or economic problems that he could not resolved it, especially the problems that are related to distribute the expenses of Mamluks. In some times, SADDULDEEN had to resolve these problems by paying from his own money or borrowing from close persons to cover the State expenses.

In addition to his political and economic works, he had righteousness works who made it for reward. He participated in building his country in the crisis, especially in epidemic done on (806 A.H/1403A.D) that learned him love of all people, he built Khanaqah and two schools which carried his name for the purpose of publishing science and knowledge.

**اثر الفكر الديني الرافديني على الفكر
الديني المصري القديم**

**أ.م.د. انتصار ناجي عبد الزنكي
جامعة الكوفة/كلية الآثار**

جذور الرافدينية / للآلهة "حورس" في الفكر الديني المصري القديم

المقدمة :

" الحضارة مثل المرض تنتقل بالعدوى "

تبدو هذه الفرضية بايولوجياً مقبولة ولكن إلى أي مدى مقبول فكرياً وحضارياً... هذا ما يحاول أن يجيب عليه هذا البحث والذي يصطف مع كثير من البحوث التاريخية والفكرية والفلسفية والتي تبحث في المشترك الحضاري الذي يجمع ما بين الكثير من الحضارات ومنها الحضارة العراقية والمصرية .. وان كنا قد اتفقنا على ان كثير من المنقول الينا هو مشترك حضاري لذلك كان منطقياً أن نقول أن الفكر بكل حيثياته الفكرية والفلسفية والدينية والأسطورية هي المساحة التي تمددت عليها الحضارة بكل مشتركاتها الفكرية وهي الجسر الرابط بين فعالية كل هذه الحضارات .

ان أبناء الشرق القديم في كل من (مصر والعراق) بأسئلتهم العديدة والتي جعلتهم يضيفون شيئاً من الهاله على القوى المنيعه التي بدت بنظرهم كونها قيمة للعالم الذي يحيط بهم فكان خيالهم الواسع هو الذي مكنهم من اكتشاف وسائل لتبرير وجود هذه المعبودات أو التفاهم معها وبعد ذلك تنظيم العلاقة معها من خلال عبادتها . هذا الامر كان هو الذي اضى بظلاله على المعبود "حورس" اقدم إله سماوي مصري والذي يُعد وارث مجد أبيه الإله اوزيرس والمقتول على يد اخيه (مست) وقصة القتل هذه تتشابه مع قصة [هابيل وقابيل] (وآدم وحواء) التي ذكرناها في ثنايا هذا البحث .

والذي هو محاولة لتأصيل جذور الحكاية الرافدينية للآلهة حورس الصقر في اللاهوت المصري .

والبحث في محاولته تفكيك مفهوم الأثر والتأثر في هذه الحكاية تم اقتفاء اثر سير هذه الحكاية وفرضيات الانتقال سواء المباشر أو غير المباشر. ورغبنا في تحديد المساحة الجغرافية التي تمددت فيها الحكاية وتباين آلية النقل أو الانتقال سواء كان هذا الانتقال جزئياً أو غير جزئي ايحائياً أم غير أيحائي، مع قناعتنا بالفرضيات التي اشتغل عليه البحث والتي نؤمن ان الانتقال والتأثر ليست مزية بل هي طبيعة البشر المجبول بالأجوبة أو الحكايات التي تفكك الألغاز التي تحيط به من كل مكان.

المبحث الأول

تأصيل الحكاية الاسطورية (لحورس)

لقد نشأت الأساطير تعبيراً عن حاجة الإنسان البدائي إلى تفسير الطبيعة تفسيراً قائماً على العقل، وهذه النشأة جاءت استجابة لعواطف الجماعة البشرية^(١). لما حملته هذه الأساطير من أبعاد دينية وتاريخية ورمزية وطبيعية، وبمقتضاها أخذت تشخص عناصر الكون من هواء ونار وماء أو تتحول إلى كائنات أو تختبئ وراء مخلوقات غامضة^(٢).

فكانت هذه الأساطير جزء من دين الناس... الذي كان جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة الإنسانية وموجود فيها منذ البداية . بينما كانت التغييرات الظاهرية في هذا الدين عرضةً للتغيير أو التبدل مع الزمن ولأن التكوين السايكولوجي عند الإنسان هو الذي يجعل التغيير عند الإنسان ممكناً لأنه يُعد ما في هذه الأساطير من آراء وحقائق معتبرة في تغيير الوجود (أي وجوده)^(٣) .

لقد كان الإنسان القديم والذي عاش في هذه المنطقة على اتصال وثيق بالطبيعة فقد أضفى على الظاهرة الشاذة حياة خاصة ، فحينما لاحت له هذه الأشياء نظر إليها النظرة نفسها :-

- ١- فالصقر كالشمس يطفو في السماء بدون قوة دافعة ظاهره .
- ٢- وابن آوى " الثعلب " كان كالشبح الذي يسكن في غابة الحياة .
- ٣- والتمساح ككتله من الطين جاثم على ظهر النهر .
- ٤- والثور الجامح هو رمز للخصب في الحياة .

هذه الحيوانات كانت جزء من المشهد الذي يعيش فيه الإنسان وهي تسمو على المألوف من طبائع الحيوانات وكان صنع نموذج خيالي لهذا الكائن فوق الطبيعة مسألة لا مفر منها^(٤) لمخاطبته أولاً ، ثم تكون هذه النماذج

تعكس شخصيته ووظيفته ، وقد أضفى عليها خيال هذا الانسان بعض مدلولاتها عنده ومن الممكن أن يزود الجسم البشري، وهو شخص الإله برأس حيوان يوحي بوظيفة المعنى ... فعلى سبيل المثال كانت هنالك كلاب ضخمة متوحشة ومرعبة تحوم على مقربة من القرى.. وعليه فقد تم اتخاذ بعض اشكال هذه الحيوانات على مسافة قريبة من المقابر المنحوتة في الأراضي الصحراوية المتاخمة لضفاف النيل وينظر إليها كراس لمواطن (الراحة الأبدية) وكثير ما اتصفت اسماء الكائنات الإلهية جانباً من سماتها في العالم المحسوس أو العميق .. فعلى سبيل المثال فأن (آمون / الخفى) الذي يستعصى ادراكه ويظهر في الرسوم المصرية بتاج طويل من الريش وقد عبّد في مدينة طيبة منذ عام ٢٠٠٠ ق.م ويعرف بالقصيدة الدينية المصرية كونه خالق العالم و(انوبيس/ الكلب - الفتى) الذي يوحي عنفوان شبابه بالكائن المتجدد وكذلك أسماء الإلهة الأخرى امثال (خنوم - والذي يعني أسمه " مانح الحياة" وبتاح والذي يعني اسمه " خالق الحياة" والالهة " وأجبت" والتي يعني اسمها " سيدة الخضرة الأبدية" أو الدلتا ذات المحاصيل الوفيرة^(٥).

هذه الأسماء التي تذكر بالمهام أو الجوانب الخفية للكيانات الإلهية ليست سوى انعكاس للدور الذي تضطلع به هذه الإلهة في الكون دون ان تسمح للبشر بالتعرف على شخصيتها الحقيقية^(٦) .

ويضيف " كتاب الموتى" وقصة الخليقة الفرعونية فيقول :-

كان الكون فضاءً ازلياً يغمره الظلام وتنعدم فيه الحركة حتى خلق الاله الاكبر " رع " نفسه بنفسه فسارت الحركة الدائمة وغمر النور الكون كله ومن انفاسه انجب شو وتفنوت أبا الكون... وتزوج شو وتفنوت فانجبا " توت" ربة السماء وكذلك " جب" اله الارض^(٧) .

ونعود الى توضيح فكرة سلطة الالهة وتكوينها في مخيلة المصري القديم : فنقول الاسطورة لقد انتج عن زواج شو الهة القضاء ويصور في الرسوم المصرية على هيئة انسان برأس أسد وتقنوت والتي يعبر عنها كعين للشمس أربع ابناء هم :-

(ايزيس، وايزيرس) و (ست ، ونفتيس) وهي آلهة الخير والخصب والشركة والبركة على التوالي^(٨) ، وبوجودهم بدأت الحياة في الأرض وبدأ فيها الصراع البشري عندما قتل " ست " (اله الشر) اخاه اوزيرس (اله الخير) وقصة القتل هذه تتشابه مع قصة (قابيل وهابيل) (وآدم وحواء) والتي ذكرتها كثير من الكتب السماوية^(٩).

أن مثلث الخلق الذي صورته الفراعنة مكوناً من (رع - شو - تقنوت) أي (الحرارة والهواء والماء) وهذا الثلاثي الاسطوري قد ارتبط بمعادلة التكوين التي تجمع بين الأرض والسماء والخصب ... وهي نشأة مصرية الأصل وكما أن أي عقيدة دينية تخضع في تطورها إلى تأثير مختلف المذاهب الدينية وإلى تعدد المعابد التي انتشرت في أنحاء الوادي وتتنازع السلطات فيما بينها خاصة في أقاليم الدلتا حيث أصبح لكل إقليم معبده الخاص، وترجم كل معبد رسالة العقيدة ، على هواه ، فاتخذ كل معبد اله خاص به فتحوّلت ملائكة ومعبودات التاسوع المقدسة إلى آلهة للخلق ، وظهرت رموز وصور أرضيه للإلهة فرمز لها بمختلف الحيوانات الحية والأسطورية والخرافية فظهرت، الجعران والقطط و فرس البحر والتمساح والعجل (أبيس) والذي عدّ الكفيل بخصوبة الارض، ويظهر في الرسوم المصرية عجل يضع قرص الشمس بين قرنيه، وقد عرف في مدينة منف من عصر الاسرات الاولى كل منها كرمز للإلهة الأعظم ثم تحولت إلى الهه مستقلة فيما بعد^(١٠).

أن جميع أساطير الخلق المصرية كانت ترتبط بالطبيعة كما أسلفنا من سماء وارض ورياح وشمس وقمر ونجوم وغيرها^(١١) ، فلم يكن المصري يعتبر العالم ما هو إلا سلسلة من الاحداث المتتابة زمنياً، بل تأملات حول مبادئ الحياة، ونظام الكون المتفرس بحيز الفراغ كما هو واضح في هذا النص:-

أنا من قام بعمل ما بدا له طيباً

شغلت حيز فراغي في مكان ارادتي^(١٢)

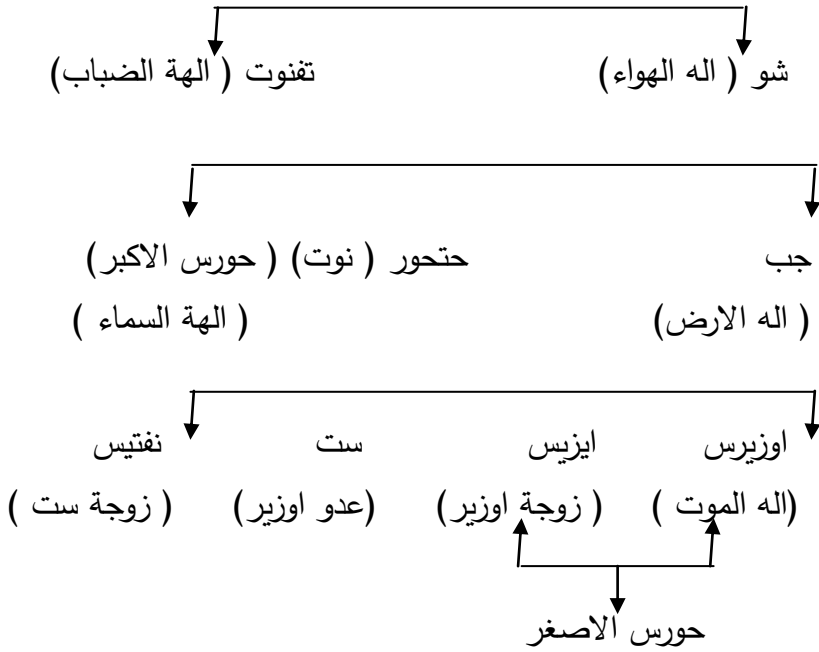
ان كل معبود بالنسبة للمصريين ، هو شخصية بارزة مستقلة واضحة المعالم ذات خصائص مميزة لا يشاركه فيها أي معبود آخر... ومن بين الخصائص المميزة العامة لدى جميع الإلهة تبرز مجموعة تصور المعبودات على إنها معبودات مؤقتة بشكل يثير الارتباك ، وأنها رهن بمرور الزمن . فالإلهة المصرية لها بداية ونهاية زمنية ، فهي تولد أو تخلق وتتغير بمرور الزمن^(١٣) فقد اعتقد المصري أنه يأتي عليها يوم تختفي فيه نهائياً، وعلينا ان نميز في نظام تاسوع هليوبوليس خمسة أجيال متتابة من المعبودات :-

فالمعبود البدائي اتوم الكائن الاول في الخلق وعبداه المصريون كمظهر لألهة الشمس أو (رع) آلهة السماء / يخلق الزوجين/ شو آلهة (الهواء) وتفنون (الهة الضباب) ثم انجب نسلهما كل من الالهة / جب (آلهة الأرض) ونوت (الهة السماء) وبدورهما انجبا أربعة أبناء هم (اوزيريس ، وست ، ونفيتس وايزيس) وبعد زواج كل من اوزيريس وايزيس انجبا الإلهة (حورس الأصغر) كما هو موضح في التخطيط رقم(١).

لقد نجح كهنة هليوبوليس (عين شمس) في نشر أسماء ألتهتم في البلاد ووجدوا طرائق للتشبيه بكثير من الالهة المحلية بمصر في مجموعة الإلهة المعبوده مع (رع) منذ الأسرة الخامسة (٢٤٩٤ - ٢٣٤٥ ق.م) ، وقد

أولى ملوك مصر رعاية خاصة بالإله (رع) وربطوا أنفسهم اما بالانتساب او بالزواج ، مع (رع) رئيس آلهة التاسوع العظيم^(١٤)، وقد حظي (رع) بالتقدير والتقدیس إلهه الاول ومنه تأتي الإلهة الأخرى ، وشجرة العائلة هذه تمدنا بصورة من العلاقات المتشابكة كما هو واضح في هذا المشجر .

رع (إله السماء)



لقد خضع السكان الأوائل في مصر لنفس الشكوك التي واجهها الانسان في الحضارات الاخرى وتبدو الأرباب الطبيعية والتي يتوقف عليها بقاء عقيدة أي شعب ناجمة عن ظواهر تتجاوز حدود الادراك . ومع أن الإنسان كان عاجزاً عن تغييرها إلا انه يحاول التأثير عليها وقد اضطرته الاضطرابات الكونية الى التعرض لها والى إضفاء سمات شخصية على القوى المنيعه التي

بدت بنظرهم إنها تحكم العالم وكيف يتمكن من الاتصال بها^(١٥) .
وقد سعى الإنسان المصري القديم إلى التفاهم مع القوى المتخيلة التي
ارتبط بها في الأزمنة الأولى ومن خلال تنظيم علاقاته مع هذه القوى
المقدسة^(١٦).

لقد ابتكر المصريون عالماً خيالياً يفسر ويؤمن حسن سير الأحداث
التي تقع في العالم الحقيقي باعتباره الانعكاس المثالي لذلك العالم
الخيالي... هذا العالم الذي تعمل فيه الإلهة من خلاله للحفاظ على الكون
بالتصدي بلا انقطاع لقوى الفوضى التي تحيط بالكون وبالإنسان^(١٧).

قصة ولادة حورس :

تتفق المصادر من الاله (حورس) ارتبط بأغنى أسطورة مصرية
تحدث عن مولد اله بعد ان وضعت الالهة ايزيس طفلاً في واحد من
مستنقعات (اهور) الدلتا ولقد حملت فيه عندما كانت ترفرف في شكل (صقر)
على جثة زوجها القوي فأطلقت عليه اسم (حورس الصغير) وقد استطاعت
الالهة (فوت) وهي الهة الشمال من اخفاء الطفل بعيداً عن أعين العم الشرير
(ست)^(١٨) ، وما ان كبر (حورس الصغير) وخرج الى العالم حتى واجه
جبروت عمه والذي لم ينته وبدأ الكفاح لاسترداد موقع والده .

وقبل ان نتوغل في تقديم الأدلة التاريخية والعلمية للجذور الرافدينية
لاصل الاله (حورس) وكيفية انتقال عبادته من بلاد الرافدين الى وادي النيل
وتحديداً في مصر السفلى سنفصل في قصة ترأسه المجمع الديني في مصر .
في البدء كان حورس ، الهاً للسماء ، وصورته المعروفة عند
المصريين القدامى هي صورة صقر بجناحين ممدودتين ، وكانت عيناه الشمس
والقمر .

كانت صورته بالنسبة لشعبه مظهر من مظاهر تجلي (صور الاله حورس) ليس في السماء وحدها بل الشمس والسماء) فصارت القناعة عند المصريين وكجزء من تكوينهم العقائدي ان (حورس) جمع بين معاني (الشمس والسماء) ووجد هذا التعبير عند حورس في الرمز الديني والذي عرف في كثير من رسومات المصريين والذي تشكل من القرص المجنح أو الصقر الذي تطل منه الشمس ، والذي صار في فترات تاريخية كثيرة رمزاً لمصر العليا والسفلى^(١٩) .

ويختص الطفل حورس بأروع واغنى أسطوره مصرية عن مولد إله وشبابه فهي تربط حورس بأوزيريس . وما دامت هذه الأسطورة تُضع حورس كأقدم إله سماوي على هيئة صقر لأوزيريس المجد فلا يمكن ان تكون بين أقدم الأساطير في وادي النيل ، ولكن يمكن معرفتها وتمييزها من الاشارات الضمنية الكثيرة في نصوص الاهرام^(٢٠) .

ويصبح حورس ايزيس (Harsiese) حورس - ابن - ايزيس ، وحربو قراط (Harpokrates) مظهر لطفل مهدد في العقيدة المصرية ، ولحورس الطفل ، اشكالاً معينة منفصلة لحورس الشاب الذي ولدته ايزيس وربته ، ونجد في العصر اليوناني الروماني تعادلاً بين حربوقراط و اروس Eros (حورس)، لا تدل في الهيئة الشائعة للآلهين على وظيفتهما ولكن على انهما طفلان حقاً .

ونقرأ في الاساطير عن وقت كان فيه حورس طفلاً، وكان قربانه من اللحم^(٢١) . لذلك لم يكن حورس طفلاً خالداً ، بل كان يكبر مع الزمن . لقد حملت ايزيس الحورس بعد وفات اخيها وزوجها اوزيريس بعد ان رفرت في هيئة أحداها فوق جثمان الإله القتيل ، وكان حورس في حماية الالهة وما يزال

في رحم امه حتى خرج للعالم في منطقة (خميس chemmis) بالدلتا ، وترى في عزلة لا نعرف اين كانت وقد كان مخبئاً جيداً في الاحراش الكثيفة في دلتا النيل ، تحميه البراعه السحرية الفائقة لإمه ايزيس من مطاردة غريمه (عمه) (سث seth) لتتقذه من الوحوش الكاسره، وتعتني به كمربيات وخادومات كل من نفثيس Nephtys، والهة التاج وأجبت wadjet ، ونخبت Nekhbet (٢٢)، وعندما كبر خرج الى العالم لكي يقود الكفاح لوراثه والده ، حتى انتصر في النهاية ، بعد عدة معارك مع خصمه الأبدي (ست) وتنصبه محكمة الآلهة في هليوبوليس في ما بعد في حفل رسمي خلفاً لوالده " اوزيرس " وهو وريث الإله الشمسي .

وقد عهد للإله (اوزيرس) العين الشمسية والسيطرة على الكون وارتبط الثاني حورس (بالعين القمرية) التي تحمل طاقة من النوع نفسه وإن كانت مخففة واقرب ما تكون الى البشر، فاذا كان من الممكن تأمل القمر طويلاً إلا انه لا يمكن على العكس امعان النظر الى الشمس (٢٣) .

وقد حاول المصري القديم وفق نظامه الكهنوتي من وصف ألته على شكل حيوانات مختلفة مرتبطة بالشمس تصور عنفوانها وهيمنتها الظاهر على الكون، وهناك كائنات متوحشان يعيشان بالأخص في الصحراء ولكن على مقربة من الأرض الزراعية ، ويعبران عن الطاقة التي تنشرها قوى الشمس: انهما (الاسد والثور) فالأسد المسيطر على الأراضي الفاصلة القريبة من النيل ، له مكانته لدى (مجمع الالهة) لعلو شأنه وسهره على حراسة تخوم البلاد (٢٤).

اما الثور المتوحش ، فهو رمز في (آن) والذي عرف كونه رمزاً للمجمع الالهي المكون من تسعة الهة وهذا الكون كان المسؤول عن الكون

وواجباته وكان حورس احد الهته وكان رمزاً للخصوبة وتلك ميزة يتحلى بها النهار الذي يوفر الحياة على ضفاف النيل وكثيراً ما يقارن الملك (وربت) الهة الشمس عند البشر بالثور القوي وكذلك (الصقر) الذي يهيمن على سماء مصر بتحليقه المهيبة يشبه بذلك الشمس ، وتعكس مزايا هذا الطائر كقناص للفضائل الراقية التي تتحلى بها الشمس ، كما ان هذا الطائر معروف بقدرته على مواجهته الشمس دون ان يغمض جفنيه ، والاسم المطلق على هذا الصقر (حورس ويعني - النائي) ويعرف بذلك عند المسافة التي تفصل بين البشر وسيد السماء وقد عبر هذا النص من كتاب (الموتى للمصريين القدماء) ، في اللوح السادس والعشرين^(٢٥) خير تعبيراً عما ذهبنا اليه .

انا واحد من تلك الارواح

التي تقطن ضوء الشمس

والتي خلقها الإله اتوم بنفسه

والتي تواجدت من زهرة عينه^(٢٦).

ويستمر النص الذي يعدد عناصر (حورس) فيقول :-

انا حورس الذي يقطن في ضوء شمس

انا الذي قواه في شبابه ... لدي قوة في بريقي

لقد تجولت في آفاق السماء .. حورس يجلس على عرش ابيه

حورس فوق عروشه ان وجهي هو وجه صقر مقدس^(٢٧) .

المبحث الثاني

تعدد صور واسماء حورس في اللاهوت المصري

وبعد ان انتهينا من سرد قصة هذه الاله ، لابد ان نذكر ان حورس هو أكثر الإلهة المصرية تعقيداً واضطراباً اذ يذكر الباحث (رندل كلارك)^(٢٨) وكذلك الباحث (مورنزا) ، انهما وجدا أكثر من خمسة عشر شكلا (لحورس) تذكره المصادر الأثرية ، لكن الأشكال الرئيسيه هي (رع - حرضت) و(حورس الاكبر) و(حورس الأصغر) و(حورس الطفل).

* رع حرخت : وهو شكل من أشكال الإلهة الشمس وهو خليط من (رع وحرست) ويرمز الى (شمس الصباح) ويظهر دائماً في شكل صقر تحيط به هالة الشمس او شكل قرص الشمس المجنح^(٢٩) .

* حورس الاكبر : وهو الابن الخامس (لجب وتوت) كما عرفنا ذلك سابقاً .

* حورس الأصغر: فهو ابن (ايزيس وأوزيريس) وهو الإله الذي ذكر من انه قد انتقم لقتل أبيه (اوزيريس) والذي خلفه على الأرض وهو بطل الحرب مع (ست) و(حورس الصغير) وهو صورة اخرى لحورس الطفل.

* حورس الأصغر : وهو صورة من حورس الأصغر ويظهر في بعض الرسومات البرونزية واقفاً على تمساح ويمسك بصولجان وجرت العادة أن صورة حورس هذا كانت تزين أبواب المعابد على هيئة (قرص شمس مجنح) . من هنا يمكننا القول ان : الإله الصقر حورس أقدم مثال للتحول عند الالهة وإدماجها الدائم وربما كان ملك السماء ، أي الصقر (بيك)^(٣٠) .

وأن أقدم النماذج المصرية، وأكثرها إثارة للعجب للتحول من الطبيعة والحيواناتيه إلى الإلهية ووضع التوحيد المشوب في مواقع بعينها وكان الصقر في التصوير الهيروغليفي هو " نتر " ورمزاً للقوة المقدسة وأصبح على العمود

الطوطمي أو الراية الصقر إلهة السماء وتجسيدا للملك الإلهي ، (حوري) أو (حرو) وكان ينظر لجناحي "حورس الصقر" امتدادين سماويين، وكان عيناه (الشمس والقمر) والبقع التي على جانبه السفلى هي النجوم في السماء ، وعلى نفس القدر من إثارة العجب ووفق القصيدة المصرية ، كان حورس في الوقت ذاته إله واحد وآلهة عدة ذات أشكال أو أوجه مختلفة مرًا بالعديد من التحولات وادمج في الهة أخرى كما أسلفنا (٣١).

ليست هناك طريقة سهلة لفصل كل أشكال حورس وملكها الإلهي ، والوظائف القومية والمحلية التي تميز بها واندماجها مع الإلهة الأخرى . وقد كانت أول اشارة الى احد المسائل الرئيسية في حياة مصر القديمة واحد المشاكل الأساسية في فهم تلك الديانة وهي الاندماج المعبر لالهة كثيرة في إله واحد ، بينما يظل للآلهة التي جرى دمج وجودها المستقل أوزيريس (المصري القديم) فهل كان ذلك نتيجة لتطور مضطرب عشوائي ام كان مثالا توضيحياً للتوحيد الديني القائم على ما اسماء بعض علماء المصريات المقاربات والإجابات المقررة (٣٢) و " المفاهيم المتكاملة او (الواحدة والكثيرة) (٣٣) أو (الواحدة في الكثير) (٣٤) . والتي يفهم منها كونها تكتيف للخصائص الدينية .

اسماء حورس وتاريخ عبادته في الحضارة المصرية :

بصورة عامة ، كان هناك مجموعتان من أشكال حورس ، وكان هناك العديد منها في كل مجموعة ، كانت المجموعة الأولى تدور حول حورور أي (حورس الكبير)، من عصر ما قبل الأسرات وعصر الأسرات الأول (بحدود ٣١٠٠ ق.م - ٢١٨٠ ق.م) ، وتدور المجموعة الثانية ، ربما ابتداءً من حوالي ٢٣٧٥ ق.م في نهاية الأسرة الخامسة حول (حورس) على شكل (صقر او

الإنسان برأس صقر) الذي يجمع بين الإنسان والصقر باعتباره ابن اوزيريس (آس) وايزيس (آست) أي حورس ايزه (حورس ابن ايزيس) بحلول نهاية الدولة القديمة في (٢١٨١ ق.م) (٣٥) .

يرتبط الاسم المصري لحورس (حرو) والذي معناه النائي أي (البعيد) بكلمة (حرت) ومعناها البعيد العالي ، وتعني الكلمة على اتساعها السماء وكان احد القاب حورس المقدسة " البعيد" وكان حورس الصقر في اللاهوت المصري جوهر الكائنات العليا، وهو احد وجوه الالهة وتجسيدا له، وهو يتمثل في اشكال الصقر الإلهي أو القائد الألهي والقوة الالهية (٣٦). وربما كان احد اقدم واوضح شكل ، وشعار للصقر الحامي التي يمكن إرجاعها الى موقع يمكن التعرف عليه موجوداً بين عشائر او قبائل مدينة نختم ذات النفوذ (واسماها اليونانيون هيراكوبولس) أي مدينة الصقر الواقعة في الوجه القبلي من مصر ، واستوعب (الصقر حورس) هذا الصقر ذي الريشتين على رأسه محل الصقر (نختي) في وقت مبكر جداً وربما يكون حورس (هيراكوبولس) الخاص بالتوحيد قد حل في الواقع محل (الصقر نختي) حتى قبل الاسره الأولى ، ثم تقدم بعد ذلك ليحتل مكانه رئيسه في عدة اجزاء من مصر القديمة من الوجهين القبلي والبحري، وربما كان حورس هذا اقدم إله مصري تطور تطوراً واضحاً من الصلاحيات الطوطمية الرمزية.

ويوضح رأس الصقر الذهبي التي عثر عليها في خبيئة المستودع الرئيسي بهيراكوبولس الموجود حالياً في متحف القاهرة ويعود تاريخه الى الأسرة السادسة فحسب ، وربما أقدم من ذلك بكثير دور (حورس الصقر) باعتباره إله هيراكوبوليس. ويبدو ان الصقر حورس هو الذي صور في اعمال فنيه قديمه مثل لوحة نعروم (٣١٠٠ ق.م) وربما كان (شمو حور) اتباع حورس(٣٧) ملوك هيراكوبوليس في عصور ما قبل الأسرات في الوجه القبلي وملك (تل

الفراعين أو الملوك) في الوجه البحري . ويمكن كذلك إرجاع الإلهين الصقرين التوأمين القديمين (انتي ونختي) كذلك الى الوجه القبلي وقد احتفظ (أنتي) باعتباره إله الحرب الصقر موقعاً يتمتع باحترام كبير في العديد من المدن المصرية في الوجه القبلي حتى منتصف الاسره السادسة على الاقل (٢٣٤٥ ق.م - ٢١٨١ ق.م)^(٣٨) .

وكان لحور ايزيس (حورس) العديد من الأوجه أو الأشكال في العديد من المدن وقد اصبح (بحدتي - قرص الشمس) المجنح الصقر وهو الشكل الشائع لحور ايزيس (حورس) في (تل البلامون) الواقع على ساحل الدلتا الشمالي من منطقة (ادفوه) في جنوب الوجه القبلي ، وفي (دمنهور) في غرب الدلتا باعتباره ابن رع الملك (إله الارض) .

ومن الواضح ان هذه الاسطورة ظهرت بعد ان أصبح حورس الثاني حورس ايزيس، ابناً لـ للآلهة (بي دب ، اوبوتو) التي كانت لها رؤوس صقر في الوجه البحري وهي الالهة قديمة، او ملوكاً في إنصاف الالهة تجسدوا في هيئة صقور على نمط حورس^(٣٩)، كانت ذروة طوطم / الصقر حرور / حورس قد بدأ يظهر مع بداية توحيد الوجهين القبلي والبحري حوالي ٣١٠٠ ق.م وليصبح شعار الصقر هو شعاراً للدولة المركزية الموحدة فيما بعد .

وكان حورس في هذا الدور تجسيدا للملك الاله وكان معظم فراعنة عصر الأسرات المبكرة (٣١٠٠ - ٢٦٨٦ ق.م) مرتبطين بالإله حورس ، وقد عثر على قطع كثيرة في مواقع عديدة في كل من الوجهين القبلي والبحري يعود تاريخها الى حوالي عام ٣١٠٠ ق.م، والقرون التالية، تصور اولى الشعارات الملكية الخاصة بالهوية تنتظم على واجهة القصر يعلوها (حورس الصقر) باعتباره الإله الملكي للأسرات الأولى في مصر الموحدة، وبات المقر الملكي للفرعون ، (خنمو)، يعرف كذلك بأسم (خنمو بيك)، أي مدينة الصقر، والاكيد

انه تم ادماج كل من (حورس الكبير) و (حورس في الافق)^(٤٠) في شكل واحد .

منذ حوالي منتصف الاسره الرابعه (٢٥٦٦ ق.م) اصبح (حورس) وجه للالهة (رع) الذي هو نجم الصباح ، والشمس المشرقة في الافق الشرقي وكانت المحصلة النهائية لهذا الاندماج والشيوع اشتهاً شكل (حورس) ذا الجسم البشري ورأس الصقر الذي يضع غطاء رأس على هيئة قرص الشمس وله وظائف متعددة ، وفي ذلك الوقت صار الفراعنة يتلقبون بكونهم ابناء (رع) بالإضافة الى كونهم ابناء حورس الصقر ^(٤١) .

واعتباراً من الاسرة الرابعة (٢٥٦٦ ق.م) على الأقل، كان حورس في لاهوت (ليتوبوليس) في الوجه البحري الصقر (حورمerti) او خرختي أي (حورس ذو العينين) حيث كانت عينه اليمنى الشمس وعينه اليسر القمر ^(٤٢) .

وبحلول نهاية الاسرة الخامسة (٢٤٩٤ - ٢٣٤٥ ق.م) كان الفرعون الحاكم يطلق على نفسه (حورس الثاني)، ابن اوزيريس ، اثناء حياته ، واوزيريس عند موته في ذلك الوقت كان (حورس) في بعض الاحيان إله الصيد لحور (اوزيريس) وهو احد اشكال (شو) إله الجفاف والهواء الذي بين السماء والأرض وتجسيدا لضوء الشمس . أننا يمكن ان نقول:- كان حورس يوجد باعتباره المعبر عن مجموع الآلهة (رع ، حور ، اختي) واشكال حورس المختلفة كافة منفصلة او مجتمعة ، واثناء حكم الدولة الحديثة (في ١٠٠٠ ق.م) اصبح حورس (باشكاله المنفردة) وشكل (رع حور اختي) اوجه آمون ورع وهو الإله الرئيس ، (الخالق ، الشمس) ، (المالك الجديد لمصر) حين وحد آمون كل الإلهة ابتداءً من رع ^(٤٣) .

ليصبح حورس في وقت واحد تقريباً شكلاً من اشكال حورس كافة والعديد من اشكال حورس المنفردة، وعلى نحو بارز حورس الصقر وحورس

ابن اوزيريس وايزيس، وكانت هذه الاشكال مختلفة اختلافاً تاماً عن بعضها البعض، فقد كان حورس على نحو منفصل تارة ومتجمع في ازمنة مختلفة فهو الصقر وإله السماء، وإله الشمس والقمر التوحيدي، وإله المتجسد في الفرعون المقدس الحاكم، والطفل الذي على الهيئة البشرية، والمنتصر على ست. كما انه ظهر باسماء مختلفة وبوظائف شتى في اماكن عدة باعتباره الإله المحلي للمدينة أو الاقليم وكذلك باعتباره إله ذا صفات قومية او كونية .

وكثيراً ما نرى في النصوص الدينية المصرية القديمة اشارات عديدة تربط بين الشكلان المتكرران اللذان عرف بهما حورس الاكبر والاصغر والطفل أي هيئة (الصقر) التي تظهر في جانبيه الشمس كما يظهر في هذا النص:-

" انا حورس ولدتني ايزيس

تلك التي صنعت حمايتها ..

وهي في داخل البيضة . (٤٤)

وفي نصوص (الموتى) امتزجت صورة (حورس الصقر) مع حورس ايزيس (الصقر الشمس) وكان يرسم دائماً في الرسوم المصرية كطفل على هيئة صقر، وتشير الأسطورة من ان ايزيس خلال فترة حملها عرفت من ان ولدها سيكون غير عادي فهو صقر بأحشائي، وعندما ولد الطفل اخذ يطير، بينما راحت امه تتفاوض لتجد له مقعداً في مركب الشمس(٤٥). هكذا تخبرنا الاسطورة

وعلينا ان نذكر هنا ان عبادة حورس كانت واسعة الانتشار وهذا ما يفسر الأشكال الهائلة التي صور بها حورس في معابد (ابو سنبل) فوق مدخل معبد رمسيس الثاني على هيئة صقر يمثل آلهة الشمس ووجدت كذلك في معابد الاقصر ، كما وجدت رسومه في كثير من المقابر التي كانت تحتوي على لوحات جدارية لحورس في شكل انسان ورأس صقر، وكذلك وجدت كثير من اشكاله في مقابر (ادفو) على هيئة (حورس الصغير) والتي تعد مركز العبادة الرئيسة لحورس^(٤٦).

المبحث الثالث

الجزور الحضارية الرافدينية في صفات الإله حورس

لقد بات من المؤكد القول ان تأثيرات مهمة من أنواع مختلفة ، قد وصلت من بلاد الرافدين الى بلاد وادي النيل وقد بدأت تظهر من حكم السلالة الأولى ^(٤٧). كما ذكرنا سابقاً

ويقول جيمس بريستد في هذا المعنى فيقول :-

لم ينسى المصريون هذه الصلة القديمة والتي تجمع بين المصريين وبين أصل اسيا في العقيدة الدينية ^(٤٨). وهو أمر غير مستبعد لأنه وفق رأي عالم الانثروبولوجيا (فرديش فون لاين) ^(٤٩) والذي يقول:

في وسع الحكاية الخرافية ان تنتشر في بلاد كثيرة حتى في تلك الشعوب التي تتكلم لغة غير لغة الحكاية الأصلية ، وذلك عن طريق النقل الشفاهي لأنها أي (الحكاية الخرافية) قد تجتاز المسافات الشاسعة في انتقالها وتنتشر في مناطق تنفصل عن بعضها البعض تماماً، ولا تجد غير تلك المناطق مستقرًا لها... ^(٥٠).

واذا ما استبعدنا مسألة هجرة الحكاية الخرافية ولم نسلم بها إلا بصيغة استثنائية رغم أن كثير من الباحثين لم ينكر كل هذه الأفكار لكنهم برروا هذا التشابه واعزوا التشابه الكبير بين هذه الحكايات إلى القرابة الوراثية بين هذه الشعوب ^(٥١).

والقرابة هنا بمعنى الانثروبولوجي (القرابة العرقية) او القرابة الحضارية ويقصد بها (التواصل الحضاري) بين هذه الشعوب نتيجة الهجرات أو عن طريق الصلات التجارية القائمة بين حضارتين عريقتين هما حضارة (وادي النيل ووادي الرافدين) والأمر ليس بغريب ، اذ ما عرفنا فكرة التعاصر

التاريخي بين الحضارتين والتواصل بين شعبي هاتين الحاضرتين ولابد هنا ان نقف عند تحليلات بعض المؤرخين والباحثين في معرفة الأثر والتأثر الواضح والجذور الرافدينية لبعض رموز وأساطير الإلهة المصرية القديمة ودراسة كيفية انتقال عبادة الاله (حورس) من بلاد الرافدين او من المناطق العربية الجزرية إلى وادي النيل .

لقد اختلفت اراء الباحثين في تفسير هذه التأثيرات الحضارية وكيفية وصولها الى مصر ولدينا رأيان رئيسيان في هذا الموضوع وهما :-

١- ان التأثيرت الحضارية قد نقلها جنس غريب سموه جنس الأسرات ورجحوا أنه جاء من بلاد ما بين النهرين (او ما يجاورها من الخليج العربي في آراء أخرى) وان هذا الجنس تغلب على القطر المصري (شماله وجنوبه) وادخل الى مصر الكتابة التصويرية وعبادة الاله حورس ، كما ادخل طريقة البناء بالمشكاة اللبنية واستعار كذلك طريقة استخدام الأختام الاسطوانية^(٥٢).

وقد استدلووا على ان هذا الجنس قد جاء من العراق (بلاد الرافدين) لان هذه الخصائص كانت قد شاعت في العراق خلال حضارات اوروك وجمدة نصر^(٥٣).

مما تقدم يعزوا أصحاب هذا الرأي، التأثيرات الحضارية الرافدينية على مصر الى غزوة أو هجرة قام بها هذا (الإنسان الرافديني القديم) والذي كان قد دخل الى مصر عن طريق وادي الحمامات.

٢- وهناك رأي آخر يذهب الى ان التأثيرات الحضارية كانت قد وصلت الى مصر لكنها لم تكن بشكل مباشر أي لم تكن عن طريق هجرة بشرية او غزوة حربية، وانما كانت بسبب وصول تأثيرات حضارية نقلها المصريون قبل عصورهم التاريخية وفي اوائها ، وقد اختلف أصحاب هذا الرأي، هل ان هذه

التأثيرات وصلت مصر من الشرق أي من العراق عن طريق منطقة بوغاز - باب المندب- ثم الصحراء الشرقية ، ام عن طريق البحر الأحمر - وادي الحمامات- ام عن طريق الشام ثم برزخ السويس^(٥٤).

ويؤكد الباحث (هوربنلاور) فكرة انتقال التأثيرات الحضارية الرافدينية على مصر من خلال مقارنة بين الإله العراقية (ننخورساك) أي آلهة الأرض في العقيدة الدينية العراقية القديمة والإله (حتحور) والتي كانت من أكثر الآلهة المصرية شيوعاً وعبدت كونها آلهة السماء في طيبة وعرفت كذلك باسم (نوت) أي سيدة الآلهة ، فقد فسر (هوربنلاور) التشابه الكبير بينهما إلى احتمال حدوث هجرة سامية من بلاد ما بين النهرين في العصور الموحدة في القدم اتجهت إلى جنوب بلاد العرب (أي اليمن) واستقرت هناك ثم عبرة (منطقة بوغاز / باب المندب) إلى الصومال حيث أسست مستعمرة هناك واختلط هؤلاء الساميون (الجزيريون) بالحاميين سكان البلاد الأصليين وأسسوا مملكة أسموها بلاد بونت ، انتشرت آثارها في وادي النيل^(٥٥) وقد حملت هذه التأثيرات الحضارية تلك القبائل التي غزت مصر تحت لواء الإله (حورس) والتي استقرت فيها وتؤكد كتابات عالم الآثار (بترى)^(٥٦) والذي يذكر فيها أن مصر دخلها في (العصر الهينلستي Aeneolithic) غزاة يتميزون بارتداء الريش ، قدموا من الشرق وأنهم كانوا ينتمون إلى شعب بحري يسكن شواطئ الخليج العربي (وهذه دلالة على بلاد النهرين) ويذهب عالم المصريات (مرسر) إلى نفس المعنى فيقول : استخدم هؤلاء المهاجرين القوارب الكبيرة حتى وصلوا إلى القارة الأفريقية ودخل هؤلاء الغزاة مصر من السواحل الغربية للبحر^(٥٧) ، ويؤيد الباحث صموئيل مرسر (S.mercer) رأي الباحث فنكلي في أن شعباً من لابسي الريش قد دخل مصر من البحر الأحمر في عصر الحضارة الأولى^(٥٨) ،

ويرى (مرسر) ان هذا الشعب ربما ابحر حول الجزيرة العربية قادماً من الخليج العربي او ربما اجتاز شبه الجزيرة العربية براً ثم عبر البحر الاحمر بالسفن بعد ذلك، وعلى أي حال فأن هذا الشعب قد وفد الى مصر ورسى عند الصحراء الشرقية ليدخل عن طريقها الاراضي المصرية ويرجح ان الميناء الذي رست عنده هذه الشعوب هو ميناء (القصور) ومن هناك وصلوا الى مدينة قفط عبر وادي الحمامات^(٥٩).

ويرى (مرسر) ان المؤثرات العراقية دخلت الى مصر من هذا الطريق وهي المؤثرات التي ظهرت بوضوح في كل من سكين (جبل العركي) وغيرها من الاختام والمنحوتات^(٦٠). والتي تم العثور عليها فيما بعد .

ولقد اشار العالم (ليونارد وولي) والذي يُعد من اوائل العلماء الاجانب الذي اقتنع بان التأثيرات الحضارية التي دخلت مصر عن طريق وادي الحمامات قد جاء بها شعب عبر هجرة بشرية قديمة ... وفي رأيه ان هؤلاء الوافدين والذين ساهموا في الطفرة الحضارية التي حدثت في عصر الاسرات وخاصة في اواخر عصر ما قبل الاسرات قد جاءها مهاجرون (immigrants) من بلاد النهرين ، وان المصريين قد نسبوا هذا الغير (أي الاقوام) في العصور اللاحقة الى ما اسموه (باتباع حورس) والذين قدموا من الشرق وادخلوا صناعات وفنون جديدة الى وادي النيل^(٦١)، ويؤكد ليونارد ولي" ان هؤلاء المهاجرين قد دخلوا من جنوب مصر بعد ان رسوا على ساحل البحر الاحمر ثم ساروا براً بطريق وادي الحمامات^(٦٢) (ويحدد العالم وولي ، ان جنسية او اصل هؤلاء المهاجرين ... انهم رافدينين (جزريين)... وكانوا على صلة قريبة بسومر ويقول (ليونارد وولي) ولدينا دليل على ان الكثير من الاواني التي وجدت في مصر والمعروفة بنقشها الزخرفي. ان هذه الزخارف

كان قد قلدها المصريون في كثير من ادواتهم المصنوعة من المرمر المحلي ، وبهذا انتقلت الى مصر كل من الادوات والافكار السومرية^(٦٣).

وأخر الآراء واحداثها والذي يجذر فكرة انتقال كثير من المؤثرات الحضارية الى مصر ، هو ما ورد في موسوعة كامبردج للتاريخ القديم لسنة ١٩٧٩ ، اذ جاء فيها ان التأثيرات الحضارية التي دخلت الى مصر في عصر ما قبل الاسرات ، ربما اتى بها السومريون من العراق، كونهم كانوا شعباً بحرياً وقد دخلوا مصر عن طريق وادي الحمامات^(٦٤). في فترات تاريخية متعاقبة .

وقد خالف بعض الباحثين الاجانب والعرب فكرة ان التأثير الحضاري الرافديني على مصر عن طريق الغزو واكدوا ان عملية التأثير لم تكن عن طريق الغزو والهجرة لاسباب لوجستية وطبيعية وقد ذهب اكثر من باحث الى هذا الرأي وعلى سبيل المثال لا الحصر أيد هذه الفكرة كل من العالم (جاردنر) والعالم (فرانكفورت) والدكتور (عبدالعزيز صالح) والدكتور (رشيد الناصوري)، وعزو فكرة التأثيرات الحضارية التي ظهرت في مصر الى تنامي الاتصالات التجارية والحضارية والتي حدثت منذ اقدم الازمان عن طريق (بلادبونت) الواقعة على الساحل الافريقي للبحر الاحمر (الصومال)، ويشدد (جاردنر) على ان انتقال المؤثرات العراقية الى مصر كانت قد دخلت او تسربت (infiltration) الى مصر عن طريق صناع عراقيين في بداية الاسرة الاولى^(٦٥) ويتفق هنري فرانكفورت مع رأي جاردنر .. مؤكداً من ان طلب البخور كان وراء الاتصالات بين المصريين والسومريين عن طريق الشاطئ الصومالي (بلاد بونت) أو عن طريق شبه الجزيرة العربية ويضيف (فرانكفورت) ان هذه الاتصالات ادت بدورها الى اتصال حضاري بين الطرفين في مناطق انتاج البخور اما بطريق مباشر او غير مباشر عن طريق الوسطاء

... ويرجح فرانكفورت ان طريق وادي الحمامات كان يستخدم منذ زمن بعيد بدليل ان العثور على تماثل للإله (مين) في منطقة قفط والتي ترجع الى عصر الاسرة الاولى^(٦٦). ويضيف أن هذا الطريق كان مساراً لعملية التأثير والتأثر في الحضارة المصرية والمناطق الاخرى ، ويفضل الدكتور ، رشيد الناصوري الفكرة القائلة:- ان انتقال المؤثرات الحضارية الى مصر انما كان عن طريق الصلات التجارية الحاملة لبعض الانماط الحضارية ، الخاصة وفي رأيه:- ان العناصر السومرية بطبيعتها البحرية قد انتشرت في جنوب العراق والخليج العربي واستخدمت سفنها الخاصة في الاتصال بمصر اما عن طريق وادي الحمامات الوصل بين منطقة (قفط والقصور) او عن طريق وادي الطميلات الموصلين جنوب شرقي الدلتا والبحر الاحمر^(٦٧) والى نفس المعنى يذهب الدكتور عبدالعزيز الصالح، فهو لا ينكر دخول تأثيرات حضارية عراقية رافدينية عن طريق الحمامات وذلك في العهود الاخيرة التي سبقت عصر بداية الاسرات في مصر ومن عناصرهم أي من اهل بلاد النهرين وجنوب شبه الجزيرة العربية^(٦٨).

الطرق والاماكن التي دخل فيها الاله حورس الى مصر :

مما تقدم يلاحظ :

اولاً : أن أقترن اسم الاله حورس في الآثار المصرية كان للدلالة على (بلاد بونت) وتردد اللقب الذي ربطه بهذه البلاد (حور - تب بونت) كثيراً من النصوص المصرية ، كما ترددت كلمة اتباع حورس (نترو شمسو حور) كثيراً في النصوص المصرية ، كما ترددت كلمة اتباع حورس (نترو شموحور) في النصوص المصرية ايضاً بمعنى يشير الى انها تدل على مرجعية هذا الإله الجغرافية والبشرية مما جعل بعض الباحثين يعتقدون ان اتباع حورس المقصود

بهم غزاة مصر في عصر ما قبل الاسرات . ولهذا السبب ظهر رأي بين علماء الآثار يقول أن الآلهة حورس واتباعه والمعروفون بأسم (نترو شمسو حور) قد وفدوا الى مصر اودخلوها غازين المناطق التي تعرف بأسم بلاد بونت^(٦٩) . بينما يرى آخرون ان هذا الآله جاء من بلاد ما بين النهرين عن طريق بلاد العرب أو الخليج العربي ثم عبر البحر الاحمر ودخل مصر من خلال وادي الحمامات حينما استقبل اهل مصر عند منطقة (قفط) بإله محلي قديم هو (الاله مين) الذي اتخذ شكل الصقر رمزاً للاله حورس لتصبح مدينة قفط بعد ذلك عاصمة (الاله مين) يطلق عليها بعد ذلك اسم (مقاطعة الصقرين) ومنذ عصر الدولة الوسطى اصبح (حورس) يمثل هيئة الاله مين^(٧٠). وقد اعتمد الباحثون في نسبه الاله حورس الى مناطق البحر الاحمر على الادلة التالية :-

أ- ان اقدم الصور للصقر رمز الاله حورس تمثل فوق الصرح (سرخ) وقد وجدت في منطقة العمرة^(٧١) . من حضارة (نقاده الاولى) بالقرب من مدينة نجع حمادي. ويلاحظ انها المنطقة نفسها القريبة من (وادي الحمامات) وهي ايضاً المنطقة التي عثر فيها على سكين (جبل العركي) ذي الاصول الحضارية العراقية .. سألقة الذكر ويرى (مرسر) أن هذه الصورة هي اول خطوة في تاريخ حورس . ولهذا يربط بينه وبين ذلك الشعب الجزري الاسيوي واهله لابسي الريش الذين دخلوا الى مصر عن طريق وادي الحمامات^(٧٢).

ثانياً: ان الاساطير المصرية نفسها تصور (حورس) على انه جاء من الجنوب، فبعضهم ينسبه الى النوبة ، بينما يصوره البعض الاخرانه جاء عن طريق والدي الحمامات وهاتان الاسطورتان ترتبطان بالرواية المصرية الشائعة التي تقول ان حورس جاء من بلاد بونت^(٧٣). واذا أضيف الى ذلك ان وادي

الحمامات ظل الى آخر عهد الفراعنة يتمتع بشيء من تقديس العبرانيين لجبل سيناء^(٧٤) . فأن هذا التقديس قد يرجح ارتباط اهل هذا الوادي بالالهة ذات الجذور الرافدينية الاولى بآلهة مصر الاوائل ونقصد (حورس) من ذلك يتبين ان الروايات تتفق على ان سواحل البحر الاحمر هي موطن التي عرف بها الاله (حورس) واغلب الباحثين يرى راحة هذا الرأي^(٧٥) . وهم يسهبون في التأكيد عن أن الطريق الذي سلكه حورس الى مصر يقع بين (وادي الحمامات والبحر الاحمر) وهذا الارتباط نجده في نصوص الاهرام التي تطلق على حورس لقب (ذلك جاء الينا من بعيد وهو الاخضر العظيم) وهذا الاسم^(٧٦) . هو الاسم الذي اطلق على البحر الاحمر قبل اطلاقه على البحر المتوسط بزم من طويل^(٧٧) .

ثالثاً: وقد حاول بعض الباحثين البحث في اصل اشتقاق اسم الاله(حورس) في محاولة منهم للتعرف على موطنه الاول، فقال بعضهم ان كلمة (حر) سامية الاصل. ومن هؤلاء العالم فكتور لوريه . والدكتور احمد فخري فيقول لوريه^(٧٨) مثلاً بأنه من خلال دراسته الأسماء العربية للصقور اثبت ان كلمة (حورس) شبيهة تماماً بالاسم العربي للصقر وهو (حر) ويتفق الدكتور (احمد فخري) مع رأي لوريه في ان كلمة (حر) عربية الأصل ويسوق دليلاً على ذلك من عبارة وردت في كتاب (الحيوان - للدميري) نقلاً عن (ابن سيده) فيذكر أن (الحر طائر صغير قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل انه يضرب الى الخضرة وهو يصيد) ويضيف الدكتور احمد فخري ان كلمة " حر " مازالت مستخدمة في كثير من جهات الجزيرة العربية والعراق وشمال افريقيا كأسم لهذا الطير . وبالنسبة لأصل الآله حور يؤيد (لوريه) (رأي بترى) الذي سبق الإشارة اليه بأن المصريين في عصر ما قبل الاسرات (أي اتباع حورس)

في رأيهم أنهم قد جاءوا من العراق أو بلاد العرب عبر الصومال أي بلاد (بونت) حسب رأيهم^(٧٩). عبر الطرق البرية والبحرية التي ذكرناها سلفاً .

(استنتاج حضاري)

يتضح من خلال هذا العرض لآراء الباحثين بشأن أصل الالهة (حورس) وطريقة وصوله ان اغلبهم يرى ويرجح في انه قد وصل الى الشواطئ الجنوبية للبحر الاحمر وانه دخل مصر بطريق وادي الحمامات قادماً من بلاد الرافدين، لكن المتأمل لبعض النصوص المقدسة لحورس و (عبد عشتار) وان مقارنة النصوص مع الاشارات والروايات التاريخية المتشابهة والتي ذكرناها في ثنايا البحث والتي تتفق مع ما يلي:-

١- أن الاقوام التي جلبت عبادتها أو نقلت معبودها معها أي (حورس) وهم (لابسوالريش) وهم الذين قدموا من بلاد النهرين والذين كانوا جلبوا معهم الخطاطيف والادوات النحاسية والتي وجدت في منطقة (البداري) والتي تركت اثارها على كثير من المؤثرات الدينية والفنية والكتابية والعمرانية في مصر .

٢- ان المنطقة التي وصلتها تأثيرات بلاد الرافدين وبعض خصائصها الفنية ومنها (السكين العركي) وكثير من الاختام الاسطوانية والمعدنية كان من الطبيعي ان يصلها التأثير الديني الرافديني وتحديداً عبادة الالهة الصقر (حورس) .

٣- وقد اتفق كثير من الباحثين ان التأثير الرافديني (سومرياً) كان ام (جزرياً) كان معروفاً عند اغلب الباحثين لكن الاختلاف وقع في آلية وطريقة التأثير وهل أن هذا التأثير قد نقل بشكل مباشر عن طريق الهجرة أو الغزو ام عن طريق غير مباشر أي عن طريق الصلات السياسية أو

التجارية وقد اتخذت مسارات عديدة تنتقل عن طريق بلاد الشام، البحر الاحمر ، لتصل الى وادي الحمامات او عن الطريق الثاني أي طريق بلاد الرافدين الى بلاد العرب الجنوبية ثم الى بلاد (بونت)^(٨٠) . المهم أن التأثير كان قد وقع مهما اختلفت طرق وصوله وجغرافيتها واسلوب الوصول .

٤- ان تأكيد الجذر الرافديني للمعبود حورس في الفكر الديني المصري يؤكد فرضية لاثر والتي تؤكد فاعلية المنجز الحضاري والفكري وتكشف الكثير من المشتركات الحضارية التي تحتاج لبحوث عديدة لتأصيل جذورها.

المصادر

١. احمد كمال زكي :- الاساطير ، الهيئة المصرية للكتاب ، (القاهرة ١٩٨٥) ص ٣-٤.
٢. المصدر نفسه :- الاساطير . ص ٣ - ٤.
٣. فراس سواح :- دين الانسان ، دار علاء الدين (دمشق ١٩٩٨) ص ٢٩.
٤. Ph. Derchain, Devagyphtiche Cott als persow and funktion in . w. westedrof Adpekt der aggyptischen Reliquion . Gof . Iv. T. 1979 p. 43 – 48.
٥. O, p. Cit. p. 48.
٦. Op. Cit, p. 45.
٧. سيد كريم :- لغز لحضارة المصرية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب (القاهرة ٢٠٠٩) ص ٧١.
٨. المصدر نفسه :- ص ٧١.
٩. المصدر نفسه :- ص ٧١.
١٠. سيد كريم :- لغز الحضارة المصرية. ص ٧١.
١١. اودلف ارمان :- ديانة مصر القديمة ، نشأتها وتطورها - ترجمة : عبدالمنعم ابو بكر (القاهرة بلا) ص ٧٢.
١٢. رندل كلارك :- الرمز والاسطورة في مصر ، ترجمة احمد جويلي ، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة ١٩٨٨) ص ٧٧.

١٣. اريك هورنونج :- ديانة مصر الفرعونية ، الوجدانية والتعددية، ترجمة : محمود ماهر ومصطفى ابو الخير ، مطبعة مدبولي (القاهرة ٢٠٠٥) ص ١٤٦.
١٤. التاسوع :- ويقصد به مجموعة من تسعة آلهة هي التي تكون اللاهوت المصري ، المصدر السابق ، ص ١٤٧.
١٥. ايزابيل فرانكو :- اساطير والهة ، ترجمة حليم طوسون ، المجلس الاعلى للثقافة (القاهرة ٢٠٠٩) ص ٣٢.
١٦. المصدر نفسه :- ص ٣٢.
١٧. المصدر نفسه :- ص ٣١.
١٨. محمد عبدالحמיד زايد :- الانسان والاساطير والسحر ، دار العالم الثالث (القاهرة ، ٢٠٠٨) ج ٢، ص ٤٦.
١٩. علي فهمي خشيم :- الهة مصر العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب. (القاهرة ، ١٩٩٨) ج ١، ص ٣٧٥.
٢٠. T.G.H. James the Hekan Kht paers and orther Early Mlddil kingdom Documents MerropolitanMusum of Art. Egypt Expedition (New Yourk 1962)p. 122.
٢١. T.G.H. James, op. Cit. p. 122.
٢٢. اريك هورنونج :- ديانة مصر ، ص ١٤٦.
٢٣. ايزابيل فرانكو :- اساطير والهة . ص ٤٨.
٢٤. المصدر نفسه . ص ٤٨
٢٥. اريك هورنونج :- ديانة مصر ، ص ١٤٦.

٢٦. محسن لطفي السيد :- كتاب الموتى للمصريين القدماء، الهيئة العامة لقصور الثقافة (القاهرة ٢٠٠٤) ،ص ٣٧٥.
٢٧. ينظر راندل كلارك :- المصدر السابق ، ص ١٧٧.
٢٨. المصدر نفسه :- ص ١٧٧.
٢٩. روبرت ارامورا :- الهة مصر القديمة واساطيرها ، ترجمة مروة الفقي ، المجلس الاعلى للثقافة (القاهرة ٢٠٠٥)،ص ٦٩.
٣٠. يقول ، عبدالعزيز صالح من الآن المصريين القدماء قد لقبوا الصقر بأسم (البيك) وأن اهل اليمن لقبوا الهة القمر بلقب سققر أي (صقر) ولم يكن (لحورس) المصري صلة واطة بالقمر ، عبدالعزيز صالح:- حضارة مصر اثارها والاتجاهات الحضارية العامة (القاهرة ١٩٦٢) ،ص ١٨٧.
٣١. Durkeim. Emile, les formes elementaires de la vie religieuse Quadrige/ PUF, paris . 1960.
٣٢. Henri Frankfort in Ancient Egyptian Religion.
٣٣. Erik Hornung in Conceptions of God in Ancient Egyptian .
٣٤. Jan Assmann in Moses the Egyptian.
٣٥. سيمون نايوفش :- مصر اصل الشجر - ترجمة : محمود (مكتبة الشروق القاهرة ٢٠٠٩) ص ٣٦.
٣٦. المصدر السابق ،ص ٣٦.
٣٧. Alan Gardiner in Egypt of the Pharaohs p. p 414- and 421-422.

٣٨. Ibid p. 422
٣٩. O.P. Cit. 422.
٤٠. سيمون نايوفش :- مصر اصل الشجرة ، ص ٣٨.
٤١. سيمون نايوفتش :- مصر اصل الشجرة ، ص ٣٨.
٤٢. الوسيم ويقصد بها المنطقة الواقعة حالياً في محافظة الجيزة ، سيمون نايوفش ، ص ٣٩.
٤٣. سيمون نايوفش :- المصدر السابق ، ص ٣٩.
٤٤. راندل كلارك :- الرمز والاسطورة في مصر ، ص ١٧٩.
٤٥. روبرت ارامورا :- الهة مصر القديمة ، ص ٧٠.
٤٦. المصدر نفسه :- ص ٧٢
٤٧. غلين دانيال:- الحضارات الالى ترجمة : سعيد الغانمي، كتاب دبي الثقافي (دبي ٢٠٠٩) ، ص ١١٤.
٤٨. جيمس هنري برستد : أنتصار الحضارة ، ترجمة : احمد فخري ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص ٩٣.
٤٩. فردريش فون لايت : الحكاية الخرافية ، ترجمة نبيلة ابراهيم (دارالعلم ، بيروت ١٩٧٣) ، ص ٥٣.
٥٠. المصدر نفسه ، ص ٥٣.
٥١. المصدر نفسه ، ص ٥٤.
٥٢. عبدالعزيز صالح :- حضارة مصر القديمة ، ج ١ ، ص ١٨٩.

٥٣. المصدر السابق : ج ١، ص ١٨٩.
٥٤. المصدر نفسه :- ج ١، ص ٢٦٣.
٥٥. Heun blower, G.D. some predynastic carving (JEAX III- 1927) p. 245.
٥٦. نسبة الى بلاد بونت والتي انتسبت الى شعب (بون - pun) وهم مجموعة من القبائل السامية التي هاجرت عن طريق الخليج العربي لتستقر في منطقة القرى الافريقي غزو مصر في عصر الاسرات والذين دخلوا عن طريق البحر الاحمر عن طريق فقط ، القصير ،وينظر .
petrie, M.F. the Making of Egypt 1959, p. 77
٥٧. Mercere Samuel : Hourus, Royal God of Egypt.
٥٨. يقصد الاثاري (مرسر) بعبارة الحضارة الاولى أي حضارة قنادة الاولى التي تعاصرت مع حضارة (العبيد والوركاء) في العراق (٣٢٠٠ - ٣٠٠) ق.م .
٥٩. Mercere. Samuel . A.P: Horuse. Royal God of Egypt p. 36.
٦٠. I bid : p. 37.

61. Wooley, Histo of Manking UNESCO. 1963 Voll, p. 380.

62. Ibid . p. 380.

63. Welly. Ibid . p. 386.

64. Gam bridge. Ancient History . 1971. Vol. part 2. p. 44.

65. Gardiner. A :Egypt of Pharaohs, an introduction (ox ford 1901)p. 397.

66. هنري فرانكفورت : فجر الحضارة في الشرق الاولى ، ترجمة : ميخائيل خوري ، (بيروت ١٩٥٠)، ص ١٤٤.

67. رشيد الناصوري :- التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري حتى نهاية الالف الثامن ق.م (بيروت ١٩٦٧) ص ٢١٣ - ٢١٥.

68. عبدالعزيز صالح :- حضارة مصر القديمة واثراهما ، القاهرة ١٩٦٧، ص ٢٦٤.

69. نقلاً عن تبزي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦.

70. Mercere. Horus p. 89-90.

٧١. Ibid. p. 88.
٧٢. Gapart. J: Primitive art in Egypt (1905) p. 92.
٧٣. Mercer: Hovus. P. 88.
٧٤. احمد فخري :- اليمن وماضيها وحاضرها ، القاهرة (١٩٥٧) ، ص ٦٣.
٧٥. Mercer OP. Cit. p. 89.
٧٦. Ibid . 1505p.89.
٧٧. Loret, V. Hous le faucon, BIFAO III(1903) p. 15.
٧٨. احمد فخري:- اليمن ماضيها وحاضرها ، ص ٣ ٦٣ والد ميري ، احمد بن محمد - كتاب حياة الحيوان الكبرى ، مطبعة الحلبي (القاهرة ، ١٩٥٥) ج ١ ، مادة (حر) .
٧٩. احمد فخري :- المصدر السابق ، ص ٦٣.
٨٠. Navile. Ed. La Pierre dopalerm, Rec. Trav. Xxv(1903) p. 61. ff. p. 1.

Mesopotamia roots for Horus God in the ancient Egyptian religious thinking

Dr. Intisar. Alzinkee

Kufa university

That civilization like diseases, it transfer by contagion .
The numerous questions of ancient orient sons in both of
Egypt and Iraq, which made them added a corona about
the inviolable power, that appear in their vision as a value
for world surround them.

As a result the wide imagination capacity from discover
justification center pieces the existence of these worshiped
or under stand with it .

Later arrangement the relation with it through worship. This
Command was bestow delusion at the worship (Horus)
which regards the senior heavenly Egyptian god.

Also the heritor of his father diligent (wazers God) , who
Murdered by his brother (Mist) . This kill story identify with
the story of (Abel and cain) and (Adam Eve) which
mention it through this search, that attempt for founding the
roots of mesopotamia of a myth story of falcon in Egyptian
theology " Horus God"

The search attempt to dissociation the conception of effect

and affection, in this story had been followed the effect advance this story and transfer hypoth esis, wheter, directg or iondirect, and make desire ion definition the geography area which ranging the story and contrast the removal mechanism or transition, whether it was partly or not, or inspiration or not. With our conviction by hypothesis whicdh the search be employed it, the fransfer and affection are not featured, but the complexion nature whicfh formed by answers or stories that dissociation the riddle which surrounded it from every site.

**المدرسة المستنصرية أقدم مدارس
العصر العباسي الشاخصة**

أ.د. رفاه جاسم

كلية الآداب – جامعة بغداد

المدرسة المستنصرية أقدم مدارس العصر العباسي الشاخصة

أ.د. رفاه جاسم

كلية الاداب - جامعة بغداد

تعتبر المدرسة المستنصرية ^(١) أقدم المدارس الشاخصة في العراق لحد الان .

إن ما تضمه المدرسة من وحدات بنائية والتي خصصت للدراسة تكشف بجلاء عن النظام التعليمي الذي كان سائداً في العصر العباسي .

إن ثمرة التقدم في النظام التعليمي كان مصدرها الاول الدين الاسلامي ، فكما هو معروف من خلال ما اشارت له المصادر التاريخية فان النبي محمد ﷺ هو أول مربٍ عربي في الاسلام ^(٢) ، علم الصحابة وهؤلاء علموه الناس وحرص العرب المسلمين على نشره بين الامم المختلفة . ولان مرجعهم في التشريع والعبادة والاجتماع والسياسة ، القرآن الكريم . ومن هنا كان فضل القرآن في انتشار التعليم ^(٣) ، ويمثل المسجد الركيزة الاساسية لنشأة حركة التعليم في العصر الاسلامي ، فكانت الحلقات الدينية والعلمية تقام في المساجد او بيوت الخلفاء ، لكن مع مرور الزمن ، أصبحت هذه الاماكن غير كافية لتلبية الحاجة ، إذ ان تزايد اعداد السكان دفع الى التفكير في ايجاد أماكن غير المساجد . ووصولاً إلى القرن الرابع الهجري التاسع الميلادي وما صاحبه من تقدم حضاري شمل كل جوانب الحضارة العربية الاسلامية ، بدأت فكرة المدرسة تتبلور وذلك بظهور دور مخصصة للتدريس ، فيها مساكن للغرباء وقفت لها

الاقواف وجعلت فيها خزانات الكتب ودرست فيها علوم مختلفة وهكذا كانت المدارس مرحلة متقدمة من سلسلة التطورات التي مرت بها حركة التعليم ^(٤) . ويمثل منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فاتحة خير لنظام التعليم والمدارس في الاسلام ، وذلك عندما أخذت الدولة احتضان فكرة المدرسة واتخاذها مركز لنشر الفكر الاسلامي . فهيأت الدولة المباني لذلك وصرفت الاجور للمدرسين والطلاب وجعلت لها الاوقاف الكافية للصرف عليها وضمن دوامها ^(٥) .

وهكذا بنيت المدرسة النظامية من قبل نظام الملك وزير السلطان السلجوقي الب أرسلان وهي احدى المدارس التي اقامها الوزير في كل من بغداد والبصرة والموصل وبلخ ونيسابور وهراة وأصبهان ومرو وآمد ^(٦) . وكان لنظامية بغداد أهمية كبيرة وتركت تأثيراً في الحضارة الاسلامية . واعتبرت اول مدرسة في الاسلام وذلك لان نظام الملك السلجوقي وضع قاعدة مهمة اتبعت من بعده في ارجاء العالم الاسلامي وفي مختلف العصور اللاحقة ، الا وهي انشاء المدارس من قبل الدولة واستقلالها عن ابنية المساجد وتوفير مستلزمات سكن وقاعات تدريس للمدرسين والطلبة مع تخصيص اجور شهرية لهم ^(٧) .

وأما بخصوص النظام التخطيطي والعماري للمدرسة فيمكن القول أنه استند أصلاً عن نظام المسجد الجامع الذي تطور تخطيطه وعمارته تطوراً منطقياً

بحكم الضرورة ووفق متطلبات المدرسة من إقامة بيوت سكن لفريق من الاساتذة والطلاب سبل البحث والدراسة والمعيشة لهم^(٨) .

وبعد أرساء قواعد المدرسة بدأ عدد من المدارس منها النظامية والبلطاسية والتاجية والنتشية ومدرسة ابن دينار والمدرسة الشاطئية^(٩) .

وعلى الرغم من كثرة المدارس التي ورد ذكرها والتي لم نشر لها ايضاً ، إلا أن ما وصلنا وبقي قائماً هي المدرسة المستنصرية ، وبنيت من قبل الخليفة العباسي المستنصر بالله^(١٠) في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م . وتكامل البناء في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م . وكانت آية فنية رائعة ما بني على وجه الارض احسن منها^(١١) .

وأما بخصوص الأهمية التاريخية للمبنى فهو بحق أكبر مبنى فان بقاءه ماثلاً يعتبر اثراً من آثار تلك المدينة الزاهية عصرئذ . فظلت كالطود يتحدى حوادث الزمن التي مرت ، ولا تزال المدرسة المستنصرية من أجمل مباني بغداد وأعظمها أثراً على مر الزمن^(١٢) .

وكانت المدرسة المستنصرية جامعة اسلامية كبرى تدرس فيها علوم القرآن الكريم والفقه والحديث واللغة العربية والرياضيات^(١٣) .

وبعد ان استعرضنا تاريخ المدرسة لابد من تسليط الضوء على تخطيط وعمارة المدرسة والتي هي اقدم المدارس الشاخصة ، والتي يكشف تخطيطها وعمارته

عن الفكر الثاقب للمعمار المسلم ، فضلاً عن الزخارف التي تزين أقسامها .
وتحفل كتب التاريخ بوصفها والإشادة ببنائها منها (ما بنى على وجه الارض
أحسن منها ولا أكثر وفقاً^(١٤)) وقال آخر (لم يعمر في الدنيا مثلها فعمرت
على أعظم وصف في صورتها واتساعها وزخرفتها وكثرة فقائها ووقوفها^(١٥)).

وعن بنائها فهي (محكمة البناء راسخة في الماء فسيحة البناء وصفها غريب
وحسن ترتيبها عجيب شامخة الى عنان السماء^(١٦)) .

تخطيط المدرسة وعمارتها وزخرفتها :

ان الشكل العام للمدرسة مستطيل ، ابعاد المدرسة من الخارج ١٠٤,٨٠ م^٢ طولاً
وعرضها من الجهة الغربية ٤٤,٣٠ م^٢ فتتسع في الجهة الجنوبية الشرقية
فيصبح عرضها ٤٨,٨٠ م اما مساحتها الكلية ٤٨٢٦ م^٢ (١٧) .

وتتضم المدرسة في تخطيطها العديد من الاقسام بدءاً بالمدخل والساحة الوسطية
(الصحن) والحجرات والأواوين والغرف في الطابق الاعلى والممرات .

وللوصول الى اقسام المدرسة لابد من اجتياز المدخل الذي يقع في منتصف
الضلع الشمالي الشرقي تقريباً ، وهو شاهق البناء يرتفع عن باقي ابنية المدرسة
حوالي (٦ م) . ويبرز عن الجدار من الخارج بمقدار (٣.٥ م)^(١٨) . ويتسم
المدخل بالحصانة ، وتبرز أهميته من حيث اتقان بنائه وشكله المميز حيث

الزخارف والكتابة التي تزين واجهته ، مما اضى عليه مسحة جمالية ينظر لها الداخل عند وصوله للمدرسة .

وللمدخل واجهة تزينها الزخارف التي رتبت ضمن سلسلة العقود المتراجعة التي تؤطر وتعلو فتحة المدخل . وقوام الزخرفة عناصر هندسية .

وتضم الواجهة ثلاثة عقود العقد الاول عقد مدبب منفوخ تحلية زخرفة قوامها خطوط متقاطعة تألفت منها اشكال هندسية مختلفة الاحجام منها الاشكال النجمية والمربعات الصغيرة . أما الزخارف النباتية فتراها حصرت داخل الاشكال الهندسية والنجوم والفراغات ، ومن ابرز العناصر النباتية التي ظهرت عنصر المروحة النخيلية ^(١٩) (البالميت) منها البسيطة والمفصصة ، وتتناظر عناصر الزخرفة وتتقابل لتشكل من التكرار موضوعات زخرفية ظهرت باسلوب بديع . ان التكرار في الوحدات الزخرفية ادى الى نوع من الزخرفة اطلق الباحثون الاجانب على تسميته بالاريسك ، أما الباحثون العرب فسموه الرقش العربي او التوشيح العربي وقوامه مجموعة من العناصر النباتية المتكررة الى ما لا نهاية ، وتخضع الى اسلوب التناسق والتناسب في حجمها واشكالها واولاها وهذه الزخرفة هي من الابتكارات العربية الاسلامية في مجال الزخرفة .

أما الكتابة فتظهر بشكل اشربة تزين واجهة المدخل واعلى الجدران ، ولم يقتصر ظهورها على كونها احد الأدلة الموثقة التي تحمل تاريخ البناء واسم

الباني بل هي ضمن الزخارف التي تزين الواجهة . وتتضمن الاشرطة الكتابية التي تتألف من ١٠ اسطر كل سطر يحمل مجموعة من العبارات ، لكن الذي يهمننا منها الشريط الذي يحمل اسم الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣هـ / ١٢٣٦م - ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢م) حيث يظهر في النص (... سيدنا ومولانا إمام المسلمين وخليفة رب العالمين ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين ، شيد الله تعالى معالم الدين بخلود سلطانه وأحيا قلوب اهل العلم بتضاعف نعمه واحسانه وذلك سنة ثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ^(٢٠) . ثم نجد هناك شريط يزين اعلى الواجهة ويدور حولها في الواجهة المطلية على النهر ويحمل آيات قرآنية كريمة ، ويسد فتحة المدخل في الوقت الحالي باب خشبي حديث تم عمله من خلال اعمال الصيانة التي جرت للمدرسة خلال القرن المنصرم، وهكذا شكل المدخل بواجهته المزخرفة قطعة فنية متكاملة من حيث الزخارف . وتم تنفيذ الزخرفة بالآجر وهو المادة الأساسية التي بنيت بها المدرسة وعملت منه الزخارف المتنوعة وبعد اجتياز فتحة المدخل يصل الداخل الى المدرسة من خلال ما يشبه الايوان مسقف بقبو يزين باطنه الزخرفة ويطل على الساحة الوسطية بعقد مدبب كبير يستند طرفاه على عمودين مندمجين بالجدار ، والعقد الكبير يتوسط واجهة فتحة المدخل المواجهة للساحة الوسطية . وبعد اجتياز المدخل يتم الوصول الى الساحة الوسطية وهي مكشوفة مستطيلة الشكل ابعاده ٦٢,٤٠ م طولاً و ٤٧,٤٠ م عرضاً وبذلك تكون مساحتها الكلية ١٧١٠ م ^٢ (٢١).

ومن اقسام المدرسة مسجدها الواقع بمحاذاة الضلع الجنوبي المطل على نهر دجلة ، ومن المعروف أن المساجد كانت من الوحدات الأساسية في تخطيط المدارس ويطلق عليها المساجد المدرسية أبعاد المسجد ٢٣ م طول جدار القبلة وعرضه ٥,٩٠ م ، ويطل المسجد على الساحة الوسطية بواجهة مؤلفة من كتفين ضخمتين طول الكتف الواحد ٦ م وعرضه ٢,٤٠ ، وبين هذه الاكتاف نجد ثلاثة عقود مدببة كبيرة نتوج الواجهة (٢٢) .

وتضم المدرسة إيوانين أحدهما يقع في الجهة الشمالية الغربية والآخر في الجهة الجنوبية الشرقية . والايوان قاعة مفتوحة من أحد جوانبها وذات سقف مرتفع ويطل على بناء (٢٣) . ولكل أيوان واجهة يزيد ارتفاعها عن ارتفاع البناية ويتوجها عقد كبير مدبب الشكل يرتكز طرفاه على عمودين مندمجين بالجدار ، ويغطي المساحة الموجودة فوق العقد زخارف هندسية قوامها فروع نباتية ، وسقف الايوان على شكل قبو . ويتمثل ايوان دار القرآن المطل على خارج المدرسة مع الأيوانين السابقين من حيث الشكل ومن حيث الزخرفة ومن اقسام المدرسة القاعات الكبيرة حيث نجد (٧) قاعات شرقية أغلبها مستطيلة الشكل يتقدمها رواق مرتفع يبلغ طوله (٢٣,٨٠م) وعرضه (١,٤٠م) (٢٤) . وتتميز القاعات بارتفاع سقف كل منها ليصل الى ارتفاع البناية (٢٥) .

وكما هو معروف فان القاعات الكبيرة خصصت للمحاضرات ، ولكل قاعة مدخل مفتوح على رواق مرتفع مثلها وتتباين مساحة القاعات كذلك تباينت

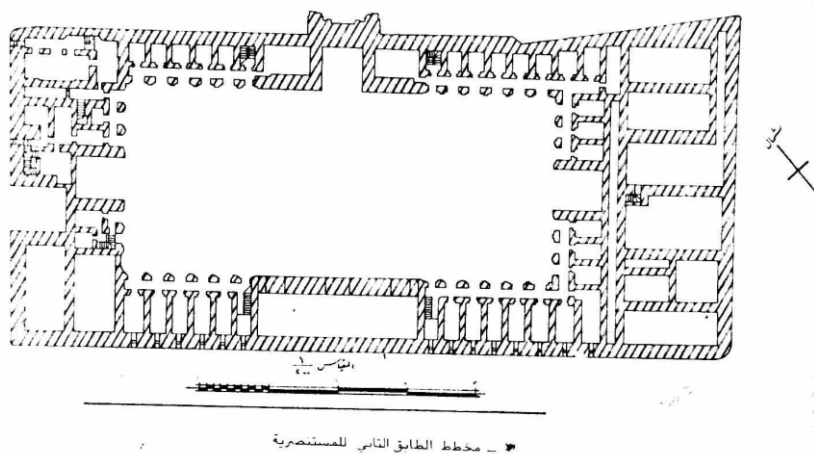
سقفوها . وبخصوص الرواق الذي يتقدم القاعات الكبيرة تم تسقيفه بقبو مدبب فتحت فيه (٤) نوافذ توزعت على مساحات متساوية .

وثمة وحدات بنائية في المدرسة هي الحجرات والغرف الصغيرة وبنيت من طابقين . ويبلغ عدد حجرات الطابق الاول (٤٠) حجرة في حين بلغ عدد الغرف في الطابق الثاني (٢٦) غرفة ^(٢٦) ، وخصصت لكل الطلبة .

ومن أجل حماية بناية المدرسة بنيت لها مسناة وهي بناء ضخم من الآجر ومن المحتمل انه لاسناد البناء ، وكذلك بعد النهر عن البناية حوالي ١٢ م يستدعي بناء مسناة وذلك لايجاد طريق يسير عليه الناس ^(٢٧) .

وبعد أن استعرضنا البحث لابد من الإشارة إلى الجانب التاريخي والآثاري للمدرسة ، فهي أقدم المدارس القائمة في العراق والتي تعود بتاريخها الى العصر العباسي ، والتي تدرس فيها العلوم الدينية ، فضلاً عن أنها تظهر مدى الاهتمام بالمؤسسات التعليمية وخصوصاً الخليفة العباسي المستنصر بالله الذي امر ببنائها .

واما الجانب الآثاري فالمدرسة تتميز بمساحتها الشاسعة التي تضم العديد من الوحدات البنائية التي ظهرت فيها العديد من العناصر العمرانية والزخرفية التي كانت على جانب كبير من الدقة والانتقان مما جعلها من المعالم الآثارية الشاخصة لحد الآن وعلى الضفة الشرقية لنهر دجلة في بغداد .

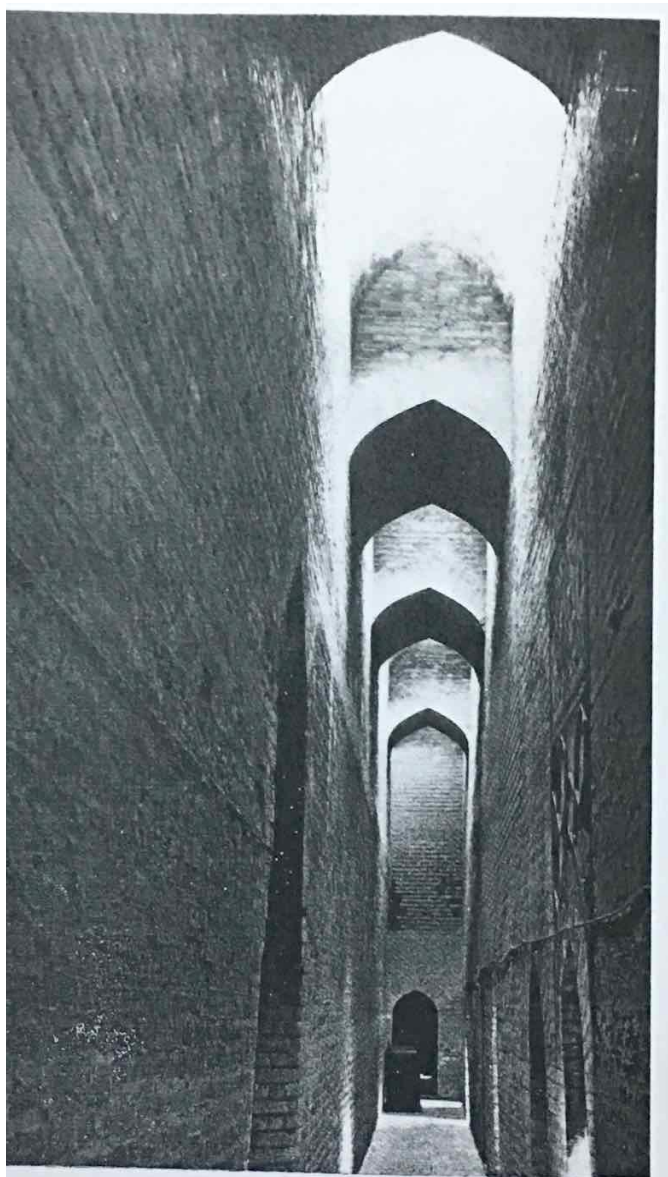


الشكل (١)



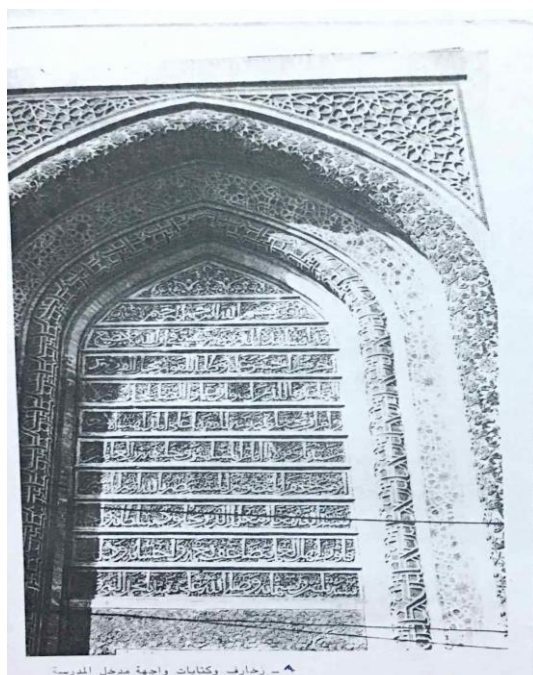
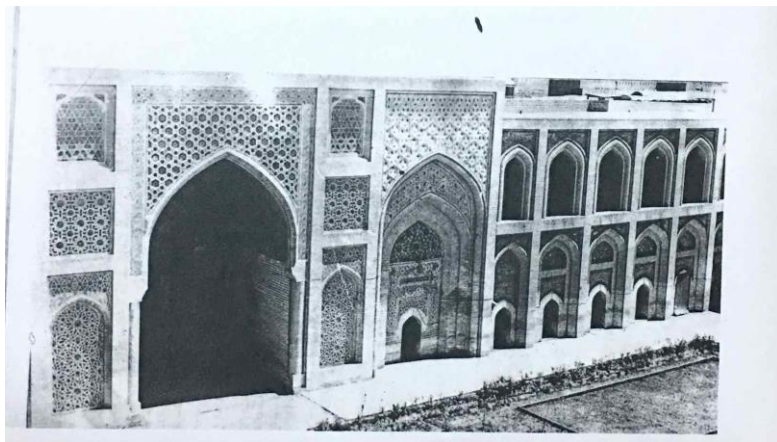
الشكل (٢)

الشكل (٣)

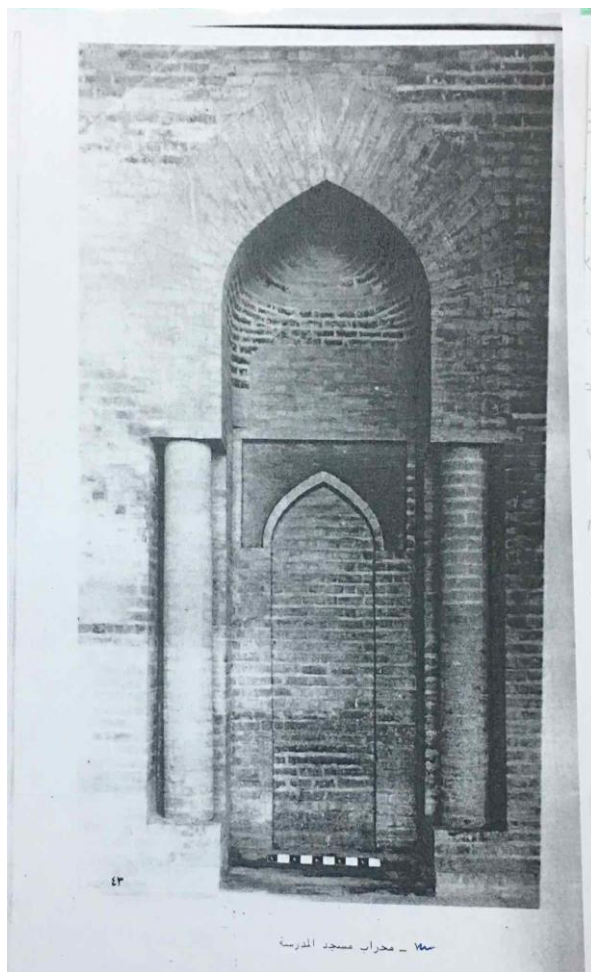


الرواق (المجاز) المؤدى الى الحجر والقاعات

الشكل (٤)



الشكل (٥)



الشكل (٦)

الهوامش :

- (١) تقع المدرسة المستنصرية في الجانب الشرقي من بغداد على ضفة نهر دجلة ، ابن الفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق بن محمد الشيباني ت ٧٢٣ هـ ، تلخيص مجمع الآداب في مجمع الالقب ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة وزارة الثقافة والارشاد ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ، ص ٥٣ .
- (٢) أمين حسين ، المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ، ١٩٦٠ ، ص ٦
- (٣) أمين ، المصدر السابق ، ص ٧ .
- (٤) الاعظمي ، خالد خليل حمودي ، المدرسة المستنصرية في بغداد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ م ، ص ٩ .
- (٥) حيدر كامل ، نشوء المدارس الاسلامية وخصائصها في العصر العباسي ، بيروت ، ١٩٩٥ م ، ص ٨٢ .
- (٦) معروف ، ناجي ، المدرسة المستنصرية ، بغداد ، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م ، ص ٦ .
- (٧) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٦٧ هـ ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م ، ج ٨ ، ص ٤٥ ؛ ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن جبير الكنايني ، ت ٦١٤ ، الرحلة ، بيروت ، ١٩٦٨ م ، ص ١٨٣ .
- (٨) فكري ، أحمد ، مساجد القاهرة ومدارسها ، مصر ١٩٦٩ ، ج ٢ ، ص ١٥٤ و ١٩٢ .

- (٩) معروف ، المصدر السابق ، ص ١١ و ١٢ .
- (١٠) الخليفة المستنصر ، ابو جعفر ابن الظاهر بأمر الله وحفيد الناصر لدين الله ولد سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م وبويع بالخلافة بعد وفاة ابيه سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٢٦ م ، أمين ، المصدر السابق ، ص ٣ .
- (١١) القرماني ، ابو العباس احمد بن يوسف الدمشقي ، ت ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م ، اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ١٨٠ .
- (١٢) أمين ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .
- (١٣) الاربلي ، المتوكل على الله الازلي عبد الرحمن سنط فنيتر ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر سير الملوك ، مطبعة القديس جاور جيوس ، ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م ، ص ٢١٢ .
- (١٤) القرماني ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ .
- (١٥) ابن العبري ، غريغوريوس ، ابو الفرج بن اهرن الملطي ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ، تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، للأباء اليسوعيين ، بيروت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م ، ص ٤٢٥ .
- (١٦) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢١٢ .
- (١٧) الاعظمي ، ص ٢١ .
- (١٨) حيدر ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .
- (١٩) المروحة النخيلية ، عنصر زخرفي نباتي متطور اصلاً عن رؤوس النخيل وكان اول من استخدام له في الفن الآشوري واستمر استخدامه في فنون الحضارات التي قامت على ارض العراق ، حميد ، عبد العزيز ، الزخرفة في

الجص ، حضارة العراق ، نخبة من الباحثين العراقيين ، بغداد ، ١٩٨٥ م ، ج٩ ، ص ٣٨٦ .

(٢٠) الاعظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٢١) الاعظمي ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٢٢) حيدر ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٢٣) الاعظمي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٢٤) حيدر ، المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٢٥) الاعظمي ، ص ٢٩ .

(٢٦) حيدر ، ص ٨٥ .

(٢٧) حيدر ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

**صورة الارملة
في المجتمع العراقي القديم**

**أ.م. د. سجي مؤيد عبد اللطيف
جامعة بغداد/كلية الآداب/قسم الآثار**

صورة الارملة

في المجتمع العراقي القديم

أ.م. د. سجي مؤيد عبد اللطيف

جامعة بغداد/كلية الآداب/قسم الآثار

الأرْمَلَةُ المرأة التي لا زوج لها ، ويقال أَرْمَلَتِ المرأة عندما يموت عنها زوجها مع ذهاب زادها وفقد كاسبها ، و أَرْمَل الرجل إذا ذهب زاده وكذلك أفقر، وفي حديث أم معبد (أن رسول الله وأصحابه طلبوا منها لحماً وخبزاً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وكان القوم مُرْمِلِينَ مُشْتِينَ)^(١)، وبهذه الدلالة يؤدي الرمل الى الجذب والعوز. ورجل ارمل و أمراءه ارملة : محتاجة ، وهم الارملة والارامل والارملة ، وكل جماعة من الرجال دون نساء او النساء دون رجال ارملة، بعد ان يكونوا محتاجين ، ويقال للفقير الذي لا يقدر على شيء من رجل او امراءه ارملة ، والارامل المساكين، والارمل عند البعض الذي ماتت زوجته ، والارملة التي مات زوجها وسواء كانا اغنياء او فقراء.^(٢)

وترد الارملة باللغة السومرية بالمصطلح : nu-kuš2-u3 او بالمصطلح nu-ma-su يقابلهما باللغة الاكدية almattu ، والارملة في اللغات العراقية القديمة ليست تلك التي فقد زوجها بل التي ليس لها معيلاً من اب او زوج او ابن بالغ ولها الحرية عند ذلك في اختيار المهنة او في عقد الزواج الثاني ، وقد كان ظهور المصطلح ابتداء منذ العصور السومرية المبكرة وتواصل استعماله في العصور اللاحقة^(٣).

ورد مصطلح الارملة مع اليتيم متلازماً منذ عصور فجر السلالات وتحديداً في نصوص واصلاحات اخر ملوك لكش: (أوروكاغينا)، الذي كان

آنذاك أحد كتبة المعابد قبل ان يكون قائدا لثورة ، ونتيجة لانتمائه الطبقي لعامة الناس ، جعله يحس بمعاناة أبناء شعبه ويستشعر آلامهم... وقد وضع هذا المصلح بعد انتصار الثورة وتولييه الحكم اصلاحات اجتماعية تعتبر بواكير التشريعات القانونية في التاريخ، ذكر في مقدمتها.. (منذ الآن لن يظأ الكاهن أرض البستان.. منذ الآن لن يقتلع الكاهن شجرة الفلاح أو ينهب ثمارها)، (منذ الآن لن يُسلم الارملة واليتيم والضعيف الى الحاكم والقوي، والفقير الى الغني والكاهن)، (سيكون بيت الفقير بجانب بيت الغني)، كما ذكر هذا المصلح لأول مرة في التاريخ كلمة (الحرية) التي تقرأ في السومرية (أمارغي) حيث ورد (أن الحرية ستكون لكل فرد في لكش)...ومن هنا ورد مصطلح الارملة مثلما ظهر اول اهتمام بها وبأولادها الايتام من خلال اول اصلاحات في العالم القديم التي عرفت بإصلاحات اروكاجينا .^(٤)

وقد استمر الاهتمام بالأرملة وابنائها لأغلب القوانين عبر عصور التاريخ العراقي القديم منذ اول القوانين المتمثلة بقانون اورنمو السومري حيث ورد ذكر الارملة التي لها نصف ما للمرأة البكر اذا ما طلقها زوجها ، وان لا يكون لها شيئا اذا ما طلقها بدون عقد اصولي من خلال احد المواد القانونية التي جاءت بها ^(٥) :

"اذا طلق رجل زوجته(التي كانت ارملة قبل زواجها منه) ، عليه ان يدفع (لها) ٣٠ شيقل من الفضة" (المادة العاشرة من القانون)
"واذا عاشر الارملة بدون عقد زواج اصولي فلا يحتاج ان يدفع لها شيئا على الاطلاق" (المادة الحادية عشر)

وكان الاعتناء بالأرملة وبحقوق الابناء واضحا في اهم القوانين المتمثلة بقانون حمورابي كما جاء في احد المواد القانونية بالشكل الاتي ^(٦) :

"إذا قررت ارملة ولايزال ابناؤها صغارا ، الدخول الى بيت (رجل) ثان، فلا (يحق) لها الدخول دون (علم) القضاة ، وعندما تدخل بيت الرجل الثاني ، فعلى القضاة ان يدرسوا وضعية بيت زوجها السابق ويعهدوا (بمسؤولية) بيت زوجها السابق الى تلك المرأة وزوجها الاخير اي الثاني ، ويطلبوا منهما ان يتركا رقيما (يتعهدان) فيه بالمحافظة على البيت وتربية الاطفال الصغار ، ولا (يحق) لهما بيع حاجيات البيت مقابل نقودا ، والمشتري الذي يشتري حاجيات ابناء الارملة ، يخسر نقوده وتعاد الحاجيات الى اصحابها" (المادة ١٧٧ من قانون حمورابي)

وقد ختم حمورابي قوانينه بذكر العديد من الاسس القانونية المهمة ومنها جاء ذكر الاعتناء باليتيم والارملة من لدنه بالشكل الاتي^(٧):

" ولكي ترعى العدالة اليتيم والارملة ، كتبت (انا حمورابي) كلماتي النفيسة على مسلتي"

من هذا يتضح اهمية اليتيم والارملة في المجتمع العراقي القديم بحيث يهتم الحكام القدماء على ذكره والفخر بذلك .

وجاء ذكر الارملة كثيرا في القوانين الاشورية بالشكل الاتي^(٨):

" اذا دخلت ارملة بيت رجل (اخر) وهي تحمل طفلا صغيرا . وتربى هذا الطفل في بيت زوجها دون ان يتبناه ، فلا يرث هذا (الطفل) زوجها ولا يكون مسؤولا عن ديونه ،ولكنه يأخذ حصته من البيت الذي تربى فيه" (المادة ٢٨ من قوانين العهد الاشوري الوسيط)

"اذا كانت امرأة لاتزال تعيش في بيت والدها ولها اولاد ومات زوجها فلها ان تسكن في أي بيت تختاره مما يملكه (زوجها او والدها) . اذا لم يكن لها اولاد فلوالد زوجها الحق في ان يزوجها لأي ولد يختاره من بين اولاده....او اذا

وافق والد زوجها ، اما اذا كان الزوج والعم ميّتين ولم يكن لها اولاد ، فتصبح (في هذه الحالة) ارملة ولها الحق ان تذهب اينما تشاء. " (المادة ٣٣)
"اذا عاش رجل ارملة من دون عقد زواج ، وعاشت في بيته لمدة سنتين ، (ففي هذه الحالة) تصبح زوجة ولا يجوز طردها " (المادة ٣٤)
" اذا دخلت ارملة بيت رجل (لتعيش معه) فكل شيء تجلبه (معها يصبح) ملكا لزوجها . اما اذا دخل رجل (بيت) امرأة (ليعيش معها) فكل شيء يجلبه (معه يصبح) ملكا للمرأة . (المادة ٣٥)
" لا يجوز لأمرأه متزوجة كانت ام ارملة ام اشورية ان تخرج الى الشارع العام دون غطاء على رأسها....." (٩)

من هذا يتضح اهمية الارملة في المجتمع العراقي القديم لهذا كانت محل اهتمام الالهة مثل انانا التي تنشر العدل بين رعاياها وترعى اليتيم والارملة مثلما تفعل الالهة نانشة، وكذلك الحكام القدماء وعلى رأسهم اروانمكينا وكوديا واورنمو واشمي داکان وغيرهم من الحكام ، وقد جاء ذلك في جميع الكتابات الادبية والتاريخية والقانونية ، في حين لم يرد ذكر الارملة واليتيم في النصوص الادارية او الاقتصادية الا قليلا ، ولكن زخرت النصوص الادبية والامثال بذكرهما ، فكانت الارامل مثالا للضعف والعوز مع اطفالها اليتام لهذا فقد كانت محل اهتمام الالهة ، فضلا عن الملوك والحكام العادليين، ونجد هذه الصورة متواصلة الى يومنا هذا ، وبالإمكان تتبع اهمية دور الارملة مع الالهة في الادبيات السومرية الاتية:

اغنية انانا و دموزي (١٠)

"نباتاتي(نباتات انانا) ، زرعني ، ربما اغنامي تأكل دمي لليتيم ، ومساندتي للأرملة"

ترتيبة نانشة^(١١)

"انها ترعى اليتيم والارملة"

اما في كتابات الملوك مثل كوديا كما في النص الاتي:^(١٢)

"بدأ (كوديا) بنشر عدالة نانشة و نكرسو ، عندما جهز الحماية لليتيم ضد

الغني ، وجهز الحماية للأرملة ضد القوي"

وفي كتابات شولكي كما جاء في رسائله:^(١٣)

"امنحني زوجتي وامسك يداي ! انا ابن الارملة "

وهنا يفتخر شولكي بانه ابنا لأرملة.

اما في كتابات الملك اشمي داكان يمكن ان نلاحظ اهتمامه بالأرامل من خلال

ترنيمة اشمي داكان^(١٤):

"لدي مجرمي الثورة والعصيان.....احتملت توسلات العبيد ، الزوجات

والارامل اللواتي يصيحون وا حسرتاه اوتو ! او وا حسرتاه نانا ."

اما بالنسبة للأدبيات فقد جاءت الارملة رمزا للعوز والضعف كما جاء في

ادبية " انكي ونخرسالك" عند وصف جنة عدن وهي تخلو من الارامل والايتام

دليلا على خلو الجنة من أي حالة غير مناسبة للخلود الابدي المتمثل

بالجنة^(١٥):

" عندما كان العالم حديثا... كان الغراب لا ينعب . لم يكن طائر الموت يطلق

صرخة الموت " نعيب الغراب " . لم يكن الأسد يفترس، وكان الذئب لا يمزق

الحمل، لم تكن الحمامة تشجو حزينة. لم تكن هناك أرملة ولا شيخوخة ولا

بكاء وأحزان . "

وفي مقطع اخر:

"عندما نشرت الارملة شعير الجعة فوق السقف، فإن الطيور لم تأكل من شعير الجعة ، والحمامة لم تغطي الرأس تحت اجنحتها"
وتتكرر الصورة في الادبية السومرية "كلكاش وخاوا" بالشكل^(١٦):
"بينما كان يقطع انكيدو اخشاب الارز ، واولاد الارملة كانوا يكسونها ، بسبب....خاوا كانت قد افزعت في عرينها من قبل كلكاش ،عندما بدأ يسلط الفرع عليها"

وجميع هذه الصور تظهر الضعف للأرملة وابنائها.

ويأتي ارتباط صورة الارملة بالحاجة والعوز التي يقوم على مساعدتها حتى الشجر والنخل في كثير من الادبيات مثل مناظرة الشجرتين "النخلة والاثل" بتعداد فوائد كل منهما حيث تذكر النخلة انها غذاء العبد والسيد الفقير والغني والطفل والبالغ والمرأة الارملة والفتاة اليتيمة ، كلهم يأكلون من ثمار النخلة بلا قيد ، وأنها . أي النخلة . المطهر الرئيس والمقدس للمعبد وانها المنتج الرئيس للخيوط وناسج ملابس الجنود وانها صانعة الخمر والجعة .
تتعدد صور عوز وضعف الارملة وحالتها في النصوص الادبية لتصبح محل تصدق الميسورين احيانا عليها وهكذا تتكرر الصور في جميع الكتابات الادبية

وكذلك في الادبية السومرية "كلكاش وثور السماء" بالشكل الاتي:^(١٧)
"وبينما كان يتحدث، اودع جلدها في الشوارع، واودع الامعاء في ساحة واسعة، وأبناء الأرامل مدينته سيأخذ كل نصيبه من اللحوم في سلال. انه مودع الذبيحة للقصاب و...، وتحولت لها قرنان في قوارير لتصب الزيت على ما يرام لإنانا في E-أنا"

وفي "مناظرة الفأس والمحراث" السومرية^(١٨):

"الايتم والارامل والمعوزين يأخذوا سلالهم القصبية ، ويستخلصون اذني المتبعثرة "

وقد تكررت الصورة في كثير من الادبيات ، فضلا عن الحالة الاجتماعية التي يولده الترمل كما وجدناه في ادبية موت اورنمو وهو يصف زوجته من بعده كيف تصبح ثكلى تقضي يومها بالدموع و المراثي الحزينة، كما في ادبية "موت اورنمو" ^(١٩):

"يا حسرتاه زوجتي اصبحت ارملة ؟ اصبحت تقضي يومها بالدموع و المراثي الحزينة "

وفي النتيجة نخلص الى ان الارملة كانت محض اهتمام الالهة والملوك وشرائح كثيرة من المجتمع العراقي القديم وكذلك ابنائها ، وهذا نتيجة احساسهم بالضعيف ومحاولتهم انصافه من القوي ، وان كان لا يحدث هذا دائما وفي جميع الاحوال مع جميع الشرائح ولكنه المهم انها الارملة احيانا كانت تجد من ينصفها من القوي في تلك الحضارة الاصيلية من العراق القديم .

الهوامش والملاحظات

^١ المشتون الداخلون في الشتاء والشتاء عند العرب وقت الجَدَبِ .

^٢ لسان العرب، ج١١، ص ٢٩٦- ٢٩٧

^٣ CAD,A2,pp.362-364

^٤ فوزي رشيد، ترجمات لنصوص ملكية سومرية، مسئلة غير منشورة ، ص ٥٠

^٥ Roth M. T. ,Law collections from Mesopotamia and Asia Minor, second edition ,Atlanta , Georgia,1997,p.18

^٦ Ibid.,p. 116

^٧ Ibid.,p. 169

^٨ Ibid.,p. 165

^٩ Ibid.,p. 167

^{١٠} Sefati, Yitschak. 1998. Love songs in Sumerian literature: critical edition of the Dumuzi-Inanna songs. Bar-Ilan Studies in Near Eastern Languages and Culture. Publications of the Samuel N. Kramer Institute of Assyriology. Ramat-Gan: Bar-Ilan University Press., p. 260-266

^{١١} Alster, Bendt. 1974a. The Instructions of Suruppak. Mesopotamia. Copenhagen Studies in Assyriology 10. Copenhagen: Akademisk Forlag.

¹² Edzard, Dietz Otto. 1997. Gudea and His Dynasty. The Royal Inscriptions of Mesopotamia. Early Periods 3, 1. Toronto/Buffalo/London: University of Toronto Press, pp. 68–101

¹³ Ali, Fadhil A. 1964. Sumerian Letters: Two Collections from the Old Babylonian Schools. Philadelphia: University of Pennsylvania., p. 53–62

¹⁴ Frayne, Douglas R. 1998. "New Light on the Reign of Išme–Dagān". In Zeitschrift für Assyriologie 88, pp. 6–44.

¹⁵ Attinger, Pascal. 1984a. "Remarques a propos de la "Malédiction d'Accad"". In Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale 78, pp. 99–121.

¹⁶ Edzard, Dietz Otto. 1990. "Gilgameš und Huwawa A. I. Teil". In Zeitschrift für Assyriologie 2, 80, pp. 165–203.

¹⁷ Cavigneaux, Antoine and Al–Rawi, Farouk N.H. 1993. "Gilgameš et Taureau de Ciel (šul–mè–kam) (Textes de Tell Haddad IV)". In Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale 2, 87 I–III. Paris, pp. 97–129

¹⁸ Bottéro, Jean. 1991. "La "tenson" et la réflexion sur les choses en Mésopotamie". In Dispute Poems and Dialogues in the Ancient and Medieval Near East. Orientalia

Lovaniensia Analecta 42. Reinink, G. and Vanstiphout, Herman L.J. (ed). Leuven: Peeters, pp. 7-22

¹⁹Castellino, G. 1957. "Urnammu. Three Religious Texts". In Zeitschrift für Assyriologie 52, pp. 1-57.

المصادر العربية والاجنبية

المصادر العربية:

١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي،
لسان العرب، بيروت - ١٩٥٦.

المصادر الاجنبية:

- 1- Ali, Fadhil A. 1964. Sumerian Letters: Two Collections from the Old Babylonian Schools. Philadelphia: University of Pennsylvania.
- 2- Alster, Bendt. 1974a. The Instructions of Suruppak. Mesopotamia. Copenhagen Studies in Assyriology 10. Copenhagen: Akademisk Forlag
- 3- Alster, Bendt. 1997. "Sumerian Canonical Compositions. C. Individual Focus. 1. Proverbs". In The Context of Scripture, I: Canonical Compositions from the Biblical World. Hallo, William W. (ed). Leiden/New York/Köln: Brill. 563-568

- 4- Alster, Bendt. 1997a. Proverbs of Ancient Sumer: The World's Earliest Proverb Collections. Bethesda, MD: CDL Press
- 5- Attinger, Pascal. 1984a. "Remarques a propos de la "Malédiction d'Accad"". In Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale 78. 99-121
- 6- Bottéro, Jean. 1991. "La "tenson" et la réflexion sur les choses en Mésopotamie". In Dispute Poems and Dialogues in the Ancient and Medieval Near East. Orientalia Lovaniensia Analecta 42. Reinink, G. and Vanstiphout, Herman L.J. (ed). Leuven: Peeters. 7-22
- 7- CAD : The Assyrian Dictionary of the University of Chicago (Chicago 1956 ff.)
- 8- Castellino, G. 1957. "Urnammu. Three Religious Texts". In Zeitschrift für Assyriologie 52. 1-57.
- 9- Cavigneaux, Antoine and Al-Rawi, Farouk N.H. 1993. "Gilgameš et Taureau de Ciel (šul-mè-kam) (Textes de Tell Haddad IV)". In Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale 2, 87 I-III. Paris 97-129
- 10- Cavigneaux, Antoine and Al-Rawi, Farouk N.H. 2000a. "La fin de Gilgameš, Enkidu et les Enfres

- d'après les manuscrits d'Ur et de Meturan (Textes de Tell Haddad VIII)". In Iraq 62. in press
- 11- Civil, Miguel. 1994. The Farmer's Instructions. A Sumerian Agricultural Manual. Aula Orientalis Supplementa 5. Sabadell: Editorial Ausa
- 12- Edzard, Dietz Otto. 1990. "Gilgameš und Huwawa A. I. Teil". In Zeitschrift für Assyriologie 2, 80. 165-203
- 13- Edzard, Dietz Otto. 1997. Gudea and His Dynasty. The Royal Inscriptions of Mesopotamia. Early Periods 3, 1. Toronto/Buffalo/London: University of Toronto Press.
- 14- Frayne, Douglas R. 1998. "New Light on the Reign of Išme-Dagān". In Zeitschrift für Assyriologie 88. 6-44
- 15- Roth M. T. ,Law collections from Mesopotamia and Asia Minor, second edition ,Atlanta , Georgia,1997
- 16- Sefati, Yitschak. 1998. Love songs in Sumerian literature: critical edition of the Dumuzi-Inanna songs. Bar-Ilan Studies in Near Eastern Languages and Culture. Publications of the Samuel N. Kramer Institute of Assyriology. Ramat-Gan: Bar-Ilan University Press.

الكتّبة ودورهم الحضاري في مصر

د. جميلة خالفي
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة _ الجزائر
/كلية العلوم الانسانية والاجتماعية /قسم التاريخ

أدت الكتابة والكتابة دورا جوهريا منذ القدم في تدوين الذاكرة الانسانية والمحافظة علي التراث جيلا بعد جيل ، وذلك بفضل تفكير الانسان الأول وتدبره لأجل ايجاد وسيلة لحفظ معلوماته، خاصة بعد تزايدها وعجز ذاكرة الانسان عن تذكرها، فالمتعمن في كل المحطات التي مرت عليها التطورات الحاصلة في الكتابة يقوده حتما للبحث عن دوافع نشأة الكتابة في مصر ومراحلها. والبحث في العوامل التي دفعتهم لتعلم مهنة الكتابة ومنه ابراز وظيفة الكاتب التي كانت من أهم الوظائف في المجتمع المصري آنذاك وهو ما سنحاول الاجابة عنه في الجوانب التالية.

أولا : تعريف الكتابة لغويا واصطلاحيا

أ- الكتابة لغة:

الكتابة مصطلح مشتق من الفعل كَتَبَ^١ وَكَتَبَهُ^٢ أَكْتَبَهُ^٣: خط أو رسم أو سطر ، أو إشارات أو علامات أو حروفا تعبر عما في الخاطر من أفكار^٤ والكتابة صفة لمن تكون له صناعة، مثل الصياغة والخياطة والكتبة: اكتبابك كتابا تنسخه^٥.

ب- الكتابة اصطلاحا:

الكتابة: "هي تمثيل للغة المنطوقة عن طريق إشارات خطية"^٦ أو أنها "محاولة للتعبير عن اللغة المنطوقة"^٧ وهي أيضا: نقل فكر الإنسان على وسيط مادي^٨، ويمكن تعريفها أيضا بأنها "الشكل المصور للكلام"^٩.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تحت على العلم بها والتعلم منها: " أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"^{١٠}، وتعد السورة الحاملة لهذه

الآية أول سورة نزلت على الرسول ﷺ مما يوحى بأهمية العلم والتعلم والكتابة والقراءة وما ينتج عنهما من علم ينفع الناس كافة. وقد أقسم الله عز وجل في آية أخرى بالقلم في قوله تعالى " ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ " ^{١١} ولذلك قالوا "القلم أحد اللسانين". وهو الأمر الذي أشار إليه الجاحظ عندما قال: "وقالوا القلم أبقى أثرا، واللسان أكثر هذرا" ^{١٢}، حيث قال اللغويون "اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الحائن مثله للقائم الراهن، والكتاب يقرأ بكل مكان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره" ^{١٣}.

يتبين، مما سبق، أن اللغة المكتوبة ستسود زمانا ومكانا، في حين أن اللغة المنطوقة ستظل محدودة في الزمان والمكان وتتميز بقابليتها للتحويل والتحريف والتشويه عبر الزمان والمكان.

ثانيا: ظهور الكتابة في مصر وتطورها:

اختلفت الآراء في تحديد مكان وتاريخ نشأة الكتابة، فمنهم من يرجع ظهور الكتابة إلى حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م في مصر ^{١٤}، بينما يرجح علماء اللغة القديمة أن ظهور الكتابة يعود إلى عهد واحد في حضارات واد النيل، والرافدين، و وادي السند ^{١٥}.

ويمكن تحديد عوامل الاهتمام بالكتابة بمصر إلى دوافع دينية واقتصادية.

_ الدافع الديني: يتمثل في حاجة الإنسان إلى وسيلة للتعبير عن الآلهة بالصور والرموز حتى يسهل لطبقات الشعب المختلفة التعرف عليها من جهة، وإرضاء الآلهة من جهة أخرى.

_ الدافع الاقتصادي : فتمثل في الحاجة إلى تسجيل الفلاحين لمنتجاتهم الزراعية وتوزيعها وتحديد مقادير المحاصيل المختلفة^{١٦}.

والملاحظ أن عددا من الدراسات المتخصصة تذكر أن الكتابة المصرية بدأت كغيرها من الكتابات القديمة " على شكل رسوم يصحبها بعض الرموز، فإذا أراد الكاتب أن يعبر عن الحزن رسم عينا تدمع"^{١٧}، في حين يذكر باحثون آخرون أن الكتابة ظهرت في مصر القديمة بطريقتين: طريقة تخطيطية لم يقدر لها الانتشار، وأخرى تصويرية تجسدت في التعبير عن الشيء بصورته التقريبية^{١٨}، ودلت النصوص المكتشفة أن المصريين القدماء استخدموا ثلاثة خطوط في كتابة أعمالهم الفكرية على ورق البردي* وغيره من المواد وهي:

أ- الكتابة الهيروغليفية (hieroglyphe):

الهيروغليفية كلمة يونانية مركبة من هير و أي مقدس و غليفو أي خط، ومعناها الخط المقدس^{١٩}، ذلك لأن الخط المصري القديم كان وثيق الصلة بالمعابد والأبنية الدينية^{٢٠} بدأ هذا الخط بإشارات مرسومة تمثل ما في الطبيعة من إنسان وحيوان ونبات، ويعد أقدم أشكال التعبير المصرية، حيث ظل في الاستعمال منذ أقدم أطواره في ٢٩٠٠ ق.م إلى نحو ١٠٠ ق.م، وربما حتى نهاية القرن الثالث للميلاد، وتم نقشه على جدران المعابد واستعمل في تسجيل الشؤون الدينية^{٢١}، ولقد وجدت الحروف الهيروغليفية مكتوبة أفقيا و رأسيا، ومن اليمين إلى اليسار و من اليسار إلى اليمين. وفي حالات نادرة كانت تكتب من أسفل إلى أعلى^{٢٢}.

ب- الكتابة الهيروغليفية (hieratique):

الهيروغليفية كلمة يونانية تعني " الكهنوتي " ، تكتب بالحبر من اليمين إلى اليسار، في سطور إما أفقية أو رأسية، وتبين النصوص التي ترجع إلى مدارس الخط أن الخطاطين كانوا يتعلمون الهيروغليفية قبل الشروع في تعلم الحروف الهيروغليفية^{٢٣}.

و الهيروغليفية هي نوع من الكتابة المختزلة ظهرت في الدولة القديمة واستمرت حتى العصر الروماني^{٢٤} حيث استخدمها الكهنة أساسا لكتاباتهم^{٢٥}، واستعمل الحبر الأسود والأحمر مادة أساسية في نصوصهم المكتوبة على البردي ، كما أن الخط الهيروغليقي تطور تطورا كبيرا عبر القرون حتى اختلف تماما عن أصله، وأقرب نموذج للخط الهيروغليقي يعود إلى القرن الثالث الميلادي عثر عليه مكتوبا على شريحة من قماش لفت حول إحدى الموميات^{٢٦}.

ج- الديموطيقية: (Demotique)

الديموطيقية لفظة مشتقة من الكلمة اليونانية القديمة (demotikos)، التي تعني " الخاص بالشعب "، حيث استخدم هذا الخط في تدوين لغة شديدة الصلة بلغة الحياة اليومية^{٢٧}، وسمي بهذا الاسم لأنه استعمل بصورة واسعة في كافة مجالات الحياة العامة^{٢٨}، وقد ظهر في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، واستمر حتى القرن الخامس الميلادي، و كان استعماله في البداية مقتصرا على الحياة الدنيوية و تدريجيا أصبح يستخدم لتوثيق النصوص الدينية و كتابة نقوشها^{٢٩}.

فقد اقتصر هذا الخط للكتابة "أوراق البردي والأوستراكا

(Ostraka) التي هي كلمة يونانية تعني قطع الفخار المكسور) ، وكان يستخدم أحيانا في النصوص الرسمية على الحجر مثل حجر الرشيد* (La Pierre de Rosette) واللوحات الحجرية الجنائزية البطلمية^{٣٠}.

و صمّم هذا الخط لتيسير الكتابة وجعلها أسهل في الاستخدام اليومي ، واستعمل في الوثائق القانونية والإدارية والتجارية، وفي كتابة المراسلات على نطاق واسع وكذلك في الأعمال الأدبية الشعبية.^{٣١}

د/ وسائل الكتابة:

اعتمد المصريون القدماء على عدد من الوسائط للكتابة مستمدة من البيئة المحيطة بهم من أهمها:

_ ورق البردي نظرا لوفرة نبات البردي في المنطقة، ولسهولة استعماله وطيه وخفة وزنه^{٣٢}.

_ الحجارة المسطحة للمعابد والمقابر وجدران القصور والبيوت.

_ الخشب الذي يغطي بطبقة رقيقة من الجص.

_ مادة الرق، ولكن في حالات خاصة كتدوين وثائق الدولة^{٣٣}.

هذا ناهيك عن لجوئهم للجلود حيث وجدت مجموعة من اللفافات الجلدية كتبت في العهد الفرعوني، وكانوا يكتبون على الجلود بعد دبغها، بالإضافة إلى مادة الفخار اللخاف : وهو عبارة عن قطع من الحجر الجيري الناعم الرقيق،^{٣٤}.

أما الأدوات المستعملة في الكتابة المصرية فهي: أقلام من الغاب يبرى أطرافها برّيا مائلا^{٣٥}، بحيث تسهل عملية الكتابة وتأتي غليظة أو دقيقة تبعا لاختلاف توجيهها.

لكن مع بداية القرن الثالث قبل الميلاد لجأ المصريون إلى استعمال قلمًا مبريا بريًا مدببا يسمى (Calamus) سمح بالحصول على كتابة أكثر دقة^{٣٦} وكان للكاتب عدة أقلام احتياطية يضعها خلف أذنيه^{٣٧}، أو في صندوق أدواته أو في مقلّمته^{٣٨}، كما كانت لديه لوحة بها قدحان صغيران إحداهما للحبر الأسود والأخرى للحبر الأحمر وبقيّة اللوحة فهي عبارة عن صندوق توضع فيه الأقلام، ويضاف إلى ذلك قدح للماء، وكان الكاتب المتدين يصب بعض هذا الماء قربانًا للالهة تحوت* قبل البدء في الكتابة^{٣٩}.

ثالثًا:- الكتبة في مصر :

١_ مفهوم الكاتب لغويا واصطلاحيا:

أ_ التعريف اللغوي :

عرف اللغويون كلمة الكاتب في المعاجم بما يلي:

الكاتب جمعه كُتَّابٌ وكتبة وكتّابون^{٤٠} ورجل كاتب والكتاب وهم الكُتَّابَةُ، وحرّفتهم الكتابة^{٤١}.

ب_ اصطلاحا :

الكاتب: هو كل فرد تزود بقسط وافر من العلوم والمعارف وأوكلت له عدة مسؤوليات كالمراسلات الرسمية والسياسية والقضائية والإدارية والدينية، والفلكية، كما كان الوسيط بين الإنسان والملوك والآلهة وبين الملوك ونظرائهم، وحتى بين المواطنين مع بعضهم البعض^{٤٢}.

٢_ دوافع ظهور مهنة الكاتب:

يمكن حصر العوامل التي حفزت لتعلم الكتابة ومنه الانضمام لفئة الكتبة في مصر لثلاثة دوافع رئيسية:

_ ضمان الالتحاق بالسلطة الحاكمة ذلك أن تولي وظيفة كاتب في الدولة المصرية القديمة يعد مطية أو سلم لتولي مركز في الوزارة^{٤٣}.

_ أغراض دينية

_ تقدير مكانة العلم والرغبة في الاستزادة منه^{٤٤}.

٣_ مكانة الكاتب في المجتمع:

لا يختلف دور الكاتب في مصر عن دوره في بلاد الرافدين حيث كانت له مرتبة رفيعة في مصر القديمة إذ كان يعتبر سيدا مبعلا ومحل احترام وتقدير كل طبقات المجتمع^{٤٥}، فمهنته لا تتطلب جهدا جسديا، كما حظي بامتيازات كثيرة منها ضمانه لمؤونته من بيت الملك^{٤٦}، فهو المسؤول عن فرض الضرائب والمشرف على جمعها، كما تتلمذ الجيوش على يديه، وكان للأمرأء في عصر بناء الأهرام الحق في أن يصنعوا لأنفسهم تماثيل في صورة كتبة^{٤٧}، ذلك لأن الكاتب هو الأمر كما جاء في الكثير من الكتابات^{٤٨}. حيث أن مهنتهم تخول لهم معرفة كل القرارات الحكومية ونظرا للمكانة التي حظوا بها في الادارة أطلق عليهم لقب رئيس الأسرار^{٤٩}.

كما تعد مهنة الكاتب من المهن الأساسية في الدولة و عمادها في بناء وتشكيل الفكر المصري القديم، والحفاظ على تراثهم بمختلف أنواعه ومستوياته خلال ثلاث آلاف عام^{٥٠}.

إلى جانب هذا رفع المصريون القدماء بعض الكتاب وجعلوهم فوق مراتب البشر حتى غدوا من الخالدين، نذكر منهم على سبيل المثال الكاتب "إيمحتب" وزير "زوسر" الذي قدس في العصور المتأخرة كإله للطب.

و قد جاء في إحدى البرديات ما يدل على مدى تقدير المصريين للكاتب

حيث نقرأ " أما الكتبة المتعلمون ، فإن أسماءهم أصبحت خالدة على الرغم من أنهم ذهبوا ، إنهم لم يصنعوا لأنفسهم أهراما من المعدن أو شواهد قبور من الحديد تذكر أسماءهم بل تركوا لهم ورثة في الكتابات و في كتب الحكمة... إن كتب الحكمة هي أهرامهم و العلم ابنهم.. و إذا كانوا قد ذهبوا فإن أسماءهم ما زالت تذكر في كتبهم و سوف تبقى ذكراهم إلى الأبد"^{٥١}.

٤- صفاتهم:

من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الكاتب في مصر لتولي هذه المهنة أن يكون متأدبا محترما للآخرين ، عدم التكبر والغرور ، الرفق واللين ، ففي إحدى البرديات المحفوظة في المتحف البريطاني يوجد هذا النص الذي يبرز بشكل واضح هذه الصفات " أن الشخص ذا المهارة يعرفه الناس ، و يترقى خطوة خطوة بما يتوافق مع شخصيته... احترام الآخرين حتى تكون محترما... حب الرحال حتى يحبونك... لا تتكلم كثيرا ، لا تمشي مختالا عندما يعرف اسمك،...قف مع الآخرين.... لا تكن عصبيا حتى تجد موطئ قدمك فليس هناك من هو مثلك في خبرتك بالكتابة"^{٥٢}.

٥- ملامح الكاتب المصري في الأعمال الفنية:

تصور لنا الأعمال الفنية طريقة جلوس الكتبة ، أثناء قيامهم بالكتابة ، حيث يركعون على القدم اليسرى ، ويستندون على القدم الأخرى بيدهم اليسرى التي تحمل لفافة البردي ، وقد كانوا يجلسون القرفصاء كما يجلس الناس اليوم في الشرق. وحول هذا نجد أشهر تمثال يبرز الكاتب في هذه الوضعية في متحف اللوفر ببباريس^{٥٣}.

كما تبرز بعض الألواح القديمة الكتبة وهم يقومون بعملية الإحصاء

ويحسبون ما دخل للخرينة من ضريبة الدخل، ويستعينون بالمقاييس النيلية التي تسجل ارتفاع ماء النهر لمعرفة ما سيكون عليه موسم الحصاد، ويخصصون لكل مصلحة نصيبها من هذا الإيراد، كما كان عليهم أيضا الإشراف على شؤون الصناعة والتجارة^{٥٥}.

٦_ أنواع الكتب :

ظهر في مصر نوع من الكتب المتخصصةين ، فإلى جانب الكتاب الكهنة كان هناك الكتاب الرسميون الذين يدونون أمور الدولة وحررون سجلاتها، و كان هناك من كتب لعامة للناس .

و هناك من تخصص في تدوين كتاب الموتى و بيعه هذا فضلا عن كتاب الملوك والحكماء و كان هناك قليل من عامة الشعب من يكتب لنفسه و يسجل ما يريد من النصوص الدينية فضلا عن أمور حياتهم الدنيوية^{٥٥}.

و بصفة عامة أدى الكتابة دورا مهما في تدوين تاريخ مصر ، بعد التحاقهم في سن مبكر بـ " منازل الحياة " أو " بيوت التعليم " يتلقون فيها تكوينا شاملا في مختلف العلوم ليتم إدراجهم بعد ذلك في مناصب مختلفة والمتمثلة في الإدارة والجيش والمعابد وغيرها ،ويمكنهم الارتقاء إلى منصب الوزير والكاهن والفرعون وغيرها^{٥٦}.

ومن الممكن أن يصبح كاتباً أدبياً حيث ورد في أحد البرديات قيمة الكتب التي يتركها"،،،، إن من الخير أن يبقى اسم الإنسان على أفواه الناس... فالرجل يموت وتصير جثته جيفة قدرة وذريته كلها تصبح ترابا ولكن الكتب التي يؤلفها تجعله مذكورا في فم من يراها وإن كتابا واحد لأكثر نفعا من بيت مؤسس ومن مقبرة في الغرب واجمل منظرا من قصر منيف ،ومن نصب

تذكاري اقيم لصاحبه فهل هناك مثل حردادف أو أمحتب... وهل هناك من يماثل
بتاح حتب أو كارس... لقد ذهبوا ولكن الكتب التي تركوها جعلت المرء
يذكرهم^{٥٧}.

مثلما نجده في بلاد الرافدين حيث أظهرت الدراسات أن الكتبة في بلاد الرافدين
تولوا مناصب مهمة في القصور الملكية، وفي المعابد، وفي الشؤون الإدارية
أو اشتغلوا كموظفين كبار في الدولة^{٥٨}، والبعض منهم توجه نحو مهنة
التعليم، كما توجهت فئة أخرى نحو الكتابة والتأليف والإبداع^{٥٩}.

ولم تكن مهنة الكاتب في مصر مقتصرة على الرجال فقط فهناك أمثلة
عديدة تدل على أن بعض النساء كن كاتبات، و لهن ألقاب لكن عددهن قليل
مقارنة بالكتبة الذكور^{٦٠}.. مثلما هو الشأن في بلاد الرافدين. حيث أوردت
النصوص أن المرأة أخذت مكانا لها ولو بنسبة محدودة في التعلم وانحصرت
دائرة المتعلمات في الكاهنات من فئة الناديتو وبنات الأمراء
والملوك^{٦١}، فمقابل ١٥٠٠ كاتب هناك كاتبتان فقط^{٦٢}.

إذ تؤكد بعض النصوص المسمارية أنه كان يسمح للمرأة بمواصلة
تعليمها وكان بإمكان بعضهن التعلم ليصبحن كاتبات ممرضات، تؤكد ذلك
الوثائق التي عثر عليها في ماري وسيبار. وهي وثائق تثبت أن النساء في عهد
حمورابي امتحن هذه المهنة^{٦٣}.

ونخلص من كل هذا أنه بفضل هؤلاء الكتاب والكاتبات الذين تبوؤوا
مكانة رفيعة ومتميزة في المجتمع المصري القديم ، تمكنا من معرفة التراث
الفكري الذي خلفته الحضارة المصرية، حيث كان لهم دور فعال في المحافظة
على التراث الإنساني في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والدينية

والثقافية.

الهوامش:

- ١ -يقال: كتب الشيء يكتبه، كتبًا، وكتابًا، وكتابةً، الكتاب صور فيه اللفظ بحروف الهجاء، المنجد في اللغة والأعلام، ط٣١، دار المشرق بيروت، لبنان ١٩٩١، ص: ٦٧١ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج. 5، دار الجيل بيروت ١٩٨٨ ص ٢١٦؛ جماعة من كبار اللغويين العرب، المعجم العربي الأساسي ،،المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، ١٩٨٩، ص ١٠٢٧؛ فؤاد افرام البستاني: منجد الطلاب، ط.٢٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٥٦، ص ٦٣٠ ومعناها نَسَخَ: أي كتب المخطوط، أَلَفَ ،يكتب مقالا أسبوعيا(جماعة من كبار اللغويين العرب، المعجم العربي الأساسي، المرجع السابق، ص ١٠٢٧
- ٢- ابن منظور ، لسان العرب، مج، ٥ ، المرجع السابق ، ص ٢١٦؛ المنجد في اللغة والأعلام، ط٣١، دار المشرق بيروت، لبنان ١٩٩١، ص. ٦٧١.
- ٣ -عَلَّمَهُ الكتابة، المرجع نفسه.
- ٤ - أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، لبنان بيروت، ط ١، ٢٠٠٠.، ص ١٢١٣.
- ٥- ابن منظور، المرجع السابق، ص ٢١٦.
- ٦ _ Dubois jean , **Dictionnaire de linguistics**, Larousse ,paris 1973 ,p. 175
- ٧ _محمود فهمي حجازي، مدخل الى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص٢٩.
- ٨ _ قحطان بيرقدار، تطور الكتابة في الشرق القديم ، الموقع الالكتروني: رابط الموضوع:

http://www.alukah.net/literature_language/0/4438/#ixzz4lQ

6Dywj

٩_ م.م عبد الله علي محمد التميم، "أثر الكتابة المسمارية وفك رموزها على

اسلوب نطق اللغتين السومرية والاكادية"، مجلة جامعة تكريت

للعلوم، المجلد ١٨، العدد ٤، العراق، ٢٠١١، ص ٣١٦.

١٠_ سورة العلق، الآيات ١_٥

١١_ سورة القلم ٦٨، الآية ١

١٢_ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج. ١، تحقيق و

شرح عبد السلام محمد هارون، د ت ، ص ٧٩

١٣_ المرجع نفسه، ص ٨٠.

١٤- سمير أديب ، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط ١ ، العربي

للنشر و التوزيع، القاهرة : ٢٠٠٠ ، ص ص: ٦٨٠-٦٨١

١٥- السيد السيد النشار، تاريخ الكتب والمكتبات في مصر القديمة ، دار

الثقافة العلمية ، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٥

١٦- رشيد الناصوري، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة

الشرق الأدنى القديم وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري

والهضبة الإيرانية ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة

البابلية الكلدانية، المكتب المصري الحديث، مصر ، ١٩٥٨ ص ٤٤ ؛ السيد

السيد النشار، المرجع السابق ص ١٦

١٧- فرانسيس روجرز، قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى

الصفحة المطبوعة، ترجمة ، احمد حسين الصاوي ، مكتبة الانجلو المصرية

، القاهرة، ١٩٦٩ ص ٤٣

- ١٨- اسماعيل سراج الدين، تاريخ الكتابة من التعبير التصويري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة، تقديم اسماعيل سراج الدين ، مكتبة الاسكندرية، مصر ، ٢٠٠٥ ص ٠٢ .
- * - البردي: هو نبات مائي ، استعمله المصريون القدماء في بناء بيوتهم وسفنهم، كما صنعوا منه ورقا للكتابة عليه، أنظر: (جماعة من كبار اللغويين العرب ، المعجم العربي الأساسي: المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، ١٩٨٩، ص ١٤٥ .
- ١٩ أنطوان زكري، مفتاح اللغة المصرية القديمة، ط. ١ ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣ ، ص ٣٢
- ٢٠ دوجلاس بريور؛ ايملي تيتز، مصر والمصريون، ط ١ ، تر. عاطف معتمد، محمد رزق، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٩ ص ١٩٨
- ٢١- خيال محمد، مهدي الجواهري، من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، دمشق، ١٩٩٢، ص ٢٣
- ٢٢- دوجلاس بريور؛ ايملي تيتز، المرجع السابق، ص ١٩٨
- ٢٣- المرجع نفسه، ص ١٩٩
- ٢٤ - اسماعيل سراج الدين، تاريخ الكتابة ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .
- ٢٥- شعبان عبد العزيز خليفة، المطارحات في تاريخ الكتب والمكتبات القديمة ، دار الثقافة العلمية ، الاسكندرية، ٢٠٠٦ ص ٢١
- ٢٦- نفسه، ص ٢١-٢٢
- ٢٧- إسماعيل سراج الدين، وعاء المعرفة من الحجر إلى النشر الفوري، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، ٢٠٠٧ ، ص ٢٤ .
- ٢٨- خيال محمد، مهدي الجواهري ، المرجع السابق، ص ٢٤

- ٢٩- اسماعيل سراج الدين ، المرجع السابق، ص ٤٨ .
- * - **حجر الرشيد**: هو حجر من البازلت الأسود ، أصدره الكهنة تمجيدا لبطيْموس الخامس في ١٩٦ ق.م ،كتب عليه نص بثلاث لغات هي الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، طوله متر واحد ونصف ، كان مفتاح حل لغز الكتابة الهيروغليفية ، اكتشف من طرف ضابط فرنسي سنة ١٧٩٩ أثناء قيامه بأعمال هندسية في منطقة رشيد (Rosette) بغرب وادي النيل ، وتمكن توماس يانج ١٨١٤ ثم العالم الفرنسي (Champollion) شامبليون من فك رموز الهيروغليفية عام ١٨٢١-١٨٢٢ والبالغ عددها ٧٠٠ ، و مسلة رشيد موجودة في المتحف البريطاني. Le Petit Robert2 :Dictionnaire Universel des noms propres , 1990,Paris,p.1556 ، شارن شافية، حضارة مصر الفرعونية، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ٢٠٠٩ ، ص ١١٠ .
- ٣٠- دوجلاس بريور؛ ايملي تيتز، المرجع السابق ، ص ١٩٩
- ٣١ - شعبان عبد العزيز خليفة،المطارحات،المرجع السابق، ص٢٣
- ٣٢- فرانسيس روجرز، المرجع السابق، ص ٤٦
- ٣٣- السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص٢١.
- ٣٤- أبو الفتوح حامد عودة، المدخل إلى علوم المكتبات، الإسكندرية،دار الثقافة العلمية، ٢٠٠١ ،ص ١٩
- ٣٥ _ المرجع نفسه ،ص ١٩
- ٣٦ _ سفندال،تاريخ الكتاب منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، تر.محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة،المؤسسة القومية للنشر والتوزيع، ١٩٥٨م، ص ٥ .
- ٣٧- اسماعيل حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته- بلاد ما بين

- النهرين والشام والجزيرة العربية، المرجع السابق، ص ١٢٥.
- ٣٨ - شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور القديمة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٣
- * تحوت : إله الحكمة، والمعرفة، والفلك والطب والحساب، ومعلم البشرية الكتابة واللغة والصيد والزراعة، أنظر
- ، فيصل عبد الله، عيد مرعي، المدخل إلى تاريخ الحضارة، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص ٢٩٤
- ٣٩ - اسماعيل حلمي محروس، المرجع السابق، ص ١٢٥.
- ٤٠ _ ابن منظور، المرجع السابق، ص ٢١٦؛ فؤاد افرام البستاني، منجد الطلاب، ط. ٢٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٥٦، ص ٦٣٠.
- ٤١ _ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العليم الطحاوي، ط. ٢. ، ج. ٤، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٨م، ص ١٠٣.
- ٤٢ - مارغريت روثن، علوم البابليين، تر، يوسف حبي، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٣؛ وليد الجادر، عبد الإله فاضل، المرجع السابق، ص. ٩٠.
- ٤٣ سليم حسن، الكاتب المصري، نشأته ومكانته في المجتمع، مجلة الكاتب المصري، العدد ١٩٤٦، ٥، مصر، ص ٨٩؛ سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، ج. ٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢، ص ٣٠٨.
- ٤٤ - محمد بيوني مهران، الحضارة المصرية القديمة، ج ١ الآداب والعلوم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٩، ص ٣٣٧
- ٤٥ - سمير أديب، المرجع السابق ، ص ٦٦٦-٦٦٧
- ٤٦ - اندريه ايمار ؛ جانينه ابويه، موسوعة تاريخ الحضارات العام ، الشرق

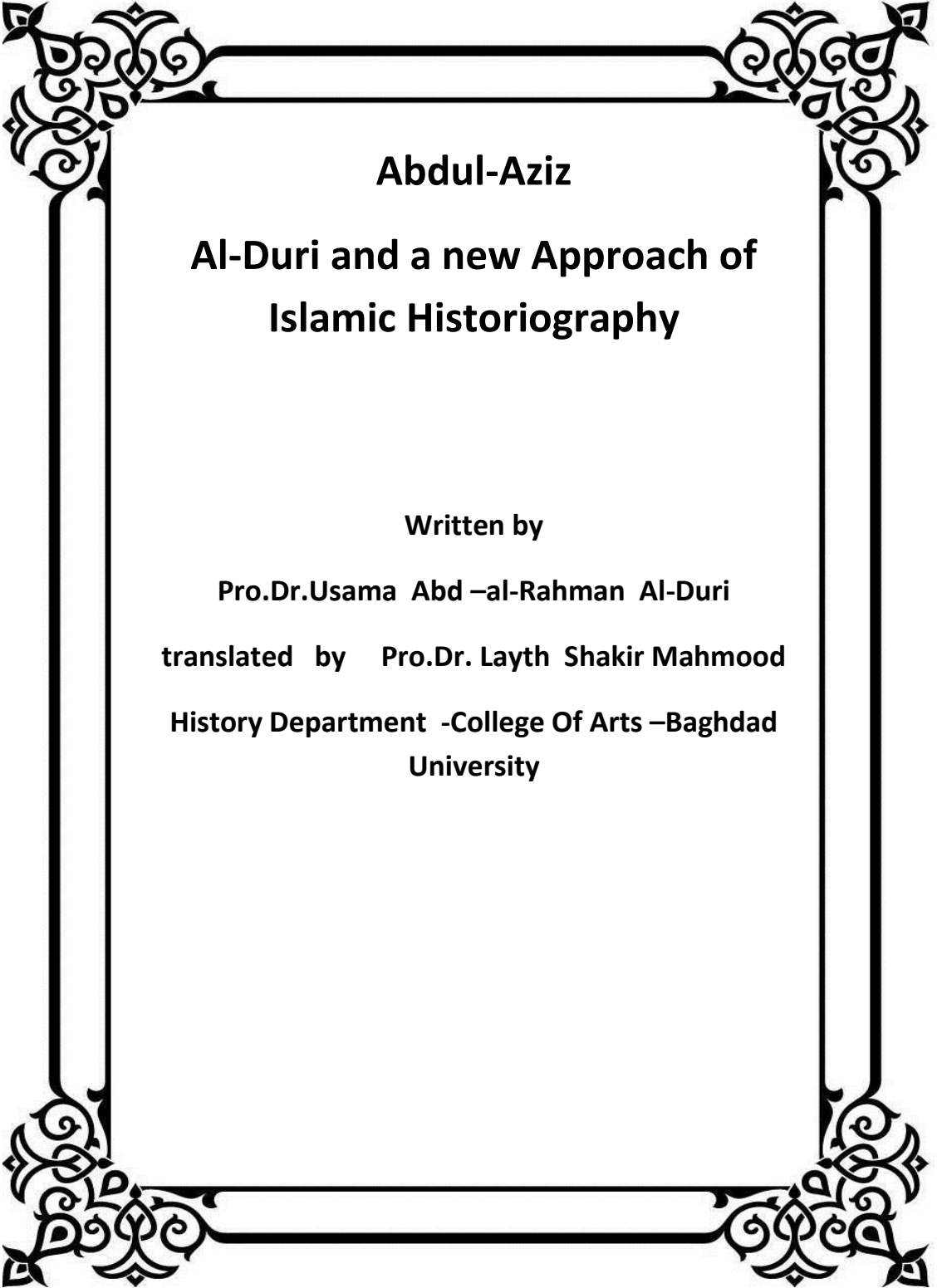
- واليونان القديمة، ط. ٢، ت، ر. فريد م. داغر؛ فؤاد. ج أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت ١٩٨٦، ص ٨٣
- ٤٧- سمير أديب، المرجع السابق، ص ص ٦٦٦-٦٦٧
- ٤٨- اندريه ايمار ؛ جانينه ابويه، المرجع السابق، ص ٨٣ .
- ٤٩ _ سليم حسن، المرجع السابق، ص ٢١
- ٥٠ - سمير أديب، المرجع سابق ، ص ص ٦٦٦-٦٦٧
- ٥١ - المرجع نفسه، ص ٦٧٢.
- ٥٢- شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب و المكتبات القديمة ، المرجع السابق، ص ١٠٢.
- ٥٣- الكسندر ستيبتشفيتش، المرجع السابق ، ص ٣٦
- ٥٤ -ول وايريل ديورانت، نشأة الحضارة ، ترجمة محمد علام لخضر، الجزء الأول من المجلد الأول، دار الجيل ،بيروت لبنان ١٩٧١، ص ٩١
- ٥٥- شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب و المكتبات القديمة ، المرجع السابق، ص ١٠٢.
- ٥٦ - شارن شافية، المرجع السابق ، ص ص ٥٣-٥٤
- ٥٧- سليم حسن ،الكاتب،،،، المرجع السابق، ص ٩٤
- ٥٨ _ Samuel noah kramer, The Sumerians, The Sumerians ,Their History ,culture, and character, The university of chicago, press, London, 1963. p230 صمويل كريم، من ألواح سومر، تر. طه باقر، مراجعة: أحمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.، ص ٤٤
- ٥٩ _ المرجع نفسه، ص ٤٦

٦٠ - شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب و المكتبات القديمة ، المرجع السابق، ص ١٠٢.

٦١ _ بهيجة خليل اسماعيل، الكتابة، ضمن كتاب حضارة العراق، ج١-دار الحرية،بغداد ١٩٨٥،،،ص٢٦٥

٦٢ -وليد الجادر ،عبد الإله فاضل دور العلم والمعرفة في العراق القديم"، مجلة المورد، مج ١٦ ،العدد الثالث ، دار الشؤون الثقافية، العراق، ١٩٨٧. ، ص ٩١

٦٣ _J.Claude Margueren,Mésopotamiens, T.2 ,ed,Armand-colin,Paris ,1991 p.179



Abdul-Aziz

**Al-Duri and a new Approach of
Islamic Historiography**

Written by

Pro.Dr.Usama Abd –al-Rahman Al-Duri

translated by Pro.Dr. Layth Shakir Mahmood

**History Department -College Of Arts –Baghdad
University**

Abdul-Aziz Abdul Karim Taha al-Hamed Al-Duri was born in 1917 in the village of AL-Dor , a subsidiary administratively to spend the Samarra which followed to Baghdad. And raised in a decent side and dear family and even feared. He joined to the al-Katateb (a place taught the Koran), and then join to the primary school in Baghdad, completed his elementary school and then joined the Central secondary school for boys and finished his studies in the academic year 1935-1936, scoring the first place on the literary branch.

That is why his qualified as superior to his colloquies that the choice of a scholarship student to UK to complete his higher studies.

So that he traveled to London to complete his studies at the University of London, in spit of the Second World War broke out , he insisted to achieve his studies, got a Bachelor's degree and Doctorate at the perfect time BY the supervision of his Supervisor Vladimir V. Minorsky who known a professional professor observing and checking and open minded , after that he the studied well so that . achievement, His dissertation was "Iraq's economic history in the fourth century AH" get a doctorate in 1942 and noted that he studied at the hands of senior professors of history in his time like Meanorski, Russian orientalist origin,

.Bernard Lewis and.Sir. Hamilton Gibb..

After he had finished his dissertation returned to Iraq and appointed a lecturer at the high teachers for the period between 1942-1948, and he was at the time the only center in Iraq to study the number of branches of the humanities and pure sciences , and mission preparation of teachers at the secondary level, and he begun teaching the Islamic history, in 1943 in the , and he had given research and scientific activities, so that he quickly get the professorship in a short time..

He was convinced that the practical solution optimized for the development of his achievements in the level of employment and the direction and management is to establish a University, as the first step the Faculty of Arts and Sciences, and a closer link trends universities, including the Arab Bank, and prior to his appointment as Dean of the College of Arts, worked as general manager for the translation and publication of the Ministry of Al-Marief.(Education).

And so on the Faculty of Arts and scientific quited his attributes and talents and take out his the academic ideas into action, notably to encourage him to study and research and the provision of freedom of speech and

action.

It seems that the revolution of the 14 July 1958 formed the specific point as turn of the quality of his life .So that he had suffered greatly from pushing the university policy and changed his circumstances between 1958 to 1968 and he arrested and isolation by the political authorities , In spite of that again appointed as President of the University and provides outstanding service in the development of the University of Baghdad and deepening scientific tracks between 1963-1968.

Thus, said Dr. Abdul Aziz said he respected the views and ideas of the younger generation, it is also a believer not to allow politics to enter into the corridors of institutions.

It must be pointed out that his period as President of the University of Baghdad, 1963-1968 tried to prevent partisan and political influences on the academic traditions at the university, in order to ensure the neutrality and independence. This indicates once again the administrative and scientific potential and his determination to build a scientific and academic in Iraq .In addition that his scientific efforts and doctoral theses and graduated on his hands so many professors, that reflects in his lecturers sources and laze student severely irritating him.

His scientific greatness moved a great time, but formulates the idea of enlightened national project through his work and his commitment to contribute actively to building scientific edifice has sought to establish a national center to save a completed hard to establish the Universities of Mosul and Basra,.And he had a role in the appointment of ministers technocrats in the period assuming the presidency of Baghdad University‘

Indeed, the choices sound minister-professors of those have contributed in building the edifices in the fields of agriculture, industry, economy and other ministries, and that he expressed that the distinguish two things essential academic spirit mixed with patriotism and love for Iraq and hope to build a prosperous nation at

After the 1968 coup he left Iraq "retains his identity and his views and freedom" and left for Beirut and became a visiting professor at the American University of Beirut for the academic year 1968-1969, and since 1969 remained a professor of Islamic history at the University of Jordan and He refused a deal that Harvard University to work , as entrusted him Educational, Scientific and Cultural Organization the task of supervising the editing history of the Arab nation, in several volumes, but left to work out after a while..

It must be noted that he remained to defend the Arab identity of the Arab nation and the principles of the Islamic religion, he was responding to the views of Orientalists in conferences and seminars that are attended in Europe.

He notes that despite the widespread enable English and perfected them, but he was not mixing his usual verbally with English language, that he suffered from wounding the Arab nation from the disasters and Iraq, he always says "Iraq passed through difficult in the history and fabric of different multi circumstances reason passed those of acute crises and out from his ordeal "it was a signatory to a message of solidarity with Iraq and Palestine in 2004 to meet the foreign in Iraq's internal affairs powers interventions. Calls remained the same time, the importance of reform and dissemination of the principles of justice in the Arab country.

Before I finish this aspect of his career has to be noted that he stuck to his Iraqi identity and his love for Iraq and a believer that Iraq has great prestige and leading role, and that all conditions as an emergency and my time remained sticking Iraqi nationality.

He took over the chairmanship of the history of the Levant until 2001, a member of the Board of Trustees of Al al-Bayt University since 1993, and has had a prominent role

at the Center for Arab Unity Studies in Beirut activities. And he won a lot of awards, including the King Faisal International Islamic Studies Prize for the year 1986, and the award Iraqi Academy of Sciences, the Premier and the Order of Education of the first class, a Medal of King Hussein Bin Talal, and the granting of discretionary award of the Research Center for Islamic History and Arts in Istanbul in 1988, and the award of the Arab Organization for Education Science and culture of Arab culture in 2000, Martin Luther University and the German city of Halle awarded him the honorary doctorate degree. And the title of Sheikh Arab historians, and it's leading historical studies and one of the leading heads of the Arab Thought.

In the last two years of his life he started to show signs of fatigue and health virtue of aging factors but something to note he had been carrying a memory and mind fresh, to the day of his death on 11.19.2010, at the age of ninety-three years old, and was buried in the Jordanian capital. (Usama Abdulrahman Al Noman Al-Duri e , biography and scientific process of professor Dr Abdulaziz Al-Duri ., search within a book to be published in the State of Qatar, Dr Abdulaziz Al-Duri

The methodology in the writing of history Known league history that the course of life, "stand in the scope of his

career, yearn party to the past and look through it to the future that we want, when our own will ..." (Abdulaziz Al-Duri ., papers in history and civilization, the first part, papers in the science of history, Dar Muslim West Beirut, 2007, p. 100).

Al-Duri realized that " the history is not his precise controls should be known and not an account only for the stories, or a form of fiction that not be considered to be a waste of time, but its controls and methodology must be taken out, if not taken out to not be the writing historical writing objective minutes (for more details see Adnan Abdul Karim Khalil Ibrahim al-Douri, Abdulaziz Al-Duri and a new methodology in the writing of the Arab-Muslim history, master Thesis unpublished discussed in the Department of History / Faculty of Education / University of Tikrit 0.2012, S114-120.

After the 1968 coup to he left Iraq ., and "retained his identity and his views and freedom" and visited to Beirut and became a visiting professor at the American University of Beirut for the academic year 1968-1969, and since 1969 remained a professor of Islamic history at the University of Jordan till his death. And he refused a deal by Harvard University to work there . The Arabian Educational, Scientific and Cultural Organization (Aliescu) entrusted him

to overseeing the editing history of the Arab nation, in several volumes, but left to work out after a while. In spite of his old age , he stayed at the university that this place regarded a comfort bal place for him, therefore he said that "If I did not go to university I did not find comfort".

It must be noted that he remained to defend the Arab identity of the Arab nation and the principles of the Islamic religion, he was responding to the Orientalist's views of in conferences and seminars that are attended in Europe.

He notes that despite his ability in English and perfected them, but he was not mixing his usual verbally or his opinions therefore he suffered about the general political problems and disasters. And he expressed about his opinions against the political situation in Iraq , so that he says that :-"Iraq passed through difficult in the history and in spite of the different multi races and passed those of acute crises and out of the ordeal". He was a godfather and sight A message of solidarity with Iraq and Palestine in 2004 to meet the foreign powers meddling in Iraq's internal affairs, Calls remained the same time, the importance of the reform and the dissemination of the principles of justice in the Arab country".

Before we end this aspect of his career has to be noted that he stuck to his Iraqi identity and his love for Iraq and a

believer that Iraq has great prestige and leading role, and that all bad circumstances will finish by the time and still insisting sticking Iraqi nationality.

He pointed as the chairmanship of the history of the Levant until 2001, a member of the Board of Trustees of Al al-Bayt University since 1993, and has had a prominent role at the Center for Arab Unity Studies in Beirut activities. In addition that he won a lot of awards, including the King Faisal International Islamic Studies Prize for the year 1986, and the award Iraqi Academy of Sciences, the Premier and the Order of Education of the first class, a Medal of King Hussein Bin Talal, and the granting of discretionary award of the Research Center for Islamic History and Arts in Istanbul in 1988, and the award of the Arab Organization for Education Science and culture of Arab culture in 2000, Martin Luther University and the German city of Halle awarded him the honorary doctorate degree. And the title of Sheikh Arab historians, and it's leading historical studies and one of the leading heads of the Arab .

He got a title the chief of Arab historians, and a pioner of modern historical studies.

In the last two years of his life he started to show signs of aging factors but something to note he had been carrying a memory and mind fresh, to the day of his death on

11.19.2010, at the age of ninety-three years old, and was buried in Amman . (Osama Abdulrahman Al Noman Al-Duri , biography and scientific process of professor Dr Abdulaziz . Al-Duri, research within a book to be published in the State of Qatar.

Duri"s Methodology in the writing of historical researches

Al-Duri define the history as the course of life, "we stand in the scope of his career, yearn party to the past and look through it to the future that we want, when we owned the will ..." (Abdulaziz al-Duri ., papers in history and civilization, the first part, papers in the science of history, Dar West Islamic, Beirut, 2007, p. 100).

He realized that the history as a science has a precise controls should be known and not an account only for the stories, or a form of fiction that not be considered to be a waste of time But it has controls and methodology must be taken out, if not taken out to not be the writing historical writing objective minutes (for more details see: Adnan Abdul Karim Khalil Ibrahim al-Douri, Abdulaziz Alldora.Vison and a new methodology in the writing of the Arab-Muslim history, Master Thesis unpublished discussed in Department of History / Faculty of Education / University of Tikrit 0.2012, S114-120.

He warned that the writing of history the wrong way especially if the historians uses the events selectively (Adnan league, op. Cit., P. 121). For this, the he confirmed that the study of history is mainly based on geography, religion and language understanding and the people (ibid., P. 123. 128).

He believes that we live today the events as the result of developments begun in the past and continued until now and will continue in the future, and that the revolutions of civilization, in his opinion, may be prior periods and its effects eloquent contemporary developments, hence can understand his refusal to fragmentation of the date on the basis of political and social and economic (the same source, p. 128-130).

_He limits the difficulties and dilemmas that face of the present era, it is in order to reach the historical truth must follow the methodology of analysis and reasoning and conclusion in the study of Islamic history, and the important things that called for researchers in the field of Islamic history, the importance of using Islamic history sources, all of which address the event, both whether public or local history books as well as books and classes and translations Al-ansab. In this approach he followed a special approach away in a number of aspects of the

methodology of historians of the western and eastern history.

He stressed the importance of history as a subject vital to the same, and has a specific gravity between fields of knowledge (Mohammed Jassim al-Mashhadani, . al-Duri 's philosophy and methodology in the writing of the Arab-Muslim history resources, "Arab historian," the magazine quarterly historical court dealing with the affairs of Arab heritage and global history, No. 69, Baghdad 2015, pp. 13-15).

He understood that the history is influenced by many factors, including social and intellectual (al-Mashhadani, economic factors, op. Cit., P. 15)

He concluded that an important point in the writing of the history of which is to understand the present is only achieved an understanding of the period that preceded only directly, but may be due to events in previous periods was having an impact eloquent in a civilized and human developments in other words, it may be the historical configurable overall significant impact on these developments (al-Mashhadani, op.cit , p. 16)

He alerted the another very important issue, which is that if the historian wanted that examines the historical

sources and criticism of her novels and distinguish between the strong and the weak must be a critical study for historians and for the development of knowledge of the history of the Arabs, and stressed the need to study the reason for the emergence of the historical study of the Arabs to see the motives of the writing of history and trends of historians and historical views as well as their view of the importance of history and its role in the cultural and public life and then can realize the value of historical material available (al-Mashhadani, Ibid, p. 17).

In the same context he criticizes the modern researchers that they accept what they read the books "without scrutiny and research and thus immobilized past confusion, and have shown contradictory appearance is certain situation insult to injury," and he accentuated on three fields should pay attention to it, a literature, the Hadith and history.

In the same context ,he criticizes modern researchers that they accept what they read the books "without checking and searching therefore they confirmed the confusion of priors or classic writers . And they have shown contradictory appearance is certain situation so that they increasing bad circumstances by insulting and injuring so that he focuses on three fields should pay

attention to it, a literature, the Hadith and history

That is why it is no wonder if Al-Duri unbelief's the writings of some historians for various reasons, he criticized the distortions scribes and , here he fuscous upon the importance of the text accuracy is understood the facts, and thus, any distortion is located by the copyist little impact on the real meaning , He not only did the former critic but he went to the criticism of former historians in that they wrote the date on the basis of the ruling families and scarcely referring to " nation " or ruling peoples (Abdulaziz AL-Duri introduction to the history of early Islam, 3rd Floor, Beirut, 2007, pp. 26-28).

He Just as interested to critic the sources to know the origins and tendencies of their authors, and he occluded to the what Decartes concluded at the start of the work of any researcher with suspicious until it reaches the certainty, And he invested that methodology, saying "we must not abide when searching the opinion or conclusion, but we recognize if we can test the validity of our sources, so that the suspicious is very important step In each story as the need for the right to start." (Abdulaziz . al-Duri , Introduction, pp. 31-33).

Finally, in the beginning of his second letter which entitled "a comprehensive view at the early Islam", he

accentuated that the important point which is that "the history of a nation can not be understood without understanding the natural environment, that this environment of the important bases in the evolution of that history " (Abdulaziz al-Duri introduction, p. 37)

3- Al-Duri "s vison toward the Islamic Arabic history

He discovered for a big problem in the writing of the Arab-Muslim history , It is the specialization which has been written in it, which is that the first historical writings did not reach full but excerpts scattered in the following historical books.‘

And this means that those quotations are classified in order to reach the approximate structure of the first books in particular with regard to the three Hijra centuries and the first of this work is hard and dangerous at the same time, there is also another problem linked to the first is that you may find the author's name, but did not know the title of the book and this makes the historians in assumption circle, and guessing figure out the source address (al-Mashhadani, Ibid, p. 19).

He realized an extremely important point about the writing of the history of early Islam methodology by saying "that the writer, whatever it is, depends on the

circumstances of its creation and its environment, culture and intellectual maturity and the time and place, is affected by a poet or not a poet, but the scientific historical research requires complete impartiality" (Abdulaziz. al-Duri , Introduction, p. 11)

In contrast to the impressions of some historians, he is regarded the history, "neighborhood theme is eloquent role in the culture, and social and moral configuration ...", but this was history, "the scene of a lot of passion and a bit of careful research," On the other hand, he accentuated that "the history field is very expanded , needs to look far and to patiently, "that's history department to facilitate his research to the political, cultural, social, religious and economic history (Abdulaziz . al-Duri , Introduction, p. 15).

According of those visions , one of the researchers regarded , Dr. Abdulaziz Al-Duri in the f creative thinkers ranks and not just a historian, because, according to his convictions, not captured by this present moment so that he did it just like a poet or political man , but he studied Islamic Arab history as a researcher on the formation of the nation , by searching all consciousness, and the formation of identity

In addition that as a man was a wake to the danger of taking the theory of Western theories of history and apply

them to the history of early Islam, and believes that the correct approach "to look at the history an open mind, and try his vision to reach results." ("Abdulaziz Al-Duri A Human : . Man and a historian and thinker", edited by Dr. Abu Zaid al-Haj, Amman-Jordan 0.2000, p. 61-68).

So that Al-Duri founded the term "nation" in early Islam the "Arab nation," described the wars of apostasy, "as the unification of the Arab Movement", named conquests, "the wave of Arab expansion", and so was considered the Arab nation . .

As he saw no contradiction between the Arab and Islamic , And he adopted the structural philosophy, that the crush between the two currents of tribal and Muslim as the motive of evolution in the Arab-Muslim history and to the victory of the Islamic movement at the days of Abbasids. (Abdulaziz Al-Duri . Man and a historian and thinker, op. Cit., P. 69-72).

4-The analytical methodology of his book entitled " The introduction of early Islam"

" It is true that the book "Introduction to the history of early Islam " is not exceed percent pages of a medium size , But it is a deep and new to put forward, it has not been studied historical events depending on the inclination

and fancy, but went in the ways of the multiple points of view, he is not depended on a text only, but uses the geography and the economy at the time of study and research, and for this he was able to motivate the researchers and their convictions capabilities ,

I dont exaggerate if I refer that the man was not only give full solutions and visions of the full events of early Islam, but he was giving the views for the most part.

The research rely on the third and final edition which printed in Beirut in 2007 it was adopted, the first edition was published in 1949 in Baghdad, followed by editions in 1960, and again in Beirut in 2005, he writer added new ideas to the final edition of this book a as it points out in his introduction.

It is noticeable that in his methodology of sequences the events of the Islamic history, I found him continues to frame the early f Islam to the end of the first Abbasid era...

.And when I met with him in summer 2002 at Amman he presented a question Is it permissible the sequences the events Islamic history to the early Islam, And so on.the existence and remaining of Islam are not only main themes , but also it is wrong to presents these terms as,

in order to simplify the work of the researchers he abounds the events which are related with historical events and with previous and what will be doing later on .(Interview with Al-duri : summer , 2002, Amman, Jordan; Adnan Abdul Karim Khalil Ibrahim al-Douri , a former source, S126-134).

In any case, Al-Duri divided his book into three chapters which called " letters " the first letter deals with the critic study of the historians who have written the early history of Islam, which is important for any historian to exceed this situations in the historical research, and the second letter is called a comprehensive view at the early Islam, And he devoted the third letter, and it seems that he added by in later editions, the evolution of Arab society in early Islam

, “ And he devoted the third letter, on the development of the Arab community in early Islam, that he believe that the impact of Islam was influenced of the Arabs and the new economic developments such as agriculture and trade in addition to social developments and particularly civic life and public appearance, and seems to be added by the later editions (Abdulaziz I-al-Duri , introduction, pp. 13-14).

He look to Islam, not only by faith point of view , but he also accentuated that the advent of Islam in Mecca

urban environment, and the instructions and teachings were urban in the foundations, that means that Islam stood against anomalism and trends in many of the main themes, Indeed Islam fought tribal trends and disband the Association of belief and faith and replaced invasion jihad in order to of religion and principle and thus by pass the tribal borders to formation of the nation.

This is not, but also enter the prophet through religion idea of the state and the law to Arab in contrast to the idea of tribal custom. In the social aspect emphasized equality between Muslims and in economic terms tended to ease the physical misery, contrast To limit the exploitation forbidding usury and imposition of zakat for the benefit of the poor and he accentuated the spending and charity, he denied hoarding gold and silver (Abdulaziz al-Duri, Introduction, pp. 37-46)

He did not leave the issue of regulating social life which brought by Islam, where accentuated the improving of manners, both loyalty and honesty and maintaining the Covenant and the Promotion of Virtue and Prevention of Vice and the fight against injustice and took care of strengthen the spirit of community, such as motivation of the congregational prayer.

On the political side to pull the rug from under the feet

of the tribal leaders when guided by Muhammad's followers who they did not recognize the other on, In the city(Yathrib), the foundations of the system of the brotherhood , then, "the book" is the first comprehensive Constitution that regulates the nation's affairs. (Abdulaziz Al-Duri , Introduction, pp. 47-52).

On the economic factor, . he said that the impact on the rushing of Arabs to the Levant, Egypt and Persia in addition to the motives of the jihadist to spread the doctrine of Islam, he said, that " , "We are preparing Islamic instructing organization, as a Base for Arabic expansion" and added: "Islam unified the Arabs, and gave them a universal message and threw them to the neighboring crescent Fertile country alone "(AbdulazizAl-Duri , Introduction, pp. 53-55).

In his treaties to the problem of succession of caliphate that followed the death of the Prophet Muhammad, he pointed out that Islam emphasized on the order of the consultation, but he did not put the structure of a political system of the Arabs, so it was natural that the early Muslims traditions of Arab political uses, by regarding into the Islamic principles point of view.

On the reasons for the civil glamour that followed the third orthodox Caliph Uthman bin Afan . al-ADuri said

the struggle between the Islamic doctrine and tribal tendencies'. so as that he indicates that the election of Ali after the killing of Osman represents the Islamic movement in the trends and tendencies, and received the support of the Ansar and the Hashemite and the tribes , the therefore tribes that used to see the Caliph of Quraish was not in the Quraish tribe such influence on the social and stature of its predecessor and his knowledge and virtues.

The foregoing explains the nature of the clash between Ali and Muawiyah as a clash between the representatives of two trends, the Islamic movement and current tribal, And the Umayyad actually came on this principle and the supporters triumphed upon this trend was not only satisfied with that, but also accentuated the victory of the Umayyad as an evidence of "tribalism power in the state" (Abdulaziz Al-Duri , Introduction, pp. 56-72).

It has to connect with this matter ,He indicates that the Arabs before Islam they were a nomadic and urban , they lived of the two groups, but the basis of a social organization, which the tribe its connectors

and has known tribe when Islam came represented the new trends and the latest intellectual religious revolution accompanied developments have led to a revolution in the economic life of the Arabs in their standard of living has

exceeded Islam tribal borders to a new high when he called for the idea of the nation and united the Arabs after the wars of apostasy within the scope of a single nation, and direct them to jihad so that they went out from their homes to new geographical horizons and accompanied the organization is investigating the idea of jihad and expansion, and organizes the Arabs into a military nation, and they went away from agriculture and professions, any left to others (Abdulaziz -Duri, Introduction, p. 87).

And actually the Arabs spread because of the conquests and they expanded in the land and livelihood, so that those conquests as a role in the spread of Islam, And, in the Umayyad era the supervision tribes turned especially the end of the first century to the owners' Lands, in other words they turned into an aristocratic urban owner, but they remained in the social outlook despised professions and look at non-Arab Muslims look involving inequality (Abdulaziz Duri , Introduction, p. 88 -95).

He said the possession of supervising agricultural land led gradually to a social disparity economic, including general and among members of tribes, noted that after the Abbasid Revolution 132 AH witnessed important social developments, the Abbasids participated al-Mawaly(The Muslims from another races) in pro-administration and

military so that they cancelled the tribe severely, so they formed regular army mixed from many races led to a change in the social organization of lines, and the administrative organization has changed And changed since he became a bureaucratic depends on the Arab caliph and the ministers from Persians and negligent supervision of the tribes, meaning that any involvement of the pro meant to involve the aristocratic Persian alone in the administration (Abdulaziz,Al-Duri , introduction, S96-97).

This matter not only was in the administration and even in the regular army, the Arabs are no longer a military force, but also as in the two government-of the Orthodox and the Umayyad, Abbasids caliphes as it gave up on this foundation and relied on regular soldiers, Arabs, Persians, and others. It is natural about these variables that the Arab element accept the cultivation of the land .It is no secret that these social developments led to the growth of cities and the expansion and the emergence of public layer was dispersed by their origins and their professions, for example, in Baghdad lived outside the Outside the wall whether the origins of Arab or Persian or Khwarizmya each one of them according to his profession does not mingle with their other (Abdulaziz Al-Duri, Introduction, pp. 97-99),

5- Al-Duri's arguments to the orient lists 's opinions :-

Al-Duri did not only stand against the visions of Orientalists absolutely, but also expressed his opinion that writing the history of some countries puts the primary responsibility for writing the history of any people, On his historians , that he want to understand properly and this called for a re-writing of history because so much of modern , i Because so much of modern books are written by Western foreigners or orient lists , they grew their cultures and in Western environments it is due to their compositions influenced by the existing trends in those cultures and environments, and with some of them served historical studies but some came views or strange directions accepted the starters but must from radical rethink. (al-Mashhadani, Ibid, p. 16).

on the other hand the greatest character that he agreed with the School of Orientalism and curricula phase disagreed with other phases, and managed his thought yoke that offers a new picture of the facts of the Arab-Muslim history and its symbols for integrating between originality and and historical researches from the writings of classic historians of Arabic -Islamic . as well as the use of research tools and analysis gleaned from the West (Adnan . al-Duri , ibid, S151-152)

He critiqued the Orient lists in the writings of Islamic Arab history because their historical terms that fit the assets of Arab history. For this alerted of some Western interpretations of Arab history explanations on shading and manipulation confirms "We Ananaj to manipulate history Each is based on the fallacy false building" (quoting: Adnan Al-Duri, Ibid n, p 152-154).

But this does not mean that he had not been invited to understand the theories and recent trends in the science of history, to be enlightened by the historical research without applied literally,

A-IDuri criticized trends Orient lists that economic motives behind the Arab Islamic conquests, trying to offload those conquests of the spirit of jihad that brought him every Muslim (Adnan . al-Duri ibid., P. 160).

Thus it is clear that Al-Duri has emerged his role after World War II to the end of the first of the twenty-first century decade may transfer study Islamic Arab history And curricula of study and writing of history into a new phase characterized by impartiality, accuracy and honesty in historical writing, try to make most of his time to install the importance of the historical analysis of the event within the data space and time and the effects of economic and social factors, and called for a re-writing of history in the light of

the criteria methodology and scientific foundations which he wrote them.

List sources

1- Abdaziz Al-Duri . A man and a historian and thinker ", edited by Dr. Abu Zaid al-Haj,(Amman-Jordan ..2000.).

2- Abdulaziz .Al-Duri , papers in history and civilization, the first part, papers in the science of history, Dar Al-Gharb Al-Islami , (Beirut ..2007.).

3- Abdaziz Al- Duri , . (Introduction to the History of Early Islam (Baghdad 1950 , 3red ., Beirut ..2007.

4- Abdaziz Al- Duri , The first age of the .Abbasid I (Baghdad, 1943)

5- Abdaziz Al- Duri . . Studies in the late Abbasid eras (Baghdad 0.1945) 7. Abdul Aziz al-Douri. .

6- Abdaziz Al- Duri .. Economic history of Iraq, in the fourth century AH (Baghdad 0.1948) 9. Abdul Aziz al-Douri g.

7- Abdaziz Al- Duri . Islamic regimes (Baghdad 0.1950) .

8- Abdaziz Al- Duri . Studies in the science of history when the Arabs (Beirut, 1960) .

.9-Abdaziz Al- Duri . The historical roots of Arab

nationalism (Beirut, 1960) .

10- Abdaziz Al- Duri Interpretation of history . (Baghdad, because of AT) .

11-Abdaziz Al- Duri . The historical formation of the Arab nation: a study in identity and awareness (Beirut, 1984)

12-Abdaziz Al- Duri . The historical roots of populism, i 1, (Beirut, 1962) and i 2 (Beirut, 1980) .

13- Abdel-Aziz al-Douri Abdul Aziz al-Douri origination aware of the history of the Arabs (New Edition,

14- Adnan Abdul Karim Khalil Ibrahim al-Douri, Abdulaziz Al-doi.His vision and a new methodology in the writing of the Arab-Muslim history, Master Thesis unpublished discussed in the Department of History / Faculty of Education / University of Tikrit 0.2012.

15- Ezzedine Amr Moussa, the league's contribution in the interpretation of the Arab-Muslim history, search within the book: Abdulaziz . . AL-Duri A man and historian and thinker.

16-Usama Abdulrahman Al Noman AL-Duri , The scientific Biography and career of the Professor Dr. Abdulaziz Al-Duri , research within a book to be published in the State

of Qatar, Dr Abdulaziz Al-Duri .

17- Usama Abdulrahman Al Noman AL-Duri Interview with Dr. Abdulaziz AL-Duri , (Amman, Jordan. , summer in 2002), .

18-.Mohamed Jassim al-Mashhadani, Al-Duri"s philosophy and methodology in the writing of the Arab-Muslim history resources, "Arab historian," a quarterly magazine historic court concerned with the affairs of the Arab heritage and global history, No. 69, Baghdad 0.2015.